الوعد الحق

د. عمر عبد الكافي

أريج
AREEJ
للنشر والتوزيع

الوعد الحق

د. عمر عبد الكافي



دعـــوة:

إذا كانــت لــديكم فكـرة أو عمـل مميـز، هـادف، نـافع يخـدم أمتنـا، في أي ميـدان مـن ميـادين العلـم، فـإن أريـج يشـرفها التعاون معكم.

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/١١٣٨٠

الترقيم الدولي: I.N.S.B

977-6103-94-4

الناشر: **أريج للنشر والتوزيع**

تليفون: ٣٣٦٦٩٦٣-٣٣٧٩٩١٠ (٢٠٢)+

فاكس: ٣٣٨٧٨٣٦ (٢٠٢)+ ص.ب: ٤٦٣ الدقي

Web. www.areej.com.eg E-mail: info@areej.com.eg

مقدمــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد...

فلقد أخذ الحديث عن الآخرة ومنازلها وما فيها من عرض وحساب قدرًا كبيرًا من آيات القرآن الكريم ... وليس هذا عبثا، إنما هو تذكرة بحقائق كبرى كثيرا ما نغفل عنها، بل إن بعض سور القرآن الكريم يحمل اسما من أسماء القيامة ناهيك عن الحديث عنها، مثل: القارعة، الحاقة، الغاشية، القيامة، ... أو تحمل مظهر من مظاهرها، مثل: الزلزلة.

وعبر صفحات هذا الكتاب نجد عرضا شيقًا جذابًا لهذه المنازل، بداية من مرض الموت إلى أقصى نعيم في الجنة.. يطوف بالقارئ بين مقامات الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة.

وهذه المشاعر تجعل القلب يستقيم في علاقته

مع الله سبحانه وتعالى، فلا يستبد به اليأس ولا يغرر به الطمع ... وتجعله عبدًا لله في السَّراء والضَّراء.

إن ما يبذله المؤمن من جهد لإرضاء الله في الدنيا جزاؤه هناك في دار الكرامة ومستقر الرحمة ... ومن لطف الله بعباده أنه يسمح لهم بنسائم هذه الدار يستروحون بها في الدنيا راحة قلب وهدوءَ بال وسموَّ روح.

نسأل الله أن يجعل يوم الحساب في قلوبنا

وأن يجنبنا عذابه يوم يبعث عباده

الناشر

أريج للنشر والتوزيع

مرض المـــوت

احذر هذا الممّر... !!!

الأجل أقرب للإنسان من الأمل، والموت أقرب إلى المرء من شراك نعله فالإنسان يأمل أن يعيش طويلاً ويتمتع بالنعيم ويجمع المال ويحوز المناصب... الحرص على الدنيا أهلك أهله، وأسوأ الناس جميعًا من غلبة طول الأمل.

إن الأمر يقتضينا أن نقيم التوازن الذي أرشدنا إليه رسول الله ﷺ: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا» أما إذا غلبنا جانب الأمل في الدنيا والعمل لها على حساب الآخرة فهذا يدفعنا إلى التوقف ومراجعة النفس، مراجعة الحساب مع الله تعالى، فإنه سبحانه لم يخلق الإنسان عبثا ولن يتركه سدى، أعطاه المنهج واضحًا، فقد تركنا الحبيب على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

أعلمنا أننا في الحياة الدنيا كالغرباء أو عابري السبيل، عابر السبيل هذا يضرب في البيداء المترامية ثم يخلد للراحة تحت ظل شجرة (تلك هي الدنيا) ثم لا يلبث أن يغادرها مواصلا سفرته، هذا شأن الحياة الدنيا لا خلود ولا استقرار، ولا إقامة على أمن، ففكرة الرحيل قائمة في كل وقت.

والويل لمن اغتر بالدنيا أو ركن إليها وإلى نعيمها الزائل، ونضرب مثلا لذلك، إذا أقامت إحدى شركات المقاولات ممرًّا فأقام إنسان مسكنا فوق هذا الممر فماذا يقول عنه الناس؟ بالطبع يقولون: هذا مجنون!. ولنأخذ في اعتبارنا أن هذا الممر يصل بين شاطئين يقوم كلاهما في عالم الأحياء، أما حياة المؤمن فهي قائمة بين عالمين عالم الدنيا الفاني وعالم الآخرة الباقي، ومع هذا الفرق الشاسع

بينهما فلا يحق لنا أن نسميه مجنونا، إنه غير عاقل، المجنون هو البعيد عن رحمة الله؛ فقد أرشد النبي الكريم إلى هذا ألا تقولوا مجنون، وإنما قولوا مصاب، إنما المجنون من طُمِس عن رحمة الله، ستر عقله فسلك مسلك الحرام ونأى عن طريق الحق فصار من أصحاب الجحيم.

هؤلاء الذين جعلوا الدنيا غاية همهم أضاعوا حياتهم سدى وبددوا أعمالهم هباءً وما نالوا من الدنيا إلا ما كتب الله لهم.

فالدنيا عرض زائل، و متاع الغرور، يأكل منها البر والفاجر. والآخرة وعد سابق ونعيم مقيم يحكم فيها ملك عادل يحق الحق ويبطل الباطل.

احذر هذين القسمين

جعل الله الدنيا لمن يحب ومن لا يحب (فالدنيا دنية، هذا اشتقاقها في اللغة) أما الآخرة فقد آثر بها عباده المتقين، فلم يؤت الدين إلا من أحب وكلنا، ينظر بعضنا إلى البعض، فنتحاسد في نعيم الدنيا الزائل، المال والتجارة، والأرباح، الجاه والمناصب؛ نتشاغل بما جعله الله لنا عما جعلنا الله له وهو عبادته وطاعته.

فكيف بنا لا نتحاسد كما أرشدنا الرسول الكريم في المال نسلطه على هلكته في الحق، وفي العلم نتعلمه ونعلمه الناس؛ من منا سأل نفسه: هل حفظ ابنه القرآن؛ هل دعا ابنته إلى ارتداء الحجاب فتصون دينها وعرضها، من منا يقوم الليل فيوقظ أهله فينضّر الله وجهه بالطاعات ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين:٢٤] يجب علينا جميعًا أن ندرك هذه الحقائق، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

يقول ابن القيم ﷺ: «طرقت الأبواب إلى الله تعالى ، فوجدت أقرب باب إلى الله عز وجل هو باب الذل إليه» ولنضرب مثلاً في شأن الحياة الدنيا وكيف أنها مجاز إلى الآخرة.

قوم على متن سفينة، أراد القبطان أن يستريح في رحلته فإذا بهم أمام جزيرة فقال لهم: اهبطوا إلى الجزيرة ولا تمكثوا طويلاً فعما قليل سنرحل فانقسم الناس ثلاثة أقسام، قسم أطاع القبطان وعاد سريعًا فوجد مكانه ففرح به وفاز فوزًا عظيمًا، إذ لم تغره وتشغله ما على الجزيرة من متع وأطايب ولهو شاهد أسبابه في الجزيرة من زرع وثمار ونخل وحب الحصيد، وجنات ألفافا وحدائق أعنابا.

والقسم الثاني تشاغل بهذا النعيم لكنه ما عقل عن أمر نفسه وعن أوامر القبطان فعاد محملاً ومثقلاً بأسباب النعيم فأمره القبطان بإلقائها فليس ثمة متسع لها، وقسم ثالث شغله النعيم فأنساه أوامر القبطان فمضى مغادرًا وتركهم في حسرة لا تنقضي.

والعاملون في الحياة الدنيا مثلهم كرجل استأجر عمالاً يؤدون عملاً في منزله، فوزع الأعمال عليهم، واستأمنهم على العمل بعد أن وعدهم بالأجر ثم تركهم يعملون وانصرف عنهم فظنوا أنه قد غاب فلا يطلع عليهم فمنهم من تذكر عهده وأدى عمله بإخلاص، ومنهم من تناوب العمل والراحة، ومنهم من فرَّط في الأمانة ولم يقم بأي عمل، حتى إذا جاء صاحب الدار وكان يراقبهم من حيث لا يشعرون وفَّاهم حسابهم بالعدل فلم يظلم منهم أحدًا، فمنهم من فاز فوزًا عظيمًا، ومنهم من أدرك غايته، ومنهم من مُنِيَ بالخسران المبين.

ومن لطف الله بالعباد أنه أخبرنا بنهاية الحياة ومآل البشر يوم القيامة ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]. فالحقيقة الراسخة الوحيدة في هذه الحياة هي الموت الذي سيدرك كافة الأحياء ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي

﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. هذه الحقيقة الوحيدة لم يجادل بشأنها الكافر، فالكل مسلم بها.

ومع هذا فالكثير من البشر يتغافل عنها أو ينساها!.

قد يكون رحمة...

إن موت الفجاءة راحة ورحمة للمؤمن وحسرة على الفاجر، فالمؤمن يؤدي حقوق الله وفروضه أولاً بأول، يؤدي أمانته فهو مستعد للقاء ربه في أي وقت.

قد يحدث أن يصلي إنسان فرضه ثم يموت فجأة بلا سبب ولا مرض ولا مقدمات، ماذا يكون حال أهله، يفرحون لأنه نطق بالشهادتين ثم مات، فطوبى له وحسن مآب. لقد كان يصلي وأول ما يُسأل عنه العبد في قبره، الصلاة فإذا وجدت كاملة قُبِلت ثم قُبِل سائر عمله وإن وجدت ناقصة، رُدَّت ورُدّ سائر عمله.

فالصلاة الصلاة، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

موت الفجاءة رحمة بالعبد؛ لأنه ربما لو عاش، يخف ميزان حسناته، أو تبغي عليه الدنيا فلا يصبر، أو يبتلى ببعض الأمور فلا يثبت.

هكذا نحب الموت...!!!

كلنا لا يحب الموت، لكن أبا ذر ﷺ كان له كلام آخر في هذا الشأن!. يقول: أحب الجوع وأحب المرض وأحب الموت، يقول: إنني إذا جعت رقّ قلبي ومن شاء فلينظر إلى الصائم في نهار رمضان!. وإذا مرضت خف ذنبي لأن المرض كفارة للذنوب . أما الموت فإنني إذا مت لاقيت ربي وأنا أحب لقاء الله، وقضية الموت ترغب مُدَّعي محبة الله.

أما حب الموت فقد ذكرت السيدة عائشة أم المؤمنين أمام النبي ﷺ: كلنا

يكره الموت يا رسول الله فقال: ليس ذلك وإنما إذا صارت الروح إلى الحلقوم يرى الإنسان مكانه من الجنة أو النار فإن كان من أهل الجنة أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، ومن كان من أصحاب النار كره لقاء الله فكره الله لقاءه.

وملك الموت يزور الإنسان إذا كانت منيته، وليس لزيارته سبب، سوى انتهاء الأجل ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. ونحن لا نستطيع أن نقول إن ملك الموت أقرب إلى كبير السن منه إلى صغيرها، ولا هو أقرب إلى المريض من الصحيح، فقد يزور هذا الصحيح المعافي مريضًا ثم لا يلبث أن يتوفاه الله، ويُكتب الشفاء للمريض....

إنه الأجل والموت لا يحتاج إلى علة من علل الدنيا وما أصدق القائل:

مشيناها خُطىً كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خُطىً مشاها
ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

فائدة ذكر الموت

ذكر الموت معجل التوبة، فمن يعلم أنه مسافر، يعد حقيبة سفره ويدخر فيها ما يكفي حاجته مدة سفره فكيف بسفر الموت!. ذِكْر الموت يجعلني أرضى بالقليل وأحقق أحد محاور التقوى الأربعة وهي: الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل، وهذا الرضا بالقليل يختلف من إنسان لآخر.

يقول ﷺ: **«من أصبح منكم آمنا في سربه (أي أهله) معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»** [رواه الترمذي].

ذكر الموت يجعلني أقنع برزقي ولا أحارب أهل الدنيا في دنياهم. مهما سعيت في طلب الرزق، لن يأتيني إلا ما قدره الله لي، وليس هذا ضعف

شخصية بل توكل علـى الله «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك**» [رواه الترمذي].

لهذا يكرهه البعض...!!!

سئل أحد الصالحين: لماذا نكره الموت؟. فقال: لأنكم عمَّرْتم دنيا كم وخربتم أخراكم، والإنسان يكره أن ينتقل من العمار إلى الخراب ولكن الصالحين عمروا الدنيا والآخرة جميعًا فلا يخشون الموت.

جاء رجل غريب إلى الكوفة وقال أين العمران يا شيخ؟ فأتى به المقابر..!! قال: أقول لك أين العمران فتأتي بي إلى هنا!. قال: كل الذي هناك يأتي إلى هنا، ولا يذهب أحد من هنا إلى هناك.

نعم، نحن نخاف الموت لأننا نخاف من الحساب وذلك لكثرة المعاصي والتفريط والتقصير، يقول أحد الصالحين: (القول قول خائف والفعل فعل آمن) فنحن قوم غرتهم الأماني ونقول إنما نحسن الظن بالله، وليس هذا من حسن الظن بالله، فلو أحسنا الظن لأحسنا العمل وما صنعنا ما نصنع!.

ويا بؤس من لا يخشى سوء الخاتمة، إنني عندما أتقدم للعمل في مؤسسة ما أو شركة وتطلب مني صحيفة الأحوال الجنائية ليستدلوا عليّ ويطمأنوا فمن كانت له جريرة تسود صحيفته فلا يقبله صاحب العمل، فما بال أقوام لا يخشون أن يسودوا صحيفة الحالة الإيمانية بالمعاصي كيف يقابلون الله يوم الحساب...؟!!

نفحات ربانية للمريض

الإنسان المؤمن عندما يبتليه الله بالمرض، يعلم أن له ذنوبًا ويريد الله أن يطهرها بالمرض، ما دام صابرا محتسبا لله فحتى الشوكة يشاكها الإنسان المؤمن

يكون له بها حسنة هذا هو الدرس الأول أو النفحة الأولى.

والثانية: يريد الله تعالى أن أكون ذليلاً لعزته وجلاله سبحانه وطالما كان الإنسان غارقا في النعيم فهو في بلاء شديد، إنه يتقلب في متع الحياة الدنيا: الصحة والمال والجاه والسطوة والسلطان.. كل هذه الأمور فتنة وشر، وقد تصرفه عن طاعة الله وعبادته، قد تُحّرضه نفسه على التمرد، توسوس له شياطين الإنس والجن بالمعاصي فينسى شكر النعمة. هذا المرض فرضه للتوقف والتفكر والعودة إلى رحاب الإيمان.

الثالثة: ينال بركة دعاء الصالحين، فإن بعض المشاحنات تدوم لولا المرض، يمرض فلان فيعوده زملاؤه في العمل ويطلب منهم الدعاء والمسامحة فيغفر الله له، وهذه محبة من الله يلقيها على من يشاء من عباده ولا ينسى الزائر أن يدعو عندما يرى المريض **«الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيرًا من خلقه وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً»**.

وزيارة المريض واجب افترضه الإسلام وهو حق للمسلم على المسلم يقول رب العزة تبارك وتعالى في حديث قدسي طويل! **«يا عبدي: مرضت فلم تعدني. قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين! قال: أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده (أي لوجدت جزاء ذلك عندي)»** [رواه مسلم]. إن زرته فاضت الرحمة من شعرك إلى أسفل قدميك وصلى عليك سبعون ملكًا.

وهناك من يعود المريض لغرض في نفسه من أغراض الدنيا أو لحاجة ينالها أو يرفض زيارة مريض لأنه لم يزره، فالله لا يقبل هذا العمل. إن الله لا يقبل من العمل إلا أصدقه وأكثره إخلاصًا ويقول: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك معي فيه غيري وضعت نصيبي له»**.

وما يصنع هذا إلا عبد الدنيا وقد حذرنا الحبيب المصطفى من ذلك: «**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتُقِش**» [رواه البخاري] فلا يجب أن تكون همة المسلم هي الدنيا وكلنا يخشى ابتلاء الجسد وهي الأمراض جميعًا، صغيرها وكبيرها ونستعيذ بالله منها وننسى ابتلاء الدين، أمراض الروح، وهي أن نصاب بالنفاق والرياء أعاذنا الله جميعًا منهما، أن نصاب بالعجب فلا تقبل منا أعمالنا، ونُفْتن في ديننا فنترك الطاعات إلى المعاصي. وكل مصيبة للمرء دون دينه هينة.

آداب زيارة المريض

قال ﷺ: «**إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل**» [رواه البخاري] أي لا بد أن أبشره ولا أنفره، أذكر له أن فلانا قد مرض قَبْلُ بهذا المرض ثم عافاه الله وشفاه، أقول هذا القول ولو لم يحدث، فهذا مباح لماله من أثر طيب في نفس المريض، فالحالة النفسية لها دور كبير في قدرة المرء على مقاومة المرض والتماثل للشفاء، وأن أكون بشوشًا مبتسمًا عند لقاء المريض وأتفكهً معه في الحديث ولا أكون عبوسا متجهما، ثم أرقيه بالرقية الشرعية بأن أضع يدي على الجزء المريض، ما كان هذا مستطاعًا، أي لا يجلب عدوى ولا يؤثر على جرح المريض مع مراعاة أن يضع الرجل يده على الرجل، أما المرأة من المحارم فلا يجوز، وكذلك تضع المرأة يدها على المرأة أو زوجها وأبيها وأخيها وابنها فهذا يحل لها.

ثم ندعو الله بقلب سليم ونفس صافية صادقة بهذا الدعاء (اللهم رب الناس اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما اللهم كما عرفنا رحمتك في السماء أنزل رحمتك على الأرض أنزل رحمتك على هذا المريض رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك) بهذا التذلل في الدعاء وهذا الإخلاص يُشْفى المريض بإذن الله.

أو أقول (بسم الله ثلاث مرات، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات) فيذهب الله البلاء ببركة الدعاء.

ويجب على المريض أن يتحمل ويتحمل شكرًا لله وصبرًا على البلاء فهذا يرفع درجات المؤمن ويغفر الله له به سيئاته، فإذا سئل المريض كيف حالك؟ قال: بحمد الله أنا في خير وعافية، ويقول كنبي الله يعقوب: (إنما أشكو حزني وبثي إلى الله) وما أبلغ تصوير مجالدة النفس، في قول أبو ذوئب الهذلي:

وتجلدي للشامتين أريهمو أني لريب الدهرِ لا أتضعضع

ذات مرة مرض الإمام أحمد بن حنبل فذهب إليه الشافعي يعوده ومعه الطبيب، فتحامل الإمام أحمد على نفسه وذهب إلى الشافعي في بيته، فقال الشافعي في هذا الموقف:

مرض الحبيب فعدته فمرضت من خوفي عليه

فأتى الحبيب يعودني فبرأت من نظري إليه

وعندما مرض الشافعي وطلبوا له الطبيب، نظر إليه وقال: طلبوا لي طبيب المرض وطلبت أنا طبيب السماء، طبيبان: ذاك ليعطي الدواء وهذا يجعل فيه الشفاء.

يقول الكليم موسى: يا رب أليس الشفاء من عندك؟! قال الله: بلى يا كليم. قال فماذا يصنع الأطباء؟ قال الله: يأكلون أرزاقهم ويطيّبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي.

* وكل مرض يمرضه المؤمن ولو كان صغيرًا يكفر من ذنوب العبد الصابر حتى الشوكة يشاكها المؤمن له بها أجر.

* * *

الوصيـــة

طوله في بركته...

يجب على الإنسان إذا جن الليل أن يكتب وصيته بخط يده ويوقع عليها شهود، ذلك لأن الموت قادم لا محالة وهذا القول ليس من قبيل الفأل السيئ، فنحن مقبلون على الموت وليس هناك مفر منه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والدعاء بطول العمر غير وارد في كتبنا الشرعية ولا عند السلف الصالح، والذي ورد هو الدعاء بالبركة، فلا يحسب عمر المرء بكثرة السنين ولكن بما صنعه من إنجازات وأعمال صالحة تثقل كفة حسناته يوم القيامة، وبعد موته تتناوله الألسنة بالثناء بالخير، فالذكر للإنسان عمر ثان.

وذات مرة سمع النبي ﷺ زوجته رملة بنت أبى سفيان تدعو الله بطول عمر النبي وعمر أبيها أبي سفيان وعمر أخيها معاوية، فقال لها النبي: يا أم حبيبة آجال محددة وأعمال مكتوبة هلا قلتى: اللهم بارك لي في عمر زوجي رسول الله وبارك لي في عمر أبى وبارك لي في عمر أخي.

يقول الحسن البصري ﷺ: يا ابن آدم طِئ الأرض بقدميك فإنها عما قريب تصير قبرك، واعلم أنك في هدم عمرك منذ ولدتك أمك واعلم أنه إذا ما ذهب بعضك فقد ذهب كلك.

أي اليوم الذي يمر من عمرك يُقرّب لك أجلك فالعلاقة بين الدنيا والآخرة كالطريق بين مدينتين، كلما ابتعدت عن المدينة الأولى ازداد قربك من المدينة الثانية، فنحن منذ خرجنا من أرحام أمهاتنا، ونحن نغذو السير نحو الدار الآخرة، والموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله رب العالمين يفصل بيننا.

والذي يجعلنا نكره الوصية هو ركوب بحر الأماني، وهذا رأس أموال المفلسين، ومن يأمن الدنيا يكن كقابض على الماء خانته فروج الأصابع.

والأمر الثاني الذي يكرهنا في الوصية هو التعلق الشديد بحب الدنيا وفقدان الزهد، فالله خلق الكون ومتاع الدنيا لنتنعم بها، أجل، لنتنعم بها كما شاء ولكن لا يجب أن ننسى الآخرة والحساب، يجب أن تكون الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا.

زهد... وزهد

الزهد ثلاثة أنواع: زهد العوام وزهد الخواص وزهد خواص الخواص.

أ- زهد العوام: هو الزهد في الحرام تقع فيه خوفًا من الله وعقوبته، وهذا أول خطوات التوبة، والتوبة التي نقصدها هي التوبة الصادقة النصوح لا توبة الثعلب!.

يروى في القصص الرمزي ذي الدلالة التعليمية أن الثعلب ذات يوم خطف عنقود عنب فجرى خلفه صاحب البستان فقفز الثعلب على سور البستان فوقع منه عنقود العنب، فأخذ الثعلب ينظر إلى العصا في يد صاحب البستان وينظر إلى العنقود فيتحسر، ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل لنا في الحرام نصيبا.

هذه توبة المضطر، توبة الثعلب فمن يكون مدخنا أو سكيرا أو مدمنا ولا يدع هذا المحرم اتقاء لغضب الله، ثم يمرض وتسوء حالته الصحية فيخبره الطبيب بخطورة هذا الإدمان على حياته هنا لك فقط يدع ما كان يفعل، فهل هذه توبة !!! إنها توبة الثعلب.

ب- زهد الخواص: هو أن نزهد في حدود الحلال، فإذا كانت عادته أن يأكل رغيفين فإنه يكتفي بواحد فقط أي يدع ما يشتهيه من الطعام والمتاع وله

فيه رغبة، طاعةً لله ورغبة في ثوابه؛ لأن شر وعاء ملأه ابن آدم هـو بطنـه، ولأن أموالنا يختلط فيها الحرام ولو كان قليلا، أو فلتقلَّ الشبهات وقد حـدد الرسـول سعة المعدة بثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لِنَفَسِه.

يقول أهل العلم: إن ثلث حجم المعدة هو ٥٠ سم وهي المسافة الـتي تـترك للمعدة بين الرئتين لتتنفس. ونحن إذا اتخمنا فقـد يقعـد بنـا عـن أداء الفـرائض والنوافل كقيام الليل أو صلاة العشـاء في جماعـة أو أحـد العبـادات والطاعـات المرغوب فيها.

ج- زهد خواص الخواص

سيدنا عمر بن الخطاب أمسك في يوم حار جدًا بكأس فيه ماء ووضـع فيـه تمرة حتى تبرد ثم أخذ يرفعه إلى فيه ثم يبعده، فقالوا له ما هذا يا أمير المـؤمنين: قال: حتى لا يقال لي يوم القيامـة ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْـتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠]. فيجب أن تكون المتعة وسيله شكر المنعم.

وأدب النفس واسـتكمل فضـائلها   فأنت بالنفس لا بالجسـم إنسـان

فالإنسان قوي، لا بالجسم والشهوات فالحيوان أقوى منه، بل بتزكية النفس وترويحها على طاعة الله.

رعاية الأبناء...

فلنتفق جميعًا على ضرورة كتابة الوصية وعرضها على أحـد علمـاء الشـرع الحنيف ليؤكد أنها تخلو من أي بند يخالف شـريعة الله، فمـن يشـتري سـيارة أو عمارة فإنه يعرض عقد الشراء على محام ينظر في بنود العقد قانونا.

إيثار بعض الأبناء بالوصية. هل لي الحق أن أعطى أحـد أبنـائي أكثـر مـن إخوته لأنه بارٌّ بي أو أن أقوم بحرمان أحد لأنه عاق بي؟.

أولا: يجب أن نذكر حقوق الأبناء، فالبنت في رقبتي حتى تتزوج أما الولد فحقوقه قائمة إلى أن يبلغ الحلم شرعًا، ويجب عليه أن يعول نفسه بعد ذلك ويتكفل بشئونها، أما إذا كان نابغة في علم من العلوم فيجب أن ننفق عليه ليتفرغ لمسيرته العلمية خدمة للمجتمع قبل أن يكون هذا خدمة للشخص ولذلك كان الرسول الكريم يعمل بعدما بلغ الثالثة عشرة من عمره راعيًا للغنم وكان يأتي بأجرة عمله إلى عمه أبي طالب.

إن الأمر أشبه بمنحة التفرغ، فإذا كان هناك طالب علم في أحد مجالات العلوم النظرية والتطبيقية التي تنفع المجتمع (وبخاصة العلوم الحديثة كالحاسوب والانترنت والهندسة الوراثية) وكان فقيرا وجب على المجتمع كله أن ينتدب من ينفق عليه وإذا لم يفعل أثم المجتمع كله.

هذا من حق الابن على أبيه، أما إذا ما أنفق الأب على ابنه الراشد فهذا تفضل منه، لكننا لا نستطيع أن نلزم الأب بالإنفاق على أبنائه وأحفاده فلا يجب أن نؤثر أحد الأبناء على باقي الإخوة ولا أن نحرمه حقه لعقوقه أو بِرّه فتلك مسألة أخرى، بر الابن على أبيه ثوابه عند الله وعقوقه يقع عليه ويحاسبه عليه ربه.

ذهب أحد الصحابة إلى رسول الله ليشهده على عطية أعطاها أحد أبنائه وكان هذا الصحابي متزوجًا من امرأتين وأراد أن يميز ولده من هذه المرأة على باقي أولاده، فقالت أم هذا الطفل لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ، فذهب للنبي وقال يا رسول الله: نحلت ابني هذا بستانا: فقال النبي ﷺ: أكل ولدك صنعت معه مثل هذا؟ قال: لا.. قال: ألا تريد أن يكون لك في البر ثواب؟! أشهد عليه غيري أنا لا أشهد على باطل، فمن منع وارثًا من إرثه منعه الله إرثه في الجنة يوم القيامة. في الحياة، المال مالك تنفقه كيف تشاء لكن لا تميز ولدًا على آخر،

لقد شرع الله العدل بين الأبناء في القُبَل والحنان فما بالنا بالأموال ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

أينما توجد المصلحة أو المنفعة فثمَّه شرع الله.

أنا كوالد قد أحب أو أميل إلى بعض أبنائي لغطفه الزائد عليّ أو بره وحَدَبه عليّ، لكن هذا لا يجب أن يدفعني أن أؤثره على باقي إخوته ولا أن أظهر هذا فيكون وبالاً عليه، يحقد عليه إخوته، تكبر شجرة الضغائن هذه في قلب كل منهم فتنبت شرًا كبيرًا، هذا الشر لم ينجُ منه أبناء الأنبياء؛ فلم يستطع نبي الله يعقوب أن يخفي حبه وإشفاقه على يوسف وأخيه حتى غار منهما باقي الإخوة وقالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف:٨] فلما أظهر مشاعره وقال: إني ليحزنني أن تذهبوا به أي تأخذوه من حِضْني فهذا يؤلمني، دخل الشيطان بيت نبي الله يعقوب. فهل بيوتنا أشر من بيت نبي الله يعقوب؟!

يجب أن أتحرى العدل بين الأبناء، فمثلا إذا كان لديّ أربعة من البنات قد زوجت منهم ثلاثة وبقيت واحدة فماذا أصنع معها وأنا لا آمن الأجل؟ يمكنني أن أترك لها بمقدار ما يجهزها مثلما فعلت مع أخواتها هذا هو العدل، ما فيه تمييز.

كل الأبناء لهم نفس المكانة في نفوس الآباء، فقد سألوا أعرابية: أي بنيك أفضل عندك؟ فقالت: الصغير حتى يكبر، والمسافر حتى يعود، والمريض حتى يشفى.

الحرمان من الإرث

بعض الناس لا ينجب سوى البنات فيحاول أن يحرم العم ويقول إنه غني وإنهن بنات ضعاف... لا فليتقى الله ربه، فالعم في مقام الوالد، ولا يجوز أن

تتمتع البنات وأبوهم يعذب في النار، قال عمر ﷺ: اللهم إني أعوذ بك من مال يستمتع به ورثتي من بعدي وأحاسب أنا عليه في قبري.

ويجب أن أعلم أن هذا المال في يدي ليس مالي وإنما هو مال الله استخلفني عليه، أنفقه فيما أشاء ما دمت حيا فإذا ما مت صار إلى ورثتي.

حدود الوصية

الوصية لا يجب أن تزيد على الثلث، فإذا ما أوصى إنسان بما يزيد على الثلث أمضينا الوصية في حدود الثلث ورُدّ الباقي إلى التركة، أتى سعد بن أبى وقاص النبي ﷺ وقال: أريد أن أوصى بكل مالي، قال النبي ﷺ: لا يا سعد، فقال: بنصفه: قال النبي: لا يا سعد: قال: فبثلثه. فقال النبي: نعم، والثلث كثير. إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس.

عمر بن عبد العزيز ﷺ كانت له ثلاث عشرة بنتًا فقالوا له أوص لهن. قال: إن كن صالحات فإن الله للأوابين غفور، وإن كن غير ذلك فلا أعطيهم ما يتقوين به على معصية الله، ثم مات فتزوجت كل بنت من بناته إما أميرًا من الأمراء أو ثريا من الأثرياء... نعم، فالله أولى بهم ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

ولنأخذ من سيدنا زكريا عليه وعلى نبينا السلام عبرة:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۞ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٤-٦].

وزكريا كان نجارًا لا يكاد يملك شيئًا فماذا يريد أن يرث ابنه؟!

يريد أن يرث التقوى والعلم الذي كان في بيت يعقوب عليه السلام، وأن يكون رضيًا وليس غنيًا، أو فلتقل غنيا بتقوى الله وعامرًا قلبه بالإيمان.

الوصية لمن

لا تجب الوصية لوارث بنص الحديث الشريف «لا وصية لوارث» [رواه البخاري] لأن هذا تدخل في الأنصبة التي شرعها الله، فالوصية لأوجه البر والخير في المجتمع، للفقير المسكين، لمكتبة عامة، لمستشفى يعالج المرضى وهناك من يوصي بماله للابن ويترك البنت أو يكتب أملاكه بيعا شكليًا للابن حتى يحرم الغريب الذي هو زوج الابنة. هذا كله حرام.

هل يستأمن زوج ابنته على فلذة كبده ولا يستأمنه على قطعة أرض أو حفنة من المال! ولنذكر موقف رسول الله من عثمان بن عفان الذي زوجه رقية فماتت فزوجه أم كلثوم فماتت فقال: لو كانت عندي ثالثة لزوجناها عثمان.

مقدمات الوصية

لابد من صفاء الذهن واستحضار حسن الظن بالله، فهذا أبو بكر الصديق يوصي بالخلافة بعده، بعد أن استشار المسلمين، استشار كبار الصحابة وخيرهم فصح عزمهم على عمر، فأملى الصديق عهد الخلافة في النزع الأخير وكان يملي على عثمان بن عفان فكتب: هذا ما عاهد عليه أبو بكر بن أبى قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها، أن أُوَلِّى على المسلمين... ثم أخذته الغشية فكتب عثمان من عنده عمر بن الخطاب، ثم أفاق الصديق وقال لعثمان اقرأ على الوصية، فقرأ.. أن أُوَلِّى عليهم عمر بن الخطاب فقال: جزاك الله خيرًا ما كنت إلا أقصده... انظروا إلى مبلغ أمانة عثمان ولو كتب نفسه لكان جديرًا بها.

لحظات أخيرة

أبو حامد الغزالي في يوم وفاته وكان قد بلغ خمسة وخمسين عامًا، قال بعد أن صلى الصبح: أريد أن أقابل الملك اليوم ثم طلب من أولاده ماء فاغتسل ثم ثوبا أبيض فتكفن به... وانتظروه طويلاً فلم يخرج اقتحموا عليه غرفته فوجدوه نائمًا على جنبه الأيمن واضعًا يده تحت خده الأيمن.

عمر بن عبد العزيز قال لزوجته: اخرجي الآن، إني أرى وجوها ليست بوجوه إنس ولا جان، خرجت فاطمة وتسمعت: مرحبا بأبي البشر آدم ونبي الله نوح، مرحبًا بأبي الأنبياء إبراهيم، أهلاً بكليم الله موسى، مرحبًا بحبيب الله عيسى، أهلاً برسول الله، مرحبًا بملك الموت جاء على موعد. أشهد أن لا إله إلا الله ثم فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها.

المثوى الأول...!!!

وفي الوصية أذكر الدين الذي عليّ وأوصى بأن يؤدى قبل الدفن، وأوصي بعدم النواح يقول ﷺ: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**» [البخاري] فلا بد أن تنهى عن النواح سواء من أهل الميت أو جيرانه.

واجب الجيران أن يصنعوا طعامًا لأهل المتوفى فإن عندهم ما يشغلهم ويلهيهم عن ذلك.

ثم يوصي المتوفى بمن يصلي عليه من أحبابه وإذا لحدوه أن يمكثوا على قبره فترة يستأنس بهم فهو كالغريق يريد دعوة تنقذه أو حسنة تساعده.

عمرو بن العاص أوصى ابنه بأن يمكثوا على قبره قدر ذبح جذور أي جمل وتوزيع لحومه لكي يستأنس بهم، إنه يشبه حاله حال الطفل في أول أيام الدراسة، وحيد شريد مُنزوٍ يشعر بالانطواء والوحدة، خائف مذعور إنها

أصعب لحظة تمر على الإنسان، ليس ثَمَّ إلا الرب الجليل والعبد الذليل، الـرب العظيم والعبد الضعيف.

يقول رب العزة: عبدي. ذهبوا وتركوك وعلى الأعناق حملوك وفي الـتراب دفنوك ووحيدًا تركوك ولو ظلوا معك ما نفعوك، ولم يبق معك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يموت.

لا يبقى مع الإنسان إلا عمله، ليس هناك وساطة أو قرابة يقول ﷺ: يا بـني هاشم، يا بني عبد مناف لا يأتيني الناس بالحسنات يوم القيامة وتأتوني بأوزاركم تضعونها على ظهوركم، تقولون عند الصراط أدركنا يا محمد، فـأقول لكـم مـا قاله العبد الصالح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

وعندما طلب أحد الصحابة من الرسـول أن يسأل الله أن يكـون رفيقـه في الجنة، وهذا مـن شـدة حبـه لرسـول الله ﷺ. قـال: أعـني علـى نفسـك بكثـرة السجود.

* * *

علامات الساعة الصغرى

الصادق تكفيه علامة...

إن الله سبحانه وتعالى أعطانا كل الأسباب والإمكانيات التي لا يوجد بعدها عذر عند المصيبة، أنا لا أتخيل أن يطرق إنسان باب عالم واحد يسأله ما هي علامات الساعة الصغرى؛ لأن الأمر لا يهمه.

ولكن يصح له أن يسأل الخبير الاقتصادي عن سعر السهم في الشركة الفلانية اليوم.

فلننظر إلى أمر الدنيا وأمر الآخرة، نستطيع أن تزن المؤمن أمامك بما يحوى من دنيا أو آخرة، فإن جلست معه يتكلم في الدنيا ساعة وفي الآخرة ساعات، فميزانه بقدر كل منهما في قلبه وحديثه.

ومن كرم الله سبحانه وتعالى أن جعل لنا نوعين من العلامات.

يقسم العلماء علامات الساعة قسمين:

- علامات الساعة الصغرى والكبرى والفرق بينهما شاسع هذا لم يأت به القرآن

علامات الساعة الصغرى جعلها الله إنذارات للعبد لكي يفيق وينتبه لما فيه من غفلة، وباب التوبة مفتوح على مصراعيه أثناء ظهور العلامات الصغرى.

كم علامة؟ ربما تصل إلى مئة علامة. وهل تحتاج إلى مئة علامة أم علامة واحدة تكفي لكي تفيق.

المؤمن الصادق يحتاج إلى علامة واحدة لكن الإنسان بطبيعته ينسى فمن كرم الله علينا أن جعل العلامة تلو العلامة وهذا من رحمة الله لأن الله من رحمته أنه الرحمن الرحيم، لكنه رحمان الدنيا ورحيم الآخرة.

وإذا انتهت علامات الساعة الصغرى بعضها أو أكثرها وأوشك ظهور العلامات الكبرى وظهرت الشمس من مغربها أُغلق باب التوبة.

أغلق باب التوبة وهناك أناس يعيشون على الأرض وهم أُناسٌ سوف يمتحنون إمتحانًا صعبًا ومريرًا.

يعني ترفع الصحف وتجف الأقلام.

هناك فاصل زمني كبير بين العلامات بمجرد أن تنتهي آخر علامة من علامات الساعة الصغرى لا تستيقظ فتجد أول علامة من علامات الساعة الكبرى ظهرت.

ولنقف عند كتاب الله وكلام رسوله ﷺ لنقف عند كل العلامات التي يتفق عندها كل العلماء. هل هناك منطقية محددة في توالي هذه العلامات. لا يوجد.

أن تشير علامة على العلامة التي بعدها. ربما تظهر عدة علامات في وقت واحد، عشر علامات مثلاً.

أولى هذه العلامات بعثة الرسول ﷺ يقول ﷺ «**بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن ما بين السبابة والوسطى**» [البخاري].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝ فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾[النازعات: ٤٢- ٤٣] سيدنا محمد ﷺ من علامات الساعة لأنه لا نبي بعده، لا دين بعد الإسلام لا أمة بعد المسلمين.

علينا أن نعيش إيمانا بما أعددنا لها لأن الرجل لما قال متى الساعة يا رسول

الله كانت الإجابة القريبة لنا أن المسئول أعلم من السائل، لكن كان رد الرسول: **ماذا أعددت لها؟** هذا ذكاء رسول الله ﷺ نقله من المهم إلى الأهم.

يقول الرسول ﷺ **«لا تقوم الساعة حتى يظهر الفُحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة حتى يؤتمن الخائن ويُخَوَّن الأمين»** [مسند أحمد] هذه ست علامات في عجل نقف عند كل علامة.

عندما يظهر الفحش والتفاحش، الفحش هو الفعل الفاحش يعني ارتكاب المعاصي. والتفاحش هو الكلام عن الفحش نفسه. فعارضة الأزياء هو الفحش أما أن تتناقلها المجلات ويتكلم عنها الناس فهذا هو التفاحش، هذا هو إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.

انقلاب في الموازين...!!!

ما هو الفحش من وجهة نظر الشريعة الإسلامية؟

هو أمر يغضب الله ورسوله إذا رآه الرسول أعرض عنه وقاومه. ويستطيع كل واحد منا أن يقيس الفحش والتفاحش على الكتاب والسنة. دائمًا ضع نفسك بجوار الرسول ﷺ جالسًا بجوارك هل يرى هذه المجلة أو لا يراها؟ هل يجلس على هذه القهوة أو لا يجلس؟

قطع الرحم من علامات الساعة. قال أبو هريرة رحمي يا رسول الله أصلهم ويقطعونني أبرهم ويسيؤون إليّ أحلم عليهم ويجهلون عليّ. قال: كن كما أنت يا أبا هريرة.

ابحث عما يوضع لك في ميزان الحسنات. أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة جرعة غيظ وهو مؤمن قادر على غفرانها، قطيعة الرحم منتشرة هذه الأيام وهي السمة الغالبة.

من هم الرحم؟ الرحم هم من إذا مت يرثوني، وهم الأقارب من الدرجة الأولى والثانية والثالثة.

جاء رجل يحمل أمه على كتفيه، جاء من الشام ذاهبًا إلى مكة قاطعًا بها آلاف الكيلو مترات يريد أن يحج لها، يقول: يا أمير المؤمنين، هل قضيت واجبي نحوها؟ قال: ماذا تصنع؟ قال: اغسلها بيدي وجئت بها حاملا إياها لتقضي مناسك الحج وأطعمها بيدي، أيكفي هذا؟ قال: ولا بطلقة واحدة يوم ولادتك؛ كانت تصنع لك كل شيء وتتمنى لك الحياة وأنت تصنع لها هذا وتتمنى لها الموت!!!

ومن علامات الساعة أيضا سوء المجاورة. كان قديما الجار هو أقرب إلى جاره من الأخ وقال عبد الرحمن بن عوف ذات مرة للنبي ﷺ:أطال هذا الرجل معك بوقوفه يا رسول الله! قال: أرأيته يا ابن عوف؟ قال: بلى. قال: هذا جبريل، مازال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.

سوء المجاورة متمثلة في الفضول ودس الأنف بين أسرار الناس وهي منتشرة الآن بين الناس.

حسن المجاورة مطلوب وإن كان الجار على غير ملة الإسلام، أنا مطالب بحسن المجاورة أما أن أُحَيِّده وإما أن أدخله ديني ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ٥].

أبو حنيفة عندما باع جاره اليهودي بيته اشتراه سكير خمر، هذا من الابتلاء لأبي حنيفة، سوء مجاورة، فالشاب يجيء بالليل سكران يقول: أضاعوني وأي فتىً أضاعوا. ففقد صوته مرة أبو حنيفة! فسأل عليه، قيل له: إن الشرطة أخذته.

ذهب أبو حنيفة إلى المخفر فاهتز المكان كله، أبو حنيفة العالم الجليل، ماذا تريد؟ فقال لِيَ جار أريد أن أشفع أن تسامحوه وتدعوه. فَأُخْرج كل من في

المخفر إكرامًا لأبي حنيفة.

فذهب وراء أبي حنيفة واغتسل، وأول مرة يدخل المسجد فصلى وراء أبـي حنيفة فكان كلما رآه أبو حنيفة يقول: هل أضاعوك يا فتى؟ يقول: لا .

هذا هو حسن الجوار.

وماذا أيضًا من علامات الساعة الصغرى؟ يؤتمن الخائن وأكبر الخيانات مَنْ خان الله ورسوله. يعني رجل نوليه مسئولية فيذهب إليه أحد الأفراد فيطلب منه وظيفة، فيقول له: لا والله الشركة لا تعطي عملاً للمحجبات...!!! لماذا؟ يقول لك: أوامر، هذه خيانة لله ورسوله.

ائتمان الخائن أصبح سمة موجودة في هذا العصر وتخـوين الأمـين، يُصَـدَّق الكاذب ويُكَذَّب الصادق.

وعن الرسول ﷺ أنـه قـال: **«إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهلـه فـانتظر السـاعة»** [البخاري] أن أضع الرجل غير المناسب في المكان المناسب. يقـول الرسـول **«من ولّى وليًا لقرابة منه وهناك من المسلمين من هم الأكفاء لا يشم ريح الجنة وريحها تشـم بمسيرة كذا وكذا»**.

خلف أبو بكر بعده وبعده خلف عمر وأقربـاء الرسـول في الإسـلام كـانوا يقدمون في المغارم ويفرون في المغانم «المغارم الحرب».

كان يقدم علي بن أبي طالب وأبا عبيدة بـن الحـارث ابـن عمـه يقدمـه في الحروب، وفي الغنائم هم آخر الناس وربما لا يأخذون. هذا مثال الحاكم العادل الوالي الصالح الذي لا يقدم قرابته إلا إذا استحقوا.

والأقربون أولى بالمعروف،

في مالي الخاص، الأقربون أولى بالمعروف في المصلحة، لـيس في المـال العـام فأنا أمين عليه.

فيما رواه الإمام ابن ماجة وصححه الشيخ الألباني رحمه الله يقول سيدنا رسول الله ﷺ **«يا معشر المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»** [ابن ماجه].

أمراض ... وأمراض

من هنا نستخلص خمسة أشياء: **أولاً**: تفشي الفاحشة أو ظهور الفاحشة أو الإعلان بها، نتيجتها أن يتفشى الطاعون والأوبئة.

وأن تنتشر الأوجاع التي لم تكن موجودة في أسلافهم، السرطان مثلاً رغم تقدم العلم، إلا أن هناك أمراضًا أغرب من الخيال والطب مازال عاجزًا عنها وعن ملاحقة الأمراض العجيبة التي تظهر.

والإعلان عن الفاحشة جُرْم شديد. فقوم لوط رفع الله قريتهم حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم في السماء ثم ألقاها جبريل ذلك عند خروج الإنسان عن حدود إنسانيته وتكوينه وعبادته لربه ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: ٨٢] هذا هو الأمر الأول إذا انتشرت الفاحشة.

ظلم ... بظلم

ثانيًا: ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنين وشدة المؤنة، التلاعب في الميزان والمكيال، تذهب إلى بعض الأسواق تجد البائع يتلاعب في الميزان نفسه

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] فأنت تذهب أحيانا إلى الرجل لتشتري قماشًا مثلا ثلاثة أمتار ويُظهر الرجل أنه أعطاك زيادة ثم تذهب البيت وتجدهم ثلاثة إلا ربعًا.

فنجد أن هذا طماع وهذا طماع وهذا مطفف فيقول ربنا ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣] وليس في قضية الوزن حفظ، بل القضية المعاملة فأنا أريد أن أجور على كل حقوق زوجتي ولا أعوضها هذا يبتلينا بالسنين وشدة المؤنة بمعنى أن تقل الموارد.

والثالثة: أن يجور السلطان عليه، وما علاقة جور السلطان بنقص المكيال؟ عندما يجور الإنسان على المكيال والميزان يرسل الله من يجور عليه، الجزاء من جنس العمل.

البخل يحرم صاحبه

والرابعة: ولم يمنع زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا الدعاء لم يرزقوا.

أين زكاة المسلمين؟! هناك فقراء لا أحد يدري عنهم أحد، ما جاع فقير إلا بتخمة الغني، بمعنى لو أن الأغنياء أخرجوا زكاة أموالهم للفقراء لن يكون هناك فقراء في دولة المسلمين. إن قوت هذا في زكاة مال هذا.

عدم إخراج الزكاة يجعل الله يغضب والملائكة تغضب والرحمة لا تنزل، فالله يُنْزل المطر مرتبطًا بالزكاة فأنا عندما أزكي أُنمي إذ المطر ينزل يثمر ويُنَمّى.

انظر إلى بلاغة الرسول، لن تَدْفع ما ينمّي لن تأخذ ما يُنمّي. ولولا الدعاء ما رزقوا، هذا تحقير من شأننا لولا الدعاء ما رزقوا إلا من اتقى ربه.

سيدنا موسى وقف مع بني إسرائيل عندما وقفوا يدعون بالاستسقاء، قال

كليم الله: كدنا أن نهلك يا الله. قال: يا كليمي هناك عاص بينكم لن تُسْقَوا إلا إذا خرج من بينكم فنادى كليم الله فيهم: ولكن من الذي يفضح نفسه وبعد قليل رفع كليم الله يده للسماء ودعا فإذا بالسماء تنهمر عليهم مطرًا وفتحت أبوابها. فقال كليم الله: كيف نزل المطر ولم يخرج من بيننا؟ قال: إنه تاب فيما بيني وبينه فسترته. فقال كليم الله: دُلَّني عليه حتى أتعلم التوبة، وهذا من أدب الرسول الكريم. فقال له الله: سترته وهو عاص فلن أفضحه وهو تائب.

الرحمة العامة تأتي من الاستقامة الخاصة يعني الذي يتقي الله في نفسه والذي يقيم حدود الله فيما بينه وبين نفسه يجني الحسنة نعم.

ضياع أرض بضياع عهد ...

ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط الله عليهم من يأخذ ما في أيديهم، نقض عهد الله هذه علامة احتلال أرض الإسلام وأخذ منابع الخيرات كلها!! كيف تنقض عهد الله؟!! إن الله عَهِدَ إلينا أن نصلي فلا نصلي، وأن نزكي فلا نزكي وأن نقيم شرع الله فلا نقيمه وأن نأتمر بأوامره وأن ننتهي عما نهانا. فلم نفعل.

فما نحن فيه الآن من احتلال أرض المسلمين وأخذ ثرواتنا وكرامتنا ليس من قضاء الله وقدره بل من ذنوبنا وأنفسنا. فالمؤمن الضعيف يتعلل بالقضاء والقدر أما المؤمن القوي هو يرضى بقضاء الله وقدره.

والمؤمن لا يكون قويًا إلا إذا أقام عهد الله في نفسه، والدولة لا تكون قوية إلا إذا أقامت عهد الله. وكم من دولة أعرضت عن الله، ماذا حدث لها ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطلاق: ٨] فإن أعرضت عن ذكر الله وعهده حدث لها مثل هذا ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا﴾ [الإسراء: ١٦] فيها أصحاب القرار الإعلاميون والمثقفون والصفوة ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا

الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] وكم أهلك الله من قرون بعد نـوح لنقضـها لعهد الله.

إن نخف الله يعطنا الله الخير كله، ويُلق الرعب في قلوب أعدائنا ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۞ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٧٣- ٧٥].

وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وتختار مـا أنـزل مـن كتـاب الله ويأخـذون الأوامر من كتاب الله «ألا جعل الله بأسهم بينهم يحارب بعضنا بعضًا، لا يرحم بعضنا بعضًا، يعتلي بعضنا بعضًا، يحتكر بعضنا بعضًا، تحـدث القـرآن عـن بـني إسرائيل وأن بأسهم بينهم شديد، فهل يتحقق هذا بيننا، تحسبهم جميعًا وقلـوبهم شتى، فهل ينطبق علينا نفس الموضوع. يقول تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] إذا عكست القضية لم ينصـركم ولا يثبـت أقـدامكم.. هذا ما يحدث على الساحة في بعض الناس وتظهر العداوات، يقـول الله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائـدة: ٥٤] الآن نحـن أعـزة علـى بعـض أذلـة مع الغير.

إذا لنقرأ الحديث مرة ثانية: «يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليت بهـن وأعـوذ بالله أن تبلغوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلافشـا فـيهم الطـاعون والأوجـاع الـتي لم تكـن في أسـلافهم الـذين مضـوا ولم ينقصـوا المكيـال إلا أخـذوا بالسنين وشدة المؤنة وجَوْر السلطان، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سـلط الله عليهم عدوًا من غيرهم يأخذ بعض ما في أيـديهم، ومـا لم تحكـم أئمـتهم بكتـاب الله ويتخيروا ما أنزل الله سبحانه وتعالى إلا جعل الله بأسهم بينهم».

لماذا استعاذ المصطفى ﷺ من أن ندرك خمسة الأشياء؛ لأنها ليست سهلة، لأننا إذا انتشر الفساد أصبح الفرد غريبًا، وكلما اقترب الزمان كلما زاد أن يكون الإنسان غريبًا بين قومه وأهله.

المعصية تبدأ من النظرة فلنتعلم أن نغض البصر في التليفزيون، والأستاذ في الجامعة يغض البصر، والرجل الإعلامي يعلمنا غض البصر.

بذلك نكون أمة إسلامية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وما زال في الأمة رجال صالحون، وما زال فيها نساء الصالحات.

ولا تقوم الساعة حتى ينحسر الفرات عن كنز من ذهب أو جبل من ذهب يتقاتل كل الناس عليه، يُقْتل من كل مئة تسعة وتسعون، يقول الأخير: لعلي أكون أنا الناجي لآخذ الكنز.

علامة أخرى أن يبلغ هذا الدين كل ما بلغ الليل والنهار،الليل والنهار.

من يقين الصحابة

عندما نزل قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] هذا الجيل سمع هذا الكلام من ألف وخمسمائة سنة لا يقول: كيف هذا؟ العربي الذي نشأ في حضن الجبل ورآه أبوه ورآه جده من قبل، والجبل ما تحرك! لكن قالوا: صدق وصدق رسول الله ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]

وصفهم الله ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] نعم ليس بذكورتهم لكن بعقولهم.

ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ليس هناك مكان إلا وصل إليه

الإسلام خاصة عبر الفضائيات الآن، ولا يترك الله بيتًا في البادية ولا في الحاضرة إلا دخله هذا الدين بعز عزيزًا أو بذل ذليل، بعز يعز فيه الله الإسلام أو بذل يذل فيه الله الكفر ولم يهتز يقين الصحابة في كلام النبي ﷺ.

إن النبي عاش في مكة ١٣ سنة آمن معه ٨٤ شخصًا، عمر كان رقم ٤٠، وفي بيعة العقبة كانوا ٧٢ يعني عدد المسلمين كانوا ساعة هجرة النبي ﷺ ١٥٢١ شخصًا وقام عليهم الدين ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١- ٢].

يقول الرسول «ولد الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا» نأتي إلى قصة أبي موسى الأشعري ﷺ تبعت النبي ﷺ وهو إلى حائط بني فلان «حائط: بستان، قلت أتبعه حتى إذا دخل البستان فدخلت وأدلى، أدني رجليه بعد أن شمر عن ساقيه في بئر. قلت والله لأكونن بوابًا لرسول الله ﷺ فاستأذن فقال له النبي أَذِنْتُ لك. فجلس خلف الباب قال: أعلمني من يأتي. فطرق الباب طارق، فقلت له: ليته يكون أخي (سبحان الله يريد أخاه) من الطارق؟ قال: أبو بكر. قال النبي ﷺ: أدخله وبشره بالجنة. ثم طرق الباب طارق. قال: من؟ عمر يا رسول الله، أدخله وبشره بالجنة فدخل أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره. فطرق الباب طارق. قال أبو موسى: ليته يكون أخي. قال: من؟ قال: عثمان قال النبي ﷺ: أدخله وبشره بالجنة على بلوى تصيبه (هذا الجانب من الابتلاء وضعه العلماء من علامات الساعة، ابتلاء عثمان بهذا الشكل الذي لم يحدث حتى في عرب الجاهلية بهذه القسوة، كيف قتلوه؟ وقف على صدره بوحشية، هذا لا يعرفه العربي أصلاً) فدخل المكان فجلس بجوار رسول الله.

فقال أبو موسى في نفسه هذا بُشّر وهذا بُشّر. فذهب فطالعه الرسول ﷺ بقوله: لا تقوم الساعة حتى نقاتل اليهود ويختفي اليهودي خلف الشجر وخلف

الحجر فيقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله ورائي يهودي فتعال فاقتله إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود (نراه الآن ١٠ بليون شجرة بعد ٦٧) فتنادي الشجرة يا عبد الله (تحقق الإسلام عبادة) هذه علامة من علامات الساعة.

دعاة على أبواب جهنم

وفي الأثر: إن بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم والعياذ بالله، يصبح الرجل فيها مسلما ويمسى كافرًا ويمسى فيها مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من عرض الدنيا، لأجل منصب أو مبلغ. القاعد فيها أفضل من القائم والماشي فيها خير من الساعي فكسروا وقَطِّعوا أوتاركم بمعنى حطموا أسلحتكم ولا يقتل بها بعضكم بعضا فهي ليست لذلك بل للدفاع عن الأوطان ﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩- ٣٠].

ويقول بعض الناس: «إن سبب تأخرنا هو الدين ويقول إن الكعبة صورة من صور الوثنية. هناك من يقول إن الحجاب ليس فرضًا ويجب أن نساوي بين الرجل والمرأة» وهكذا يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بحطب من حطب الدنيا، يبيع دينه المتمثل في عهده بالله بأي صفقة فاسدة من صفقات الدنيا.

عزة المؤمن في تمسكه بالحق

وفي الحديث «**من دخل على غني أو ملك فتضعضع له بغناه فقد ذهب ثلث دينه**» والله يقول ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أبو حازم دخل على هشام بن عبد الملك فخلع حذاءه ووضعه تحت يده وقال السلام عليكم كيف أنت يا هشام. قال أبو هشام: أخطأت في الكلام، خلعت حذاءك ببابنا ولم تكلمني، ولم تسلم عليَّ بإمرة المؤمنين (أخطاء ثلاثة واضحة) قال أبو حازم

عجبًا لك يا أمير المؤمنين اخلع حذائي بين يدي الله فلا يغضب، فَلِمَ تغضب أنت؟ وقد نادى الله أولياءه قال ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١] ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ [ص: ٢٦] وكنّى أعداءه وقال ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] وكيف أناديك بإمرة المؤمنين وليس كل منا وافق أنك أمير لهم بعد فأكون كاذبًا أمام الله يوم القيامة. .

وأبو حازم رجل مخلص صادق في علاقته مع الله وأرد الله له الهداية، بمعنى أن عبد الملك كان يقول لو دخل عليّ رجل يقول: اتق الله. أقول: إنه رجل مراءً لكن لما قال سعد لعمر اتق الله كان سعد مخلصًا وكان عمر أشد حرصًا وإخلاصًا. المشكلة فينا نحن، نسأل الله الهداية، إذا أردنا أن نرفع الظلم الذي علينا فلنرفع الظلم الذي بيننا في البيوت في الجيرة وفي المؤسسة وبين صاحب العمل وبين الموظفين والمصالح الشخصية والأولاد. أرضِ رب البشر يُرْضِ عنك البشر ويخاف منك البشر ويحبك البشر، وإن آذاك البشر فهذا في ميزانك بين يدي الله.

الصبر والشكر...

يقول الرسول ﷺ «**لا الفقر أخشي عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلكم كما أهلكتهم**» [البخاري]. قال في حديث آخر: «**أصابتكم فتنة الضراء فصبرتم وسوف تصيبكم فتنة السراء فاصبروا**». أصابتكم فتنة الضراء المراد بها الابتلاء مثل الصحابة يوم الخندق كانوا جياع وبدر وأحد وهكذا وسوف تصيبكم فتنة السراء فاصبروا، الصبر هنا مطلوب قد يبتلي الله بالبلوى والعظيمة، ويبتلي الله بالسراء، تُقْبل الدنيا بالأموال ومظاهر الحياة والابتلاء بالضراء يحتاج إلى الصبر وبالسراء يحتاج إلى الشكر وهما جماع الإيمان.

علمها عند الله

عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال: دخل علينا ونحن عند رسول الله ﷺ رجل شديد بياض الوجه شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا أحد منا يعرفه فربط دابته أمام المسجد ودخل وجلس أمام رسول الله ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه وسأل النبي ﷺ: ما الإسلام؟ قال أن تشهد أن لا إله إلا الله، إلى آخر الأركان، يقول له: صدقت ما الإحسان؟ فعجبنا ما سأل إلا وصدقه حتى قال: ما الساعة؟ قال: ما المسئول بأعلم من السائل.

إذا الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام لا يعلمان وقت الساعة **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۝ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾** [النازعات: ٤٢- ٤٤].

علامتان بارزتان

قال أخبرني عن أماراتها (وهذا شاهدنا عن الحديث) **«قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان»** [رواه مسلم] قال: نعم، ثم ولّى، قال الرسول: أتدرون من هذا؟ قالوا لا نعلم قال هذا جبريل جاء ليعلمكم أمور دينكم.

عندنا علامتان كبيرتان: أن تلد الأمة ربتها، هنا تنقلب الموازين المسألة ليست سراري وأسرى وحرائر، لا، المسألة انقلاب الموازين. وأن تلد الأمة ربتها معناها أن الرجل كان يشتري الأمه فتلد منه امرأة حرة. هذه البنت تصير أمها حرة بعد ذلك. وكأن الأم في حكم الجارية لابنتها، تنقلب الموازين كما قلنا، يؤتمن الخائن ويُخَوَّن الأمين ويكذب الصادق.

أو ربما تعود الأمور إلى ما كانت عليه من سابق، يأتي عصر النساء والعبيد والإماء، كل شيء جائز.

وتجد الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان.. الإنسان الذي لا يملك شيئًا ساكن الصحراء ساكن البادية لديه ناطحات السحاب وهذا ليس يعني شرًا في ذاته، لماذا لا يبني العربي؟ هذا ليس فيه شر ما دام يشكر الله.

هنا نطلب الموت . . . !!!

قال الرسول ﷺ أيضًا: «**تمنّوا الموت عند خصال ست، عند إمارة السفهاء، وبَيْع الحُكْم، والاستخفاف بالدم، وكثرة الشُّرط (الشرطة)، وقطيعة الرحم، ونشء يتخذون القرآن مزامير ويقدرون الرجل بأمه، وليس بأفقهم مغني**» [رواه أحمد].

المقصود تمنوا أن يموت العبد منكم إذا ظهرت خصال ست في الأمة عند إمارة السفهاء على مستوى القبيلة، على مستوى المؤسسة الصغيرة، والسفيه هو الذي لا يدرك ما يصنع هذا تعريفه، إنسان سفيه رغم أن عنده عقلاً.

إمارة السفهاء، أن تجد المسئول عن مؤسسة لا يحسن استخدامها وإدارتها لا يحسن التصرف، يتآمر على أصحاب العقول وذوي الحجج وذوي الألباب.

إذا كان الغراب دليل قوم ... يمر بهم على جيف الكلاب

وبَيْع الحُكْم، لا يصح أن يقوم رؤساء المؤسسات أو الدولة ببيع المناصب.

كيف كانوا قديمًا يأتون بالحكام؟ تأتي القرية أو الدولة وتختار أحلم الناس وأوقرهم وأعدل الناس وأعقل الناس. كان في كل أمة عقلاء بين الناس، ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ [النمل: ٣٢] يجب أن يكون هناك مستشارون من الملأ وليسوا من العوام ويقول: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] هذا القول للملكة بلقيس، قالت إذا دخل الملوك قرية أفسدوها، وهي ملكة، جميل أن يكون الملوك من هذا القبيل، وهي

تقصد سيدنا سليمان ولم تعرفه بعد لا تقصد نفسها، هي تستثني نفسها من هذا، وهنا قال الملأ ﴿نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ فلم تندفع ورأت أن تختبر صدقه أولاً.. ولا يؤخذ بالرأي الضعيف، ولا يستشار من لا رأي له، ولا الإمعة الذي يكون مع الناس إن أحسنوا أحسن وإن أساءوا أساء فأهل النار خمسة منهم هذا الإمعة.

وإذا قرأت في سيرة السلف الصالح لم ترد حادثة واحدة لبيع حكم لأحد الأفراد إلا وتدهورت الدول، ما وصلت إليه السلطة في عهد النبوة والخلافة الراشدة هي أنقى ما وصل إليه الإنسان لم يشك الصحابة في خلافة أبي بكر، يقول عمر له: رضيك الرسول بديننا أفلا نرضاك بدنيانا، أي في الاثنى عشر يومًا الذي مرض فيهم النبي رضي بأن تؤمَنا في الصلاة، ألا نستأمنك على كرسي في الدنيا.

الاستخفاف بالدم يعني الاستخفاف بالقتل، يعني لو هناك حادثة على الطريق، مثلا قتل اثنان كانت القرية والمدينة تهتز، تجلس الآن أمام التلفاز فترى ٥٠ قتيلاً في حادث رصاص بين قبيلة كذا وعائلة كذا أو ٣٠ قتيلاً أصبح الحدث عاديًا والناس تأكل وتشرب استخفافًا بالقتل.

لو تفقدت نشرة الأخبار على مدى السنتين الماضيتين تجد عدد عظيما من القتلى ومثل ذلك في الحرب العالمية الثانية لم يكن موجودًا.

قديمًا نجد قابيل في حادثة قتله لأخيه هابيل ارتبك ووجد أنها كارثة، ارتبك وهو القاتل الأول ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

ويوضح الله هذا الجرم وحجمه قائلاً: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا

بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢] مع أنه قتل واحدًا ولو يُسّر له الأمر لقتل الناس كلهم. وإذا هانت عليه نفس هانت عليه البشرية كلها.

وأنت عندما تظلم إنسانًا واحدًا تظلم الإنسانية كلها التي خلقها الله وعندما يفترى إنسان منا على إنسان أو يجور إنسان منا على حق إنسان بقلم أو إشاعة فهذا لا يرضى الله رب العالمين.

امرأة دخلت النار في هِرَّة حبستها، فما بالك بقتلة البشر إنهم مخلدون في النار، وذلك القاتل ليس له توبة إلا إذا تولته رحمة الله.

أضف إلى هذا القتل، القتل المعنوي بمعنى أن يضيق الزوج مثلا على زوجته حياتها حتى تكره حياتها، هذا نوع من القتل. رجل مسئول عن مؤسسة يظلم رجلاً لا ناصر له إلا الله إلى أن تضيق به الحياة، ورجل يملك قرارًا لسجن فلان والحكم على فلان فيظلم وهكذا.

هذا استخفاف بالدم لخليفة الله في الأرض. كيف لا أكرمه، فإن أكرمته أكرمت الحبيب سبحانه وتعالى أكرم الإنسان لجانب الخلافة، والخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة. وكثرة الشرط يعني تجد في بعض البلاد أن أعداد الشرطة أكثر من عدد السكان، هذه مصيبة، الشرطة معناها أن الأمن غير مستتب في ذلك العصر، وقديمًا عندما تولى عمر بن الخطاب القضاء سنة في زمن أبي بكر، وضع خده على يديه ثم جاء ليقدم استقالته بلغة العصر، قال: أقلني يا خليفة رسول الله! بِمَ وليتني القضاء بين الناس فكل واحد عرف الحق الذي له فأخذه وعرف الواجب الذي عليه فأداه ولم يؤده منقوصًا، أقلني. سبحان الله! المفروض أن يكون الأمر هكذا في دول الإسلام.

فإنه إذا استقر الإيمان في قلوب الناس استراح القاضي واستراح المحامي

واستراحت المحاكم واسترحنا جميعًا، وما كثرة أعداد الشرطة وما كثرة شهود الزور! فهذه طامة كبرى. كثُر المحامون الذي في بعضهم خير، وفي بعضهم غير ذلك.

- قطيعة الرحم: قطيعة الرحم وضحناها من قبل في هذا الحديث.

«نشء يتخذون القرآن مزامير» شباب صغير يحفظ القرآن، يغني بالقرآن والتغني بالقرآن أن يقرأوه كقراءة النبي ﷺ، والقرآن توارد إلينا سمعًا عن سمع ليس الإيجاز فيه يعقد بالأسماع فقط وليس بالاجتهاد،لابد من تسلسل السند، نقول أخذ فلان عن فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ ولذلك يقال حفص عن عاصم، لابد.

والذي يقرأ بغير سند لا أساس له من الصحة، وهناك من يقرأ القرآن قراءة أهل العشق والهوى وهذا لا يجوز وصاحب هذه القراءة مُلام على ذلك.

ماذا أيضًا من علامات الساعة، عدي بن حاتم أبوه أكرم العرب أخته ستانة وقعت في الأسر وجاءت إلى رسول الله تقول كلامًا أدبيًا جميلاً: يا محمد أنا بنت أكرم رجل في العرب، رجل يعين الكل ويكرم الضيف ويعين على نوائب الدهر، أنا ستانة بنت حاتم طيئ فكان رد رسول الله: خلوا سبيلها فإن أباهم كان يتمم مكارم الأخلاق، «وما بُعِثْتُ إلا لأتمم مكارم الأخلاق»، والله يا أمة الله لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه.

فسرعان ما ذهبت إلى عدي، وكان عدي قد أهدر رسول الله ﷺ دمه ولم يُسَفِّه أباهم بسبب كفر الأبناء وعدم دخولهم الإسلام .

الرسول بُعث ميسرًا مبشرًا، لو لم يكن رسول كانت خلقه أحق أن تكون رسالة ومنهج حياة .

عادت إلى عدي تُؤَمِّنه فجاء عدي، وجاء به أبو بكر ورحَّب الرسول ﷺ به، وأعطاه عباءته ليجلس عليها ودخل في الإسلام .

وقالﷺ : يا عدي، هل رأيت الحيرة ؟قال: سمعت عنها وما رأيتها.

أين المدينة وأين الحيرة؟ المدينة، محاصرة من الأعراب المنافقين واليهود وعاصمة الإسلام في ذلك الوقت لا تساوي شيئًا على الخريطة وكان وقتها كسرى يعتبر العرب مجموعة من الأوباش أراذل القوم يعيشون هكذا ويقول للصحابة: أنا أعطي كل واحد منكم عشرة دنانير وتعودون من الأرض التي جئتم منها. يقول هذا لابن عامر. نظر إليهم ربعي مستخفا، وقد كان ربعي بن عامر من فقراء المدينة، أرسله سعد على رأس الوفد المفاوض بعد الفتوحات، دخل معه اثنا عشر صحابيا، وقف ربعي بثوبه وبه رقعتان ومعه سيفه، أراد جند كسرى أن ينتزعوا سيفه فقال: لا أنتزع سيفي .

انظر ماذا قال سفير الإسلام .. هذا ما جعله يستحق أن يكون خليفة، قال: أيها الملك، إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد وجئنا لنخرج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام، وجئنا لنخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، يا هذا بيننا وبينك أمور ثلاثة: إما أن تدخل في الإسلام، وإما أن تدفع الجزية، أو بيننا وبينك ساحة القتال. فاهتز كسرى في عرشه لأن الحق له سلطة.

نأتي إلى رستم القائد في معركة اليرموك يقول لخالد بن الوليد: أحقًا يا خالد أن نبيك أنزل الله عليه سيفًا من السماء فناولك إياه فأخذته، فما دخلتم معركة إلا وانتصرت؟ قال: لا إننا ننتصر لأننا آمنا بالله وأنتم كفرتم به.

يا سبحان الله كان ممكن أن يقول نعم.

نعود لقصة عدىّ بن حاتم الطائي، قال له النبي ﷺ ليتمن الله هذا الدين ليتمن الله هذا الدين حتى تخرج الظعينة من الحيرة (المرأة) تطوف بالبيت لا تخاف في غير جوار أحد، وليفتحن الله كنوز كسرى بن هرمز. قال: يا رسول الله، كسرى بن هرمز؟ قال: نعم كسرى بن هرمز وليكثرن المال حتى لا يقبله أحد.

هذا قول الرسول ﷺ لعدي بن حاتم، فماذا كان رد عدي، قال عدي: ولقد عشت بعد أن انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى فرأيت الظعينة تسير من الحيرة إلى أم القرى لا تخاف وليست في جوار أحد. الأمن استقر الآن، ثم قال: شاركت سعدًا في أن أخذ كنوز كسرى بن هرمز ولم أرَ الثالثة ولابد أن أرها لأن الرسول قد قالها، وهي أن المال يفيض. وقد حدث ذلك بعد وفاة النبي ﷺ بستين عامًا في عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز الذي قال كيف لا أُوزِع مال الزكاة؟ فقال الرئيس الأمين العام للخزائن: عدلك أغناهم يا أمير المؤمنين.

وهذه دعوة البراء بن عاذب عندما قال له سعد: ادعُ الله أن يفتح لنا المدائن اليوم أَقْسِمْ على الله لأن رسول الله قال «رُبَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبَّره» وكان سيدنا سعد مستجاب الدعوة لكنه من باب الأدب، يا براء أقسم على ربك .

فصلى ركعتين وقال: «أقسم عليك بعزتك وجلالك ألا يأتي المغرب إلا ونحن في المدائن» قرص الشمس يسقط والمؤذن يطفئ النيران، الله أكبر إن لله عبادًا إذا أرادوا أراد.

موت الغَيْرة ...!!!

من علامات الساعة أيضًا أن ترتكب الفاحشة على الطريق لا ينكر ذلك أحد. نرى هذا على الطريق وفي الشاشات ويدخل في بيوتنا، نرى هذا ولا نقول شيئًا.

انظر إلى ما جال في خاطر سيدنا علي ماذا قال في السواك عندما رآه في فم فاطمة كان يغار عليها من السواك.

هُنِّئْتَ يا عود الأراك بثغرها ما خفت مني يا أراك أراكا
لو كان غيرك يا أراك قتلته ما فاز مني يا سواكُ سواكا

كان يغار عليها من السواك هذه هي الغيرة المحمودة نسأل الله أن تعود الغيرة المحمودة والغيرة على الله.

وسعد بن معاذ كان رجلاً غيورًا جدًا فقال الرسول لصحابته أتعجبون من غيرة سعد إن سعدًا لرجل غيور وأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

زخرفة المساجد

ماذا أيضًا من علامات الساعة: إذا زخرفتم مساجدكم وهذه كثيرة وحليتم مصاحفكم يعني الاهتمام بالمظاهر.

كان سيدنا عمر إذا أراد أن يوكل رجلاً لبناء مسجد جديد كان يقول له: لا أريد أن تكون المساجد مزخرفة بالألوان والذهب لأنها تشغل الناس.

مسجد رسول الله ﷺ كان مفروشًا بالحصى ورمل الأرض، وأعمدته من جذوع النخل، والسقف جريد النخل.

الصحابة كان عندهم مال لكنهم كانوا يبنون القلوب لا الطوب. الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ولو من غير مسلم .. يقول بعض النصارى: لا يهم أن تكون الكنسية من ذهب والقساوسة من خشب، ولكن الأهم أن تكون الكنيسة من خشب والقساوسة من ذهب.

تحلون مصاحفكم بأن يكون المصحف مذهب مزخرفًا يأخذك شكله

ويوضع على الرف في المكتبة، الرسول ترك لنا المصحف وصايا، نحن زرقشناه وزخرفناه وتركناه ماذا نقول للرسول ﷺ عندما نقف أمامه؟!

خالد بن الوليد عندما يمسك المصحف يبكي ويقول: شغلني عنك الجهاد. ونحن ماذا شغلنا؟ نحن أمة لابد أن تعود إلى الدين مرة أخرى، لابد أن يجلس العلماء وتُدْرس الهزائم المنكرة للأمة كي تفيق إلى ذاتها «إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم» هذا نذير شؤم، الدمار الهلاك، هل هناك هلاك أكثر من هلاك القلوب؟ بدلاً من تحلية المصاحف أن نحفظها في قلوبنا تمامًا.

نفاق الألسنة وكذب القلوب

علامة أخرى: «إذا الناس أظهروا العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب، ويقطعوا الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم.

المعنى أن الناس تجيد الكلام الحسن ولا تعمل به. وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلب أنت تعلم أن تبسمك في وجه أخيك صدقة، فالناس تعمل دبلوماسية في التعامل، ألسنة أحلى من العسل وقلوب أمرّ من الصبر، وهذا من علامة النفاق في التعامل مع الآخرين والقرآن يقول في سورة فصلت. ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]. أن تدفع بالتي هي أحسن، من لسانك، ومن قلبك. ينقلب العدو إلى وليّ.

وتقطعون الأرحام، لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم. يصمون عن سماع الحق ويعمون عن الحقيقة فيظل أعمى في الآخرة.

* * *

ثلاث من علامات الساعة الصغرى للأسف الشديد أن يكون المسئولون عن المؤسسات أو المدن أو دول الإسلام هم شرار الناس، أن يصير الأمر بعد أن كان في أيدي الرجال، يديرونه في أيدي النساء فقط دون الرجال، وأن يصير المال بعد أن كان في أيدي الكرماء يصبح في أيدي البخلاء.

وماذا أيضًا: لا تقوم الساعة وعلى الأرض رجل يقول الله الله. كأن الخير قد اختفى تمامًا، لا يوجد مسلمون، إن المسلم الحقيقي الذي يطبق دين الله، الذي لو رآه النبي سُرَّ به ﷺ؛ لأنه يفرح بالصحابة.

فعندئذ ينزوي هذا حتى ينعدم ذكر الله تبارك وتعالى من على كل لسان..!!! ماذا يُذْكر إذًا؟ يُذْكر الدنيا وكأن المسلم ما خُلق مسلمًا، وربما يستحي أن يظهر إسلامه للناس؛ لأنه يعلم لو أنه أظهر إسلامه ربما ضغط الناس عليه ويكون إيمانه ضعيفًا ويقينه ضعيفًا فينزوي بعيدًا. وهذا هو الذي قال فيه الرسول ﷺ **«المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»** [رواه مسلم] لما رأت عائشة رضي الله عنها شبابًا يسيرون في خمول وخنوع، قالت: من هؤلاء؟!! قالوا: يا أم المؤمنين هؤلاء هم النساك (العُبَّاد) قالت: عجبا رحم الله عمر بن الخطاب! كان إذا سار أسرع، وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع، وكان هو الناسك بحق.

ورأى عمر شابًا يمشي في خمول فخفقه بالدرة وقال: أسرع في مشيك إنما الخشوع في القلب، سوف يأتي زمن على الأمة لا يوجد على الأرض من يقول الله الله.

وماذا يكسب القوم من وراء ذلك لا شيء إلا الخسران.

وماذا أيضًا، لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا خضراء، وثبت علميًا في علم الجيولوجيا وهو علم الأرض أن أرض العرب كانت خضراء. قبل أن تكون صحراء جرداء، والمراد بأرض العرب ليست السعودية فقط، ولكن الأرض العربية هي كل العالم الإسلامي وأغلبه أرض صحراوية، الآن نرى في السنوات القليلة الأخيرة بدأت بذور الخضرة تكسو عالم الصحراء، وأصبح العرب الآن هكذا. وهذا دليل على الابتكار الصناعي وأن ما يحدث يدل على علم.

أحزاب متفرقة

وعلامة أخرى: أن تفترق الأمة، افترقت على ثلاث وسبعين شعبة. افترقت النصارى على تسعة وسبعين شعبة وتفترق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين شعبة كلهم في النار إلا واحدة قالوا من يا رسول الله؟ قال «من عليه أنا وصحابتي» [سنن الترمذي].

إن المنهج الذي تركه النبي متمثل في الصحابة المتمسكين بهذا المنهج، هذا هو الإسلام، و ماعداه أرأيت من اتخذ إله هواه، من اتبع هواه أضله الله، ماذا يصنع الهوى يعمي ويصم وترى صاحب الهوى لا يقبل الحق لأنه صاحب هوى لو اجتمع علماء الأمة كلهم على أن يثنوه عن هذا الأمر لامتنع، ويجب أن نعمل وفقًا للكتاب والسنة وأن يكون هوانا تبعًا لما جاء به النبي وطاعةً للإسلام، الرسول تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يحيد عنها إلا هالك.

- قيل لأبي حنيفة بعد أن كتب كتابه في الفقه يا أبا حنيفة هل هذا هو الحق الذي لا باطل معه؟ قال: عسى أن يكون هذا الباطل الذي لا حق معه! كان يفتي الفتوى ويقول: هذا رأي أراه صوابا يحتمل الخطأ، ورأي غيرى أراه خطأ

يحتمل الصواب فمن رأى غيرنا فله ما رأى ولنا ما رأينا.

البيع الرخيص

من علامات الساعة أن يتدافع الناس عن الإمامة ولا يجدون من يؤمهم يدفع بعضهم بعضًا يريدون أن يقدموا أحدهم فكل واحد يعتذر.

- وماذا أيضًا «إذا باعوا الدين بالدنيا» تبيع الأمة الدين بالدنيا، هذا ليس ربا كما قال أشياعهم من قبل: قالوا ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة:١٧٥].

انظر إلى جرأتهم على الله، جعلوا الربا هو الأصل!! وأحل الله البيع وحرم الربا، فتسمية الأمور بغير أسمائها جريمة.

ومن ضمن علامات الساعة أيضًا أن يكثر الطلاق! وما دخل هذا بالعلامات؟!. يصبح المجتمع متفككًا بسبب الطلاق، وما يحدث الآن دليل على عدم الوفاق والوئام وأن الأسرة غير متدينة وغير قائمة على الدين، تجد في البلاد الإسلامية نسبة الطلاق فيها تربو على ٣٦ بالمئة كل مائة حالة زواج بها نحو أربعين حالة طلاق وفي بلاد إسلامية وجد أن عدد حالات الطلاق وصل بها إلى ٥٠ بالمئة وهذا دليل على عدم فهم من الزوج لحق زوجته، ومن الزوجة لحقوق زوجها.

ومن علامات الساعة الموت فجأة. كَثُرَ موت الفجاءة فهو إرهاصة من إرهاصات يوم القيامة. يقول القرآن ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] أي أن الأجل محتوم في يدي الله تبارك وتعالى.

ومن العلامات أيضًا كثرة القذف، ويُقْصد به الشُّهُب والنيازك والزلازل والمصائب التي تحدث الآن.

إطالة المنابر

منبر الرسول كان جذع نخلة في بادئ الأمر، ثم قال اتخذوا لى منبرًا، صعد على المنبر حتى أن جذع النخل تأذي إيذاءً أَنّ أنينًا سمعه كل من بالمسجد بعد ترك رسول الله له، فقال ضعوا هذا الجذع في سقف المسجد فقد تأكله الأرض فقد خدمنا، وهذا من وفاء الرسول للجذع.

لو وقف الإمام على ٣ درجات ترى لحاته وقسماته وتأثيرات وجهه، وعندما يعلو المنبر ينفصل الناس عنه وينتهي التواصل لتخرب القلوب وإذا خربت القلوب تبخّر الإيمان فيها وأصبح القلب في غل فيكره ويحسد وعطلت الحدود، حدود الله في القرآن، الزنا والسرقة والأمر بالمعروف، وقذف المحصنات.

وتعطيل الحدود فيها نذير شؤم للناس، الحدود تصلح المجتمع، إن حدًّا واحدًا يطبق في الأمة خير لهم من أن يُمْطروا سبعين خريفًا.

تغيير الخِلْقة الربانية

- تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال وفي الحديث «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**» [رواه أحمد].

- «**لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات، للحُسن المغيرات خلق الله**» [رواه مسلم] حتى جاءت امرأة بابنتها أصابتها الحصباء فقصت شعرها، ابنتي عروس يا رسول الله، هل أصل شعرها؟ قال: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**» [رواه البخاري].

تشبه كلا الجنسين بالآخر من علامات الساعة، خروج الفطرة الإنسانية عن طبيعتها، خربت الدنيا، لقد قَلَبَ سيدنا جبريل قرية على جناحه لأنهم خرجوا عن الفطرة. إذًا الخروج عن الفطرة الإنسانية إنذار بزوال الكون.

- وعلامة أخرى أن يشهد المرء من غير علم، وهو من يتطوع عن الشهادة بالأجرة مثل ما يقفون على أبواب المحاكم، هذا هو شاهد الزور.

وشاهد الزور في بيوتنا نراه كثيرًا في الخلافات الاجتماعية ومشاكل الأسرة والطلاق، ومشاكل الزوج ومشاكل الزوجة، يظهر شاهد الزور في هذه القضايا. ومن شهادة الزور أيضًا شهادة الأب لابنه بالصلاح وحسن الخلق وهو يعلم أنه يشرب الخمر ولا يصلي ويشبهه بالملاك، هذه شهادة زور. شهادة الأم لابنتها أنها على خلق وهي ليست كذلك، هذه شهادة زور.

يقول تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] اقبل الحق ولو من بعيد بغيض وأبغض الباطل ولو من حبيب قريب هذه قواعد في الدين.

النبي ﷺ غضب مرة واحدة فقط لما أراد عليٌّ أن يتزوج على السيدة فاطمة، كانت العلة عند رسول الله في المنع لإسعاد الأبناء، لا يمانع آيات القرآن وقال الرسول: «لا تمكث ابنتي وابنة عدو الله تحت سقف واحد» لا تمكث ابنتي فاطمة وابنة عدو الله بنت أبي لهب تحت سقف واحد، لو في بيت آخر يصبح الحال غير ذلك لا ضير، هذه المرأة لا بأس أن يتزوجها سيدنا علي.

هذه الفتاة الرقيقة الإنسانه الحساسة لا تجلس مع هذه. الرسول لم يغضب أو يقول مثلا: إما هذا أو هذا. فالرسول كله حنان، لا يريد أن تغضب فاطمة لأن هذه البنت آذت رسول الله قبل أن تسلم وما زال الرسول هو الرسول يعفو عن كل الناس.

فربما إذا رأتها فاطمة تحمل في نفسها شيئًا منها. وربما تتحول حالتها مع سيدنا علي إلى الأسوء ويغضب الرسول ﷺ لغضبها وهنا مشكلة كبيرة.

هذه هي علامات الساعة الصغرى، وفي الوقت الذي تظهر فيه هذه العلامات باب التوبة، مازال مفتوحًا لي ولغيري ولو بدأت علامات الساعة الكبرى أغلق باب التوبة.

وهذه هي العلامات الصغرى

١- ظهور النبي ﷺ وبعثته.

٢- ظهور الفحش والتفاحش

٣- قطعية الرحم.

٤- سوء المجاورة

٥- أن يؤتمن الخائن وأن يخوَّن الأمين

٦- أن يصدق الكاذب وأن يكذَّب الصادق.

٧- إسناد الأمر لغير أهله.

٨- قومًا بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس.

٩- انتشار النساء الكاسيات العاريات.

١٠- خدمة نساء المسلمين نساء الكفار.

١١- الصبغة بالسواد.

١٢- نزع البركة من الوقت.

١٣- أن تكلم السباع الإنسان.

١٤- نقص المكيال والميزان.

١٥- منع الزكاة .

١٦- نقض عهد الله وعهد رسوله الكريم .

١٧- عدم الحكم بكتاب الله تعالى.

١٨- انحسار الفرات عن كنز من الذهب.

١٩- انتشار الدين وعمومه كافة الأرجاء.

٢٠- مقتل سيدنا عثمان بن عفان.

٢١- محاربة اليهود .

٢٢- انتشار الفتن.

٢٣- انتشار الغنى والتنافس على الدنيا.

٢٤- انعدام الأمناء.

٢٥- نزع الأمانة من القلوب.

٢٦- رفع العلم.

٢٧- ظهور الجهل.

٢٨- انتشار الزنا وشرب الخمر.

٢٩- موت العلماء.

٣٠- انتشار الجهلاء.

٣١- نقض العهود.

٣٢- كثرة الخيانة.

٣٤- أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع.

٣٥- كثرة الخبث.

٣٦- ظهور القينات والمعازف.

٣٧- اتباع سنن وأوامر أخرى.

٣٨- الخسف.

٣٩- المسخ.

٤٠- القذف.

٤١- أن يصير إلقاء السلام للمعارف.

٤٢- قسوة التجارة.

٤٣- شهادة الزور.

٤٤- قطع الأرحام
٤٥- ظهور الأقلام.
٤٦-أن تلد الأمة ربتها
٤٧- انقلاب الموازين.
٤٨- تطاول البنيان.
٤٩- إمارة السفهاء.
٥٠- بيع الحكم .
٥١- الاستخفاف بالقتل.
٥٢- كثرة الشرطة.
٥٣- من لا فقه له يؤم الناس.
٥٤-قطيعة الرحم.
٥٥- اتخاذ القرآن مزامير.
٥٦- من لا يخشع في التلاوة.
٥٧- استقرار الأمن.
٥٨- فتح كنوز كسرى بن هرمز.
٥٩- كثرة الأموال
٦٠- ارتكاب الفاحشة على الطريق العام.
٦١- زخرفة المساجد وتحلية المصاحف وزركشتها.
٦٢- عدم تقسيم الميراث.
٦٣- عدم الفرح بالغنيمة.
٦٤- أن يصبح الولد فظًا.
٦٥- أن يصبح الشتاء قيظًا (حرًّا).
٦٦- أن يصير اللئيم فيضا أي يكثر اللئيم.

٦٧ -أن ينقص الكرام نقصا. أي يقل الكرام.

٦٨- إظهار العلم.

٦٩- تضييع العمل.

٧٠- الحب باللسان والتباغض بالقلوب.

٧١- أن يتولى الأشرار الأمر.

٧٢- أن يكون الأمر للنساء.

٧٣- أن تكون الأموال في أيدي البخلاء.

٧٤- لا أحد يقول الله الله.

٧٥- أن تعود أرض العرب مروجًا خضراء.

٧٦- افتراق الأمة إلى ٧٣ شعبة.

٧٧- أن يتقاتل الناس على المال والدنيا لا على الدين.

٧٨- تدافع الناس عن الإمامة أي لا يجدون من يصلي بهم إمامًا في الصلاة.

٧٩- كثرة الطلاق.

٨٠- بيع الدين بالدنيا.

٨١- موت الفجأة.

٨٢- إطالة المنابر وعلوها.

٨٣- تعطيل الحدود.

٨٤- خراب القلوب.

٨٥- تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال.

٨٦- شهادة المرء من غير أن يُسْتشهد.

٨٧- علو أصوات الفسقة في المساجد.

٨٨- أن يكون في القبيلة أذل من النقض.

٨٩- كثرة قذف المحصنات.

علامات الساعة الكبرى

أيام عجيبة

إن علامات الساعة الكبرى ست علامات، سوف تأتي فجأة.

فيستيقظ الناس يومًا ولم تطلع الشمس من المشرق كما تشرق، فينتظرها الناس طوال اليوم فلا تشرق ولن تشرق فيعيشون في ظلام دامس، وفي اليوم الثاني لا تشرق وفي الثالث كذلك، فلا يشعر بها إلا من يقوم الليل.. هكذا ورد في الحديث، فإن الذين يشعرون بمسألة شروق الشمس هم القائمون بالليل، أما الذين لا يقومون الليل فلا يشعرون بتلك العلامة أبدًا؟ أو يشعرون بها أنها من باب الإرهاصات.

أين غادرت الشمس مدارها! هل انقلبت موازين القوى في الكون!

قال ﷺ: **«أول علامات الساعة أن تطلع الشمس من مغربها أو أن تظهر الدابة فأيهما ظهر فالأخرى على أثرها»** [رواه أبو داود في سننه].

فالقصد أن الرسول ﷺ لم يقدم واحدة ويؤخر الأخرى، وأنا أميل لتحقيق الأحاديث، فالشمس تظهر أولاً فتمكث يومين أو ثلاثة أيام فيعيش الناس في ظلام دامس، ليس هناك شمس تطلع من الغرب، ثم تطلع الشمس من الغرب فجأة لقوله تعالى **﴿لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾** [الأعراف: ١٨٧] فيحدث للناس حالة من الذعر الشديد وتظل لمدة سنة.

سألوا الصحابة رضوان الله عليهم النبي ﷺ: «فقالوا يا رسول الله تمكث يومًا كأيامنا؟ قال: لا، تطلع من الغرب في أول يوم تمكث سنة كاملة (فدهش الصحابة) وقالوا: يا رسول الله كيف نصلي وقتها، قال: **«اقدروا لهذا اليوم قدره»** [رواه مسلم].

انظر إلى قول الرسول: «اقدروا لهذا اليوم قدره» كان الرسول ﷺ يريد أن ييسر على الأمة الأمر، أي قَدّروا بين صلاة الصبح وإلى أن تأتي صلاة الظهر.

وعندما تطلع الشمس من المغرب فقد يغلق باب التوبة، يقول النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، وإذا طلعت الشمس من مغربها ورآها أناس آمنوا أجمعون، حين لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيرًا**» [رواه البخاري].

في علامات الساعة الصغرى لا يزال باب التوبة مفتوحًا لكن مع ظهور علامات الساعة الكبرى يغلق باب التوبة، فالذي كان على معصية لا يستطيع أن يتوب، ويستمر الإنسان على ما كان عليه.

فتظهر الشمس من المغرب وتظل لمدة سنة كاملة، فيكون أول يوم كسنة وثاني يوم كشهر من أيامنا، وثالث يوم كجمعة، ومن اليوم الرابع تظل كأيامنا تلك. فيفاجأ الناس من هذا الحدث وينطق المؤمن بلسان حاله ﴿**هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس: ٥٢]

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ**﴾ [القصص: ٧٢]. وفجأة ينادي المنادي.

قال ﷺ: «ولتقومن الساعة وقد حَلَب الرجل لِقْحَتَهُ (الناقة) فلا يطعمه، ولتقومن الساعة والرجل يَليطُ حوضه لا يسقى منه (أي يصلح الحوض أو يبنيه فلا يكمله)، وقد رفع عبد لُقْمته إلى فيه فلا يطعمها.

وتمكث هذه الأحداث لمدة سنة من أيامنا وبعد ذلك شهر وبعدها أسبوع وبعدها يوم.

وسوف يشغل الإنسان بالأحداث عن حساب الزمن لمدة شهر أو شهرين أو ثلاثة أشهر تقريبًا.

فلما تطلع الشمس من مغربها إذا بالدابة تظهر فقد قال الله ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] فتتكلم الدابة بكلام الناس يسمعها القاصي والداني.

ودخل علماء كثيرون في وصفها لكن نحن لن نقف عند هذا الأمر، فهي دابة تسير على أربع مثل ناقة صالح تختم الناس على خراطيمهم «أنوفهم» لقوله تعالى ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦].

معها عصا موسى وخاتم سليمان، قال ﷺ: «معها عصا موسى وخاتم سليمان» [رواه الترمذي] فتلمس وجه المؤمن بعصا موسى فيصير على وجهه نور وهالة من الضوء، والناس تنظر إليه وتناديه بـ «يا مؤمن»، وتلمس وجه الكافر الفاجر بخاتم سليمان فتكون على وجهه غبرة، ويناديه الناس بـ «يا كافر».

فينقسم الناس إلى قسمين وتختبئ الأسماء وصيغ المناداة وقتها بين البشر كل البشر الموجودين على الساحة وقتها: «يا مؤمن ويا كافر».

وسوف تتغير الكرة الأرضية تغيرًا كاملاً شاملاً من أسفل ومن أعلى قال تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨] وتضع الدابة قدمها على آخر ما تقع عليها عينها.

وتأتي العلامة الثالثة هي الدخان يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۞ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠- ١١].

والدخان يُظْلم الدنيا ويظلم العالم، ويسير على رأس المؤمن مثل الزكام البسيط ويسير على رأس الكافر كنيران تغلي فوق رأسه، ويدعو الناس ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] ولا يستجاب الدعاء آنذاك إلا دعاء المؤمنين لأنهم عباد الله.

فلما تأتي هذه العلامات وتتواتر الأحداث يأتي إبليس ويريد أن يسلم ﴿أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] فوطئته الدابة فقتلته.

ويأتي الدخان بعد وقت من ظهور الدابة، وفور ظهور الدابة تأتي علامات الساعة متسارعة متتابعة يقول عنها النبي ﷺ: «آيات تتابع كنظام بالٍ قُطع سلكه (أي خيطه)» [تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي]. وتظل الساعة بعدها كحامل البطن لا يدري أهلها متى تضع فقد تأتي بعد ساعة بعد نصف ساعة بعد ساعتين والكل في حالة ترقب، وأناس يموتون في هذا الوقت، يموتون على ما كانوا عليه.

المسيخ الدجال

ثم تأتي المصيبة الكبرى «المسيخ الدجال» أو «المسيح الدجال» كلاهما في اللفظ صحيح، فالمسيح أو المسيخ الدجال ما من نبي ولا رسول إلا وحذر أمته منه والرسول ﷺ يقول: «ولا من نبي إلا وقد حذر أمته ولأخبرنكم بشيء ما أخبره نبي أمته قبلي ثم وضع يده على عينيه ثم قال أشهد أن الله عز وجل ليس بأعور» [رواه أحمد]، فالرسول يحذر أمته منه وظل يحذر فوق المنبر حتى قال عمر ظننت أنه بجواري.

انظر إلى مدى تأثر عمر بكلام النبي!

ويقول ﷺ إن للمسيخ الدجال علامات واضحة، فهو سيكون إنسانًا مثلنا وشبهه الرسول بأحد الأعراب الموجودين في الجزيرة العربية يومها.

عينه اليمنى ممسوخة كأنها من نحاس، شكله مرعب، وعينه طافية كالعنبة جاحظة كل مؤمن يقرأ على جبهة المسيخ الدجال كلمة (كافر) حتى قال الرسول يقرأها كل قارئ وكل أمي لا يقرأ يقرئه الله عز وجل. فإذا رأيتموه فقرأوا عليه

فواتح سورة الكهف، أي يقرأ أول أربع آيات من سورة الكهف من قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]. إلى قوله تعالى: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤].

ولابد أن يتعودها المؤمن كل ليلة ويقرأها قبل أن ينام، لأنها خير للمؤمن، فمنها أنه يستيقظ لصلاة الفجر، ومنها إذا ظهر المسيخ الدجال لا يسلطه الله عليه.

ثم إن المسيخ آتاه الله فتنًا عجيبة في هذه الآونة، فعلاماته أن عينه جاحظة شعره أجعد منظره مرعب وغير مريح، في هذه الآونة السماء لا تمطر والأرض لا تنبت زرعًا وضروع البهائم ليس فيها لبن فيأتي فيقول للسماء أمطري فتمطر وللأرض انبتي فتنبت وللضروع امتلئي لبنا فتملئ الضروع، فيحدث فتنة ويؤمن به الناس، ويقول أنا نبي الله، والرسول ﷺ يحذرنا منه «فإذا سمعتموه فلا نبي بعدي، ويقول أنا ربكم، يؤمن بعض الناس به وأكثر أتباعه من اليهود والمنافقين والنساء، حتى يعود الرجل إلى بيته فيربط زوجته وأمه وابنته وعمته وخالته خشية أن تتبع المسيخ الدجال».

ويقول الرسول **«أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت و(المسيخ الدجال) أعور، وربكم ليس بأعور»** [رواه الترمذي] فالرسول يعلم أصحابه القضايا.

فمع المسيخ الدجال جنة ونار، أو يقول للناس إنه معه الجنة والنار فالذي يطيعه ويؤمن به كرب فيطعمه ويسقيه. فقال الصحابة: وما طعام المؤمنين يومها يا رسول الله؟ قال: **«طعام المؤمنين يومئذ التسبيح والتقديس والتحميد والتهليل قالت عائشة فأين العرب يومئذ قال العرب يومئذ قليلٌ»** [رواه أحمد].

فقد قال الرسول ﷺ وهو يخطب ويصف **«يا عباد الله اثبتوا، فاهتز عمر فلما رأى عمر يهتز قال: ما عليك يا ابن الخطاب فإن ظهر وأنا فيكم فأنا حجيجه وأن يخرج**

بعدي فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وأنه يخرج من خلة بين الشام والعراق» [سنن ابن ماجه].

فيطمئن النبي الصحابة ويخبرهم أنه إن خرج في عهده ﷺ فالرسول هو الذي يستطيع أن يقاومه، أما إن ظهر بعد عهد الرسول فالمرء هو الذي يدافع عن نفسه بإيمانه، فيعتمد على نفسه بما لديه من تقوى الإيمان،

أما آن لك أن تزود رصيدك من الإيمان حتى تقاوم المسيخ الدجال؟

ويمنع المسيخ الدجال من دخول ثلاث مواطن (مكة، المدينة، بيت المقدس) ويحاول الدخول إليها هو وجيشه لكن تطردهم الملائكة، فهو معه سبعون ألف من يهود أصفهان، فقد نُقِل عن رسول الله ﷺ أنه معه آلاف مؤلفة ويحملون السلاح، ثم يخرج إليه المنافقون من المدينة فتنقي المدينة خبثها كما يطرد الكِير خبث الحديد.

ويسعى هو ومن معه في الأرض فسادًا، وسرعته أسرع من الريح المرسلة لا يسلط أحد عليه كما لا يسلط أحد على إبليس فلا يقدر عليه أحد ولا يقدر أحد على قتله حتى يأتي الفرج من الله عز وجل فينزل المسيح عليه السلام وهذه هي العلامة الخامسة

نزول سيدنا عيسى عليه السلام

لقد حدد النبي أن سيدنا عيسى قد ينزل عند المنارة الشرقية شرقي دمشق عليه مهرودتان أي كساءإن إذا طأطأ قطر من صدغيه كحب الجمان، وإذا رفع علاه نور.

ينزل عليه السلام فيدخل على المسلمين في صلاة الصبح في المسجد فيهتز المسجد، يعرفه كل المسلمين فيعود الإمام إلى الخلف في القهقرى لكي يتقدم المسيح ليصلي فيدفعه المسيح ويقول إني جئت تبعًا لأخي محمد. ويقول المسيح

للمؤمنين افتحوا هذا الباب فيفتحوا الباب فيجد المسيخ خلف المسجد! فلما يجد المسيخ ريح عيسى ينماس كما ينماس الملح، أي يذوب كما يذوب الملح فيحدث هذا الحدث في فلسطين فيقطره عيسى ﷺ على باب مدينة الله في فلسطين، ثم يكسر الصليب، ويحكم الأرض أربعين سنة بالعدل ولا يصلي بالمسلمين، يصلي بهم أئمة المساجد ويصلي عيسى ﷺ مأمومًا، ثم يوحي الله عز وجل إلى عيسى أن اذهب بعبادي جانب الطور لأن بقية المؤمنين هناك.

خروج يأجوج ومأجوج

ثم تأتي العلامة السادسة وهي خروج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حَدَبٍ ينسلون، يمرون على بحيرة عذبة فيشرب أولهم فعندما يمر آخرهم فيقول قد كان في هذه البحيرة ماء منذ زمن، فيشربون حتى تجف البحيرة، ويختبئ عيسى ومن معه عند جبل الطور فيدعون ربهم أن يخلصهم من هؤلاء القوم، لأن مصائبهم وانتهاكاتهم للعباد والبلاد كثيرة وخطيرة.

ويصاب يأجوج ومأجوج ومن معهم بمرض في رقابهم يسلط الله عليهم ديدان وحشرات تأكل رقابهم حتى يموتوا، فتأتي طيور من السماء لها أعناق كأعناق البخت أي كرقاب الحمل أو البعير، ترفع جثثهم ثم تلقيها في البحر، ثم تهطل السماء مطرًا غزيرًا تغسل الأرض من جثثهم ورائحتهم.

ثم يقول الله للأرض ردي بركتك فتعود البركة على الأرض، فتلعب الصبيان مع الحيات، وترعى النمور الأبقار، وتكون الذئاب مع الغنم كالكلاب تحرسها، وتكفي القدح من اللبن الفئام (الجماعة) من الناس، ويستظل الفئام من الناس بقشرة الرمانة، قيل يستظل فيها مائة رجل أو مائتا رجل؟ ثم تهب ريح طيبة تقبض المؤمنين من تحت إباطهم فلا يبقى على الأرض مؤمن، ولا يبقى إلا لكع ابن لكع، ويبقى الناس يتهارجون تهارج الحمر «كالحيوانات».

ذُكِرَ أن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها وهي إحدى الصحابيات الجليلات قالت: سمعت الرسول ﷺ ينادي «الصلاة جامعة» فذهبنا إلى المسجد فكنت أول صفوف النساء التي تلي الرجال، فصعد النبي ﷺ بعد أن صلى ، وقال: والله ما جمعتكم لرهبة ولا لرغبة ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلاً نصرانيًا فأسلم فحدثني حديثًا حدثتكموه من قبل فجاء تميم ليعلن إسلامه ويخبر الرسول ﷺ والصحابة بأمره قال: يا رسول الله ركبت مع ثلاثين رجلاً فلعب بنا الموج شهرًا حتى أطفئوا إلى جزيرة (أي وصلت السفينة إلى شاطئ الجزيرة) فاختبئنا عند حافتها فإذا بدابة لا يعرف لها قُبُل من دُبُر (من كثرة شعرها) فقالت لهم من أنتم ففزعنا منها لأننا ظنناها شيطانًا (فالعرب قديمًا كانوا يعتقدون في الجِنَّة) قالوا نحن قوم من جزيرة العرب ركبنا السفينة فلعبت بنا الأمواج شهرًا فأطفئنا إلى هذه الجزيرة، فقالوا؟ ويلك! فمن أنت؟! فقالت: أنا الجساسة؟ فقالوا: وما الجساسة فلم ترد عليهم (والجساسة هي تعني أنها تجوس في الأرض كلها كقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ [الإسراء: ٥]. أي دخلوا وتجولوا فيها بتسرع وشدة) قالت: إن هناك شخصًا في هذا الكهف مشتاق أن يراكم ففزعنا منها فصارت أمامنا فدخلنا فإذا أعظم صورة رأينا حجمًا (أي ضخم)، ويداه إلى عنقه مكبَّل ما بين ركبتيه إلى كتفيه، مُكبَّل بسلاسل من حديد قال من أنتم، قلنا: نحن قوم.... وأعادوا القضية.

قال: ماذا صنع نخل بيتان؟ قلنا أي شيء تستخبرنا ؟ قال: ما زال يثمر؟ قلنا: نعم، قال: فإنما يوشك ألا يثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، قلنا عن أي شيء تستخبرنا؟، فقال: هل فيها ماء؟، قلنا: هي كثيرة الماء، قال: إلا أن مائها يوشك أن يذهب ويجف.

قال أخبروني عن عين ذوره، قلنا: عن أي شيء في شأنها تستخبرنا؟، قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟، قلنا: نعم، فمائها كثير وأهلها يزرعون من مائها.

قال أخبروني عن نبي الأمين، قلنا: بعث، قال: ماذا فعل؟، قلنا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟، قلت: نعم، [وقد كان هذا الحدث بعد غزوة الخندق]. قال: كيف صنع؟، قالوا: إنه قد ظهر عن من يليه من العرب فأطاعوه ودخلوا في دين الله، قال: خيرًا أن يؤمنوا.

ثم قال لهم: أنا المسيح أو المسيخ الدجال.

ولقد ذكر الرسول ﷺ أنه سيظهر من بعده ثلاثون دجالاً كلهم يَدَّعون النبوة أولهم مسيلمة وآخرهم المسيخ الدجال.

اختلف العلماء والمفسرون حول حقيقة اسم المسيخ الدجال فهناك قول من الأقوال أنه السامري.

ولكن لم يرد للمسيخ الدجال في الأثر اسمه الحقيقي ولقد سماه الرسول ﷺ بالمسيح الدجال.

قد ذكر أن صبيًا يهوديًا بالمدينة يدعى بـ [ابن صياد] كان ابن صياد فتى في المدينة (أي غلام في سن البلوغ)، وكان هذا في العام السادس أوالسابع الهجري تقريبًا.

وفي هذا الوقت بدأت الرسائل تتوافد بعد عام الفتح من رسول الله إلى الملوك والرؤساء وأصبحت المدينة عاصمة الإسلام.

قال الصحابة لما سمعوا من رسول الله ﷺ أنه يتحدث مرات عديدة عن المسيح الدجال أنهم شاهدوا صبيًا في المدينة يقول كلامًا عجيبًا قد فاق سنة،

ويبدو أنه كان أعور، وكان اليهود يخيفون المسلمين به، فبدأ الصحابة يَشُكُّون أن يكون هذا المسيح الدجال، وذلك بسبب كثرة كلام الرسول ﷺ عنه وأنه يهودي وأنه يتبعه سبعون ألفًا من يهود أصفهان.

فذهب الصحابة وحدَّثوا النبي عن هذا الصبي، فذهب النبي ﷺ وصاحَبَه عمر فقط حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند بنى مزار (مكان في المدينة)، فوضع النبي يده على كتفه وقال لابن صياد: أتشهد أني رسول الله، قال أشهد أنك رسوله الأمين، (وفي طريق النبي لابن صياد نزل عليه جبريل بسورة الدخان) فأراد النبي ﷺ أن يختبر الصبي ويعلم أهو المسيح الدجال وأنه يُوَحى إليه كما يدعي أم أنه فتى يخبره شيطانه).

فقال الرسول له: إني قد خبأت لك خبيئة، وخبأ له ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فقال ابن صياد: هو الدُّخُّ، قال النبي: خَسِئْتَ لا تعل قدرك لقد لَبَّسَ عليك شيطانُكِ. فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنقه يا رسول الله. فمنعه الرسول وقال لا يا عمر؛ فإن كان هذا المسيح الدجال فلا يسلط الله عليه أحد ليقتله إلا ريح عيسى عليه السلام، وإن كان صبيًا وقد خبره شيطانه بهذا فما الاستفادة من قتله.

* * *

يظهر المسيخ الدجال والناس في حالة من ضعف في الدين، وتسبقه علامات قد ذكرناها من قبل، ظهور الشمس من مغربها والدابة والدخان، وقد يُشْغل أعداد المسلمين بتفاهات الأمور.

ولقد أنزل الله عز وجل سيدنا عيسى لكي يؤكد ما قاله النبي ﷺ، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩]. أي يوم يؤمن الناس قبل موت عيسى عليه السلام وموت الشخص نفسه.

وقد ينزل عيسى عليه السلام تحديدًا لعدة أسباب:

أولاً: ليثبت لأتباعه الذين أَلَّهوه أنه ليس بإله.

وثانيًا: ليرد على الذين قالوا من اليهود إننا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، «فينزل عيسى يوم القيامة ليؤكد أنه ما زال على قيد الحياة وأنهم ما قتلوه وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم﴾ [النساء: ١٥٧]. أي أنهم لم يتمكنوا من قتله عليه السلام.

فلما يأتي عيسى أمام الناس يظهر نتيجتين النتيجة الأولى: إيمان المسلمين الموحدين أن كلام الله صدق فيزداد الذين آمنوا إيمانًا، وأنه قتل شبيهه. الأمر الثاني: أن عيسى أساسًا رفع إلى الله سبحانه وتعالى وقتل شبيهه، فلما رفع فما زال حيًا بين المسلمين ويبشرهم بأماكنهم في الجنة.

وعيسى عندما ينزل لا يصلي إمامًا أبدًا بالمسلمين؛ لأنه لو صلَّى مكان الإمام لحدث لَبْس، ولكنه يصلي تابعًا لرجل عادي وهذا إثبات أدب سيدنا عيسى مع أخيه سيدنا محمد وأنه قد ثارت عليه هذه الضجة الكبيرة باتخاذه إلهًا أو ابن إله فلا بد من ردّ عملي لأن الناس أحيانًا لا تؤمن إلا بالمشاهدة. وينزل

عيسى عليه السلام وهو أطول الأعمار الموجودة.

ويأتي البشر يوم القيامة كلهم في سن واحد، كلهم رجال ونساء طفل وهرم كلهم في عمر عيسى عليه السلام لما رفع عند ثلاثة وثلاثين سنة.

أمهاتهم شتى ودينهم واحد

فالأنبياء إخوة لعلات أي من أمهات مختلفة، ودينهم واحد، ما نجد في القرآن كلمة أديان؛ لأن هذا المصطلح غير شرعي، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا﴾ [الشورى: ١٣]. يقول أن أقيموا الدين وليس الأديان، ويقول أيضًا: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وأيضًا: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]. ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ولذلك يقول الأنبياء إذا أرسلوا لقومهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] فهذه شرائع وليست أديان إذن الاختلاف في الشرائع وليس الأديان، الاختلاف في الشرائع نتيجة البيئة.

وينزل سيدنا عيسى ابن مريم تحديدًا؛ لأنه آخر واحد قبل النبي ﷺ ولم يكن بين سيدنا عيسى عليه السلام وبين سيدنا محمد ﷺ نبي فهو أقرب إلى النبي ﷺ.

ويصف النبي ﷺ سيدنا عيسى عليه السلام أنه ليس بأسمر ولا أبيض بين هذا وذلك، وأنه عليه ثوبان ورأسه يقطرو لم يصبه بلل وأن أول من يراه المسلمون يعرفونه، إذا تقاطر من جبهته كحبات الجُمَان ورائحته زكية فيدق الصليب أي يكسره كرمز أن هذا ليس الصلب والقتل، ويقتل الخنزير، لأنهم قد

أباحوا لأنفسهم أكله، وقد حرمه الله عليهم في الإنجيل، ويضع الجزية ويعم الأمان الأرض أربعين سنة، ويدعو إلى الإسلام، فيُهْلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيخ الدجال.

وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم.

فيمكث ذلك أربعين سنة ثم يُتوفَّى ويصلي عليه المسلمون .

المصيبة الكبرى

وتظهر المصيبة الكبرى وهي يأجوج ومأجوج على حياة سيدنا عيسى عليه السلام، فلما يأتي يأجوج ومأجوج يقتلون الناس ويسعون في الأرض فسادًا.

ويوحي الله إلى عيسى عليه السلام أن حرر عبادي جانب الطور، وركّز العلماء على أنهم الصينيون بجنوب شرق آسيا، ولكن وصفهم النبي بقوله: «يأتي يأجوج ومأجوج عِراض الوجوه صغار العيون شُهْب الشّعافِ وهم من كل حَدَبٍ ينسلون» [رواه أحمد].

استيقظ النبي ﷺ ذات مرة مذعورًا فخافت السيدة عائشة وقال النبي ﷺ: ويل للعرب من شر قد اقترب، نُقِبَ في سد يأجوج ومأجوج اليوم (أي فتح فتحة) فهم يقولون غدًا يفتح، غدًا يفتح، إلى أن يُقَال غدًا إن شاء الله يفتح، فيفتح.

* * *

أول منازل الآخرة

يستوي فيه الصغير والكبير

لقد قال «ذو النورين» عثمان بن عفان إن أول منزل من منازل الآخرة هو خروج الروح ثم الدخول إلى القبر، فإن كان يسيرًا كان الذي بعده أيسر، وإن كان شديدًا كان ما بعده أشد، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

فكل إنسان يعيش في هذه الحياة ثم تأتي لحظة الرحيل، لا بد أن تنتقل من هذه الدار إلى دار الحياة الأساسية، يقول الله ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩]. لأنها هي الحياة الأصلية، والله يرسل إلى البعض نُذُرًا مثل كبر السن، وربما مرض مُستعصي، حادثه معينة توقفه وتجعله يعيد فيها حساباته، وربما أتاك بالذنب لتتوب فكان سببًا للوصول إلى الله.

إن الموت لا يكون قريبًا من كبير السن عن صغير السن، ولا ملك الموت أقرب إلى المريض منه إلى الصحيح، فإن ملك الموت معه مواعيد محددة يُبلغ بها يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وهناك موت يكون راحة للمؤمن وحسرة على الفاجر، مرض الموت هذا من باب رحمة الله للعبد، وتكفير للسيئات ومحو للذنوب، ورفع في الدرجات مِنَّة من الله سبحانه وتعالى. فينبغي على الإنسان أن يذكر الموت على الأقل في كل صلاة، أي يصلي صلاة مودع.

أعراض الموت

ويُعْرف الموت بعدة أعراض، منها أنه يُحْجم اللسان عن الكلام، وربما

يَدْخل الإنسان في عالم آخر، ويرى أمورًا لا نراها (أمورًا غيبية) ونحن ما زلنا في الدنيا.

فقد قال جل شأنه ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] أي أكثر حده يرى حقائق الأمور، يرى عظمة الآخرة.

مَرَّ البصري على قوم يبكون، فقال: قد يكون تُوُفِّيَ لهم أحد، ثم قال: سبحان الله!! فليبكوا على أنفسهم قد نجا من ثلاثة ما نجوا منها بَعْدُ: وجه ملك الموت، ومرارة الموت، ومكانه في الجنة أو النار، فليبكوا على أنفسهم.

وتمتلئ الغرفة بملك الموت وأعوانه، فريقين لكل مُتَوفَّى، فريق من الملائكة ملائكة الرحمة، و آخر من ملائكة العذاب.

فإن كان عمله صالحًا تنزل ملائكة الرحمة وإن كان طالحًا تنزل ملائكة العذاب.

والملائكة لا تعلم هل كان عمله صالحًا أم طالحًا إلا بعد أن يوحى إليها رب العباد، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٦، ٢٧] فيسأل ملك الموت ملائكة الرحمة أو العذاب بعدما يخرج اليوم من يرقي هذه الروح. فتقول ملائكة الرحمة: هو معنا من الصالحين، فيأخذوها، أو تقول ملائكة العذاب: هو معنا إنه من أهل الجحيم، فيأخذوها. فإن تنج منها فقد نجوت من ذي عظيم. والروح إن كانت طيبة تُنْزع بسهولة ميسورة، وإن كانت خبيثة تُنْزع بصعوبة شديدة.

بضاعتك رُدَّت إليك

والروح من أمر الله لا يدرك الإنسان عنها شيئًا هل هي لطيفة نورانية؟ هل هي كيان؟ هل هي كون؟ قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] فالروح هي التي تسيطر على البدن، و لا نستطيع أن نحكم أن هذا الرجل من أهل الجنة أو من أهل النار لكن سابقه أعماله تدل على مكانه.

توجد الروح في الجسد كله فليست في مكان محدد.

وملائكة الرحمة معهم حنوط وأكفان من الجنة، ولم يرد شيء في وصف كيفية خروج الروح وتكفينها بهذه الأشياء، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] مهمته نزع الروح وفصلها عن البدن.

ويقال إن سكرات الموت شيء لا يوصف، فقد قال ابن عباس في وصف عمرو بن العاص وهو ينازع، قال يا عمرو كيف تشعر؟ قال: كأنني عصفور على مقلاه زيت تحتها نيران ساخنة حامية، لا يستطيع أن يطير فينجو ولا يموت فيستريح. ثم قال: وكأن روحي تخرج من ثُقْب إبرة.

فتأتي الملائكة (ملائكة الرحمة) بحنوط وأكفان من الجنة فتلفها (والحنوط: أقمشة معطرة فيها رائحة جميلة) ثم ترفع إلى السماء وتفتح لها أبواب السماء، لها رائحة زكية، تناديها الملائكة بأحب الأسماء إلى صاحبها في الدنيا، وتسلم عليها، ثم ترفع إلى الملأ الأعلى وهي في هذا الخير حتى يقول رب العباد: وسّعوا لعبدي في قبره واجعلوه له مد البصر، وافتحوا له بابًا ليرى مقعده في الجنة فيقول العبد وقتها يا رب عجل بالساعة.

وتخرج الروح مع ملائكة الرحمة تنادي بأحب الأسماء إليها ولها رائحة طيبة، فبالعمل الصالح يرفعه الله سبحانه وتعالى فقد قال: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] أما الروح الخبيثة فهي نتنه لأنه أظهر الفساد في البر والبحر ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

الذنوب لها رائحة لا تشمها إلا الملائكة، وكذلك الحسنات لها رائحة.

فتخرج روح العبد الخبيث نتنه وتغلق في وجهها أبواب السماء، وتقول الملائكة روح من هذه؟!! يقولون فلان بن فلان بأسوأ أسمائه في الدنيا، فيقول الله: ضيقوا على عبدي قبره حتى تختلف أضلاعه واملؤه له حيات وعقارب وافتحوا له بابًا يرى مقعده من النار، فيقول العبد: يا رب لا تعجل بالساعة، لا تعجل بالساعة.

يحمل الناس الميت متجهين به إلى القبر مسرعين به فإن كان صالحًا يستبطئ السرعة، ويقول: لا تؤخروني، لو تعلمون ما ينتظرني من الخير لعجلتم بجنازتي. أما إن كان طالحًا يقول علامَ تسرعون بي، لو تعلمون ما ينتظرني من الشر ما أسرعتم بجنازتي، يا ويلي يا ويلي!!!.

يقال أن المتوفى أشد استماعًا من الحي في هذه اللحظة، وأفضل دعاء له «اللهم اغفر له وثبته عند السؤال» فعندما نضعه في قبره نستغفر له فإنه الآن يسأل.

تجهيز الميت

أول شيء يفتح بعد موت الشخص الوصية (فلا بد أن يكتب وصية) وأهم بنود الوصية: من يغسله، من يكفنه، من يصلي عليه.

ولا يجب أن يكثر المغسلين في الغرفة، ثم نحرك أعضاءه كالرجلين واليدين حتى نهيئه للتغسيل، ثم يغسل بماء فاتر لا هو شديد البرودة ولا هو شديد السخونة؛ لأنه يشعر ويحس، ثم يضغط على بطنه، حتى لو كان بها نجاسة، ونسد الفتحات التي يمكن أن يأتي منها أذى، كي لا يتأذى الحي، فنضع في فمه قطنه وفي أنفه قطنة وفي عينه قطن وفي أذنيه وفي فتحه الشرج.

ونجرده من ملابسه كاملة ونضع عليه ثيابًا أخرى ويغسل كما يغتسل الحي، يبدأ بالشق الأيمن ثم الشق الأيسر ويُوَضَّأ بدون مضمضة أو استنشاق، ثم يكفن بكفن شرعي.

يقول أبو بكر الصديق إذا مت كفنوني في ثوبي هذا فإنما الكفن للدود أبقوا الجديد للحي.

والكفن الشرعي عبارة عن قماش أبيض رخيص الثمن بسيط سهل ليس حرير، للرجل ثلاث أثواب وللمرأة خمسة، ويعطر الميت وكفنه.

والذي يغسل يضع خِرْقه على يده حتى لا يلمس جسد المتوفى.

وهناك خلاف بين العلماء في تغسيل المرأة لزوجها أو الرجل لزوجته فالجمهور يرون هذا، لكن أبا حنيفة يرى أنه لا يجوز لأن العقد (أي عقد الزوجية) انقطع بالموت، وإن كانت أوصت أو أوصى فتنفذ الوصية. ولا كلام في الغسل تمامًا.

ثم يُحْمل فإذا كانت امرأة لا يحملها إلا محارمها (من كان لا يصلح للزواج منها في الدنيا) هذا من باب الأدب مع حُرْمه المتوفَّى، وإذا كان المتوفَّى واضعًا أسنانًا من ذهب يُخْلع.

ويحدث لمن مات بقنبلة أو بانفجار أو مات ضربًا بالرصاص أو في طائرة أو غرقًا مثل ما يحدث للذي مات على سريره تمامًا، ينزل ملك الموت في هذه اللحظة منتظرًا روحه فيخرجها بقدرة الله ولو مات آلاف الناس في لحظة واحدة فإن الله عز وجل أعطى ملك الموت ومن معه هذه القدرة على استخلاص الروح ولم يرد في الكتاب وفي السنة (اسم ملك الموت).

فجبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت كبار الملائكة، وسيدنا جبريل

سيد الملائكة وأمين وحي السماء، ومن الأفضل أن نقول ملك الموت بـدلاً مـن أن تقول عزرائيل.

من وصف الملائكة

لقد رأى النبي ﷺ ملك الموت فرأى رأسه في السماء ورأى أقدامه وأجنحته تسد مشرق الأرض ومغربها فلما تعجب النبي ﷺ قـال لـه ملـك المـوت: فمـا بالك لو لقيت إسرافيل فأنا بالنسبة له كحلقه ملقاه في فلاة (صـحراء) يتصـاغر خوفًا من الله حتى يصير كالعصفور الصغير.

فالملائكة يروننا ونحن لا نراهم؛ لأننا لسنا في حاجة لأن نراهم فهـم يروننـا رعايةً وحمايةً وحفظًا وكتابـةً للحسـنات ومشـاركة في الحـروب ورحمـة مـن الله ولكننا يوم القيامة نراهم.

إذًا ملك الموت موكل إليه قبض جميـع الأرواح في أي وقـت في أي مكـان بأي عدد، والجسد المتناثر يجمعه الله تعالى، ففي صحيح مسلم أن رجـلاً يهوديًـا فيمن كان قبلنا أوصى أبناءه أنه إذا مات أن يحرقوا جثته وينثروا نصفها في الـبر ونصفها في البحر، ففعلوا ما أوصى به أبوهم، فقال الله: يا بر اجمع ما فيك، ويا بحر اجمع ما فيك، وقال له الله: ما الذي دعاك لفعل هذا؟ قال: خوفًـا منـك يـا رب، قال الله: قد غفرت لك فقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤].

وكل شيء يبلي من ابن آدم إلا عجب الذنب وهـو عظمـة صـغيرة أسـفل سلسلة الظهر، وكل الموتى يغسـلون إلا الشـهيد في المعركـة، والشـهيد الوحيـد الذي لا يشعر بألم الموت يشعر كأنـه وخـز إبـره فقـط. ويجـب ألا تتبـع الجنـازة بصوت ولا ذكر كان ابن عمر يسير في جنازة فقـال رجـل صـائحًا: اذكـروا الله واستغفروا الله. قال: اسكت لا غفر الله لك.

وقال عمرو بن العاص لما أموت لا تُدْخلوا على من يلبس أحمر! قالوا: لِـمَ يا عمرو «قال: أخشى أن تخاف روحي تظنها النار، لأن أي حركـة غـير طبيعيـة ترعب المتوفى.

عن البراء بن عازب ﷺ خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجـل مـن الأنصـار فانتهينا إلى القبر ولم يُلْحد بعد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن علـى رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكـت بـه في الأرض، فقـال: اسـتعيذوا بـالله مـن عذاب القبر مرتين أو ثلاثة، فإن العبد إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبالٍ علـى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشـمس معهـم أكفان من الجنة وحنوط من حنوط الجنة (روايح وبخور وطيـب وعطـور) حتـى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عنـد رأسـه فيقول: أيتها الروح الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان.

وفي رواية للترمذي: اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ورب غفـور غـير غضبان، قال: تخرج فتسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها ولن يـدعها في يده طرفه عين فيعطيهـا لملائكـة الرحمـة فيحملونهـا في ذلـك الكفـن وفي ذلـك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على سطح الأرض فلا يمـرون على ملأ من الملائكة إلا ويقولون: ما هذه الروح الطيبـة؟ فيقولـون: فـلان بـن فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا بها في السـماء الـدنيا فيشـيعه مـن كـل سمـاء مقربوها إلى السماء التي تليها، (وكأنها رحلة المعراج) حتى يُنْتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين واعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال فتعاد روحه في جسده فيأتيانه ملكان فيجلسانه في القبر ويقـولان: مـن ربك. يقول ربي الله، قال تعـالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَـاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ويقول أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ﴾ [فصلت:٣٠]. وجاء في الحديث «أن العبد قبل أن يدخل عليه الملكان يدخل عليه ملك شكله جميل يقول له من أنت؟ أنت الوجه الذي لا يرى إلا في الخير، يقول له: أنا عملك الصالح، أنا جليسك حتى تقوم الساعة، سوف يأتيان إليك ملكان أرحم بك من أبيك وأمك فيسألانك كذا وكذا فأجب بكذا وكذا».

* * *

القبر وضمته...

الملائكة عندما تجلس المؤمن في قبره، وقد يكون جلوسًا معنويًا، فتتبسم له الشمس ساعة الغروب لما يقول للملكين اتركاني لقد كادت صلاة العصر أن تفوتني، فيقولان له: يا عبد الله أنت هنا في أرض البرزخ، هنا حساب ولا عمل.

ويدخل عليه عمله الصالح وإذا بالقبر يضيق فتقول الأرض: يا عبد الله يا فلان يا ابن فلان لقد كنت أحب عباد الله عليَّ وأنت على ظهري فالأن سوف ترى صنيعي بك فيمتد له القبر مد البصر.

وتأتي للكافر الفاجر وتقول له يا عبد الله يا فلان يا ابن فلان لقد كنت أسوء خلق الله إليّ وأبغض خلق الله إليّ وأنت على ظهري، فالآن سوف ترى صنيعي بك وتضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه.

والقبر يضم كل من فيه ولا أحد ينجو من هذا فقد قال رسول الله ﷺ: لو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ فيضم القبر المؤمن كما تضم الأم ابنها ساعة الحنان والرضاعة، ويضم الفاجر ضمة شديدة إلى أن تختلف أضلاعه، ويقول النبي ﷺ: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت لأنه الآن يسأل**» [سنن أبو داود].

أسئلة لها ما بعدها...

ويُسْأل الميت أربعة أسئلة ويجاوب عليها بلسان الحال لا بلسان المقال فيقول الملكان منكر ونكير، له: من ربك؟ يقول: ربي الله (هذا من عمله الصالح) يقولان: ما دينك؟ يقول: ديني الإسلام. يقولان: ما تقول في الرجل الذي بعث إليكم؟ يقول: هو رسول الله ﷺ. يقولان: وما علمك؟ يقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت به ..

فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي (في هذه الإجابات) فافرشوا قبره

من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة فيأتيه من روحها ومن طيبها ويفسح له في قبره مَدَّ بصره.

ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح يقول له أبشر، هذا يومك ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. يقول له: من أنت، أنت الوجه الذي لا يأتي إلا بالخير. يقول: أنا عملك الصالح. فيقول: يا ربي أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

وأن العبد الكافر إذا انقطع من الدنيا وأقبل على الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم ثياب منتنة فيها أشواك فيجلسون منه ويجلس ملك الموت عند رأسه ويقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتتفرق في جسده ثم لا يدعونها طرفة عين ، ثم ينزعونها كما ينتزعون السفود من الصوف المبلول وما تأخذها ملائكة العذاب حتى يجعلوها في تلك المسوح فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا ويقولون: ما هذه الروح الخبيثة؟! يقولون هذه الروح لفلان بن فلان بأسوأ أسمائه في الدنيا.

حتى تنتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا تفتح السماء ثم قرأ رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] يقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الدرك الأسفل ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [الانفطار: ١٤].

فتطرح روحه طرحًا فيشعر أنه وقع، ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: ما ربك؟ فيقول: لا أعرف. يقولان: ما دينك؟ يقول: لا أدري. فيقولان: ماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم: يقول: لا أدري.

فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا من النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه. ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الملابس نتن الرائحة ويقول له أبشر بالذي يسوءُك، هذا يومك الذي كنت توعد.

مواقف من الغيب

* كان سفيان الثوري يمر على المقابر وهو ذاهب لصلاة الجمعة يقول السلام عليكم يا أهل القبور، أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم اللاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية، أَنِسَ الله وحشتكم وكان معكم في غربتكم وتقبل من محسنكم وتجاوز عن مسيئكم، فرأى في رؤيا أناسًا يجرون أكفانهم يقولون: يا شيخ، لِمَ لِمْ تزورنا كنا نستأنس بزيارتك.

* في معركة اليمامة أول ما بدأ المسلمون المعركة بدأوا يهربون فجاء ثابت بن قيس وحذيفة ابن اليمان قالوا: ما كنا هكذا مع رسول الله ﷺ فحفروا خندقًا وبدأوا يحاربون حتى لا يحدث نفسه بالهرب؛ لأن جيش مسيلمة هجم على المسلمين في أول مرة حتى أقسم خالد لأن دخل عليهم الحديقة ليفعلن بهم الأفاعيل. ورُزِق كلاهما الشهادة.أحد المسلمين خلع درع ثابت وولى وهرب، فرجل من الصحابة من شدة التعب بعد الانتهاء من الجولة الأولى أخذته سِنَة من النوم فرأى ثابت بن قيس في الرؤيا فقال له ثابت: يا فلان، لا تظن أن هذا حلم، أنا أكلمك، إن درعي سرقه رجل وجرى وقد وضع الدرع في حفرة عند خيمته وعليها قدر ووضع عليها حجرًا كبيرًا. فأخبر خالدًا، وإذا أخذه خالد فليعد به إلى خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر لبيعه، وإن عليَّ دينًا لفلان وفلان، وإن خادمي فلان حر لوجه الله.

فصحا ذلك الصحابي من النوم فبلَّغ خالدًا، فمشى خالد لآخر المعسكر ورفع الحجر فوجد القدر ووجد الدرع ، فرجع المدينة وسلم الدرع لأبى بكر

فقال: والله لأنفذن وصية ثابت.

* وسعيد بن زيد زوج فاطمة بنت الخطاب وأحد العشرة المبشرين بالجنة كان في معركة فدخل فنام وكان أخوه في الله يحرسه فسمع أخوه هذا سعيدًا يقول بصوت مرتفع: والله لا أريد أن أعود يا عيناء يا مرضية، فظن أخوه أن سعيدًا من قله النوم بدأ يقول كلامًا فأيقظه فقال له سعيد: جزاك الله عني خيرًا، فقال أخوه: خيرًا؟ قال سعيد: رأيت رؤيا، قال أخبرني. قال سعيد: استحلفك بالله ألا تخبر عني إلا بعد أن أموت، قال نعم.

قال سعيد: لما نمت رأيت وكأن القيامة قد قامت وكأن منادٍ من السماء قد قال: قد رضي الله عن سعيد بن زيد، فإذا بملكين معهم ثلاثة خيول مطهمه فقالوا لي: اركب. قلت: إلى أين؟ قالوا إلى مكانك بالجنة وعلى باب الجنة قابلتني نسوه أشد جمالاً من البدر ليلة تمامه قلت هل هؤلاء هن الحور العين الذي حدثنا الله عنهم في القرآن، فأجبني وقلن: لا، نحن خدم من خدمهن وكلما مشيت رأيت أجمل إلى أن وجدت ثلاثة بينهن واحدة كالشمس!!! قالت: مرحبًا بك يا سعيد أنا زوجتك من الحور العين، أنا العيناء المرضية فمددت يدى أصافحها. قالت: إليك عني يا سعيد أنت ما زلت في الدنيا ولكن سوف تحل عندنا بعد ثلاث. قلت: والله لا أريد أن أعود، والله لا أريد أن أعود، مرحبًا بك يا عيناء يا مرضية وأنت توقظني.

وراقبه أخوه سعيد، وفي يوم خميس كان صائمًا وقد أوشكت الشمس أن تسقط خلف الجبل وإذا بطعنه تأتي لسعيد فوقع على الأرض فجرى عليه أخوه وقال أين الإفطار يا سعيد؟ قال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر، أهلا بك يا عيناء يا مرضية.

* كان حنظلة بن عامر عريسًا ليلة الزفاف وقبل الفجر نادى منادي المعركة والحرب، فمن عجلته نسى أن يغتسل من جنابته وخرج للمعركة، ورزقه الله

الشهادة فوجد الصحابة به بللاً فقالوا: من أين يا رسول الله ونحن في صحراء؟!! قال: غسلته الملائكة. ووقف الرسول يصلي على أطراف أصابعه! قالوا: عجبًا يا رسول الله، قال: من كثرة ازدحام الملائكة.

عذاب القبر في القرآن والسنة

كان الرسول ﷺ في غزوة بدر ينادي موتى الكفار يقول: «**أني وجدت ما وعدني ربي حقًا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا**» [رواه مسلم] فقال الصحابة يا رسول، إنهم موتى لا يسمعون ما تقول. قال: لا، ولكنهم لا يستطيعون الإجابة.

وينكر عذاب القبر المعتزلة وبعض من الظاهرية الخوارج الروافض القرآنيون الذين ينكرون السنة إنكارًا تامًا يقول الله تبارك وتعالى عن آل فرعون ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦].

ويقول النبي ﷺ عندما لحد الأنصاري داخل القبر ونكت بعود في يده قال: أعوذ بالله من عذاب القبر.

من أسباب الفساد والهلاك

وعن جمرة ابن جندل كان النبي ﷺ إذا صلَّى بنا الغداة (الصبح) يقول: من رأي منكم رؤيا؟ فمن رأى منا رؤيا قصَّها.

وفي يوم من الأيام قالوا: لا. فقال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد (أي خُطَّاف) فيدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يدخل قفاه، ثم يفعل ذلك بشدقه الآخر. يلتئم شدقاه فيعود يصنع مثل ذلك.

قلت: ما هذا؟ قال: انطلق فانطلقنا وأتينا على رجل مضجع على قفاه

رجل قائم على رأسه بفهر (أي حجر) فيشدق به رأسه فقلتم فيعود إليها يضربها.

قلت: من هذا؟ قال: انطلق. فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد من أسفله نار، فإذا ارتفعت النار ضوضوا حتى كادوا أن يخرجوا ثم خمدت فرجعوا فيها.

قلت: من هذا؟ قال: انطلق فانطلقنا حتى إذا أتى على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فإذا أراد أن يخرج رماه الرجل بحجر في فيه (فمه) يرجعه حيث كان .

قلت: ما هذا. قال: انطلق. فانطلقنا حتى إذا انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة وادخلاني دارًا لم أرَ قط أحسن منها، فيها رجال وشيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجاني.

قلت ما هذا خوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت.

قال أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة، وأما الذي رأيته يشدخ رأسه بالحجر فرجل علمه الله القرآن فنام به بالليل ولم يعمل به في النهار، والذي رأيته في التنور فهم الزناه، والذي رأيته في نهر الدم آكل الربا، وأما الشجرة والشيخ والصبيان فهذا إبراهيم أبو الأنبياء والصبيان الذين حوله أبناء الناس المؤمنين، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار التي رأيتها في الشجر هي الجنة.

أساس البلاء والفساد في المجتمع تلك الأربع وقد تنهار الحضارات والأمم والدول بهذه الأربع (الكذب، وترك حافظ القرآن كتاب الله، وأكل الربا، والزنا).

نزل على رسول الله ﷺ وحيان الكتاب والحكمة، «إني أوتيت الكتاب ومثله معه» [سنن أبو داود] وهو السنة المفسرة لكتاب الله.

الله أمرنا بالصلاة، فالظهر أربع ركعات، والمغرب ثلاث، والصبح اثنان، هذا ما عرفناه من فم الصادق المعصوم ﷺ، وكذلك الزكاة وأنصبتها فما عرفناها إلا بالحكمة من فم رسول الله ﷺ.

هذا وحي الحكمة بوحي للأنبياء (مهام الرسالة المحمدية). قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] والحكمة هي السنة التي وردت عن النبي ﷺ والكلام الذي ينطق به، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٢-٣]. وقال أيضًا ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧] وقال أيضًا ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] هذه مسلمات أمرنا بها الله.

ولكي تعلم أن عذاب القبر ونعيمه كليهما في الكتاب والسنة تدبر قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] واليوم هو القبر أو يوم الوفاة، والملائكة وهي تنزع الروح تقول للمتوفي: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٩٣] هذا نص واضح المعاني، اليوم يوم الوفاة.

والأمر الثاني هو عن فرعون وآله، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] والنص الثالث ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١]. والعذاب الأدنى هو عذاب القبر «دون العذاب الأكبر» عذاب القيامة. قال

تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور:٤٧] أي عذاب يوم القيامة.

هذه نصوص قرآنية واضحة الدلالة على عذاب القبر. وقال تعالى أيضًا ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة:١٠١] المرة الأولى بلا شك في القبر «ثم يردون» إلى القيامة العذاب الثاني.

عذاب القبر والمنجيات منه

والأدلة من السنة كثيرة أيضًا. قال ﷺ: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» [رواه مسلم] أو «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» هذا نص في البخاري. وبعد التشهد «اللهم إني أعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات وفتنة القبر» أيضًا يمر النبي ﷺ على قبرين يقول: «**أنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، كان أحدهما لا يستبرئ من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة بين الناس**» [رواه النسائي في سننه]. وقسم الجريدة وقال: «ولعل الله أن يخفف عنها من عذاب القبر ما لم تيبس (تجف) هذه الجريدة الخضراء».

وكان ﷺ يسير بجوار عبد الرحمن بن عوف خلفَ قبر، فقال «أُفٍّ لك، أُفٍّ لك». قال عبد الرحمن بن عوف: لي يا رسول الله؟ قال: لا، لصاحب هذا القبر!! لورأيته وقد اشتعل عليه القبر نارًا من أجل شَمْلة قد غَلَّها بدون وجه حق».

والشملة هو الشال أو قطعه قماش. وكان هذا جنديًا في المعركة، وكان من حقه أن يأخذها ولكنه أخذها بدون إذن القائد فاشتعل عليه القبر نارًا. وغلّها بمعنى رفع ثمنها أو سرقها.

إذا هدايا العمال غَلُول تلقي بصاحبها والعياذ بالله في النار.

هذه نصوص واضحة المعاني تثبت عذاب القبر ولا توجد نصوص في نعيم

القبر ولكن هناك نصوص في المنجيات من عذاب القبر وسوف نـأتي بنصـوص توصف نعيمها.

هذا عذاب القبر، وهو العذاب الأول أما عذاب يـوم القيامـة فهـو مختلـف وهو أشد، أجارنا الله وإياكم منه.

صورة مصغرة من عذاب الآخرة

وأريد أن أصف مثلا مَنْ يُعَذَّب في القبر في شيء. فمثلا الكذاب يَـدْخل في فمه كلوب يعذب به في القبر ويعذب أيضًا في الآخرة. أي أن هناك ذنوبًا يعذب صاحبها في القبر، وذنوبًا يعذب صاحبها في القبر وفي الآخـرة. فمـثلا الـذي لا يستبرئ من بوله يعذب في القبر وفي الآخرة لماذا لأن صلاته كلها باطلة.

وعذاب القبر صورة مصغرة من عذاب الآخرة ولكنها نفس الصورة إلا أن بعض المسلمين جعل الله فتنتهم في عذاب القـبر. قـال ﷺ «**إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها**» [رواه مسلم] أي أن أغلب عذاب الأمة (أمة الإسـلام والمسـلمين) داخـل القبر وينتهي الأمر على ذلك بفضل الله لبعض الناس.

إن عذاب القبر لا يُنْقص من الذنوب شيئًا، ولكنـه عـذاب معين لـبعض الناس على تكاسلهم عن بعض الطاعات أو اقترافهم لـبعض الـذنوب والآثـام فيأخذ عذابه في القبر ويخرج يوم القيامة طاهرا بفضل الله تعـالى: وهـذه بشـرى لأمة محمد رسول الله ﷺ.

أما الكفار والأمم السابقة نجد أن الله كان يعـذبهم أو ينـتقم مـنهم بعـذاب هون، بطوفان مثلا، أو بمنع نزول المطر، هـذا وتظـل البقيـة تعـذب في قبـورهم فقط، أما الآخرة فهو عذاب مستمر.

عالم البرزخ

ونود أن نستجلي وجهة نظر الشريعة الإسلامية، كيف تحدثت عن عالم البرزخ وهل تتلاقى فيه الأرواح أم لا.

وسنعرض لتلاقي أرواح الأموات بعضهم البعض وتلاقي أرواح الأموات مع الأحياء، ومن يلتقي ومن لا يلتقي، و سنقص بعض ما ورد في هذا.

فهذا أبو الدرداء كان كل دعائه: اللهم لا تجعلني أُخْذِل ابن خالي عبد الله بن واحة شهيد مؤته. فقيل له يا أبا الدرداء في كل صلاة أسمعك تقول هذا الدعاء، إن الميت لا يُخْزى بعمل الحي.

وهذا أيضًا رواح بن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قال كلما صنعت عملا صالحًا وجدت أبى مبتسما في الرؤيا يقول: جزاك الله خيرًا يا بني، لقد شرفتني بين أهل القبور اليوم. وإذا صدر مني عملاً سيئًا رأيت أبى في الرؤيا عاضًا علي إصبعه يقول: يا بني خذلتني بين أهل القبور، والله لم أستطع أن أقابل إخواني اليوم.

وأرواح المؤمنين تتلاقى مع بعضها البعض بعد الموت فيجمعهم الله كما كانوا يجتمعون على الصلاة وفي المناسبات وغيرها. ولكننا لا نعلم أين تلتقي.

أكثرْ من الرفيق الصالح (العمل الحسن)

والأعمال الصالحة التي كان يفعلها المؤمن تدفع عنه عذاب القبر، فإذا جاء الملكان لحسابه تقف الصلاة التي كان يصليها وتقول لا يُؤْتَى من قِبَلي. ثم يأتيان ناحية فَمِه فيأتي القرآن فيقول: لقد أسهرته ليل نهار وأبكيته ليل نهار لا يُؤْتى من قبلي. فيأتيان عن يمينه فتأتي الزكاة تقول لا يُؤْتى من قبلي. فيذهبان عن يساره فيأتي الحج: لا يؤتى من قبلي. يأتيان عن رجليه، يأتي الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر: لا يُؤتى من قبلي. فيتركاه، ويفرشان له قبره حريرًا ويرى مقعده من الجنة.

فلا بد من الإكثار من الأعمال الصالحة، ودعاء الأبناء يخفف عن الآباء في قبورهم لقول النبي ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، وعلمٍ يُنتفع به، وولدٍ صالح يدعو له»** [رواه الترمذي].

موجبات عذاب القبر

وموجبات عذاب القبر كثيرة كما ذكرنا سالفا، فمثلا الكذاب والذي لا يعمل بكتاب الله والزُّناة ومرتكبو الفواحش وذكرنا أيضًا الذي لا يستبرئ من بوله، وهذا لأنه من شروط صحة الصلاة الطهارة للبدن والثوب...) فما بالك بمن لا يصلي أصلاً. ومانعو الزكاة، وخطباء الفتنة الذين يفرقون بين المسلمين ويخلخلون الصف المسلم، وأكل مال اليتامى.

كان عمر ﷺ حاضرا عند احتضار صحابي، فلما خرجت روحه أطفأ السراج. فقال له الناس يا أمير المؤمنين أتجلسنا في الظلام؟! قال: لقد أصبح للورثة حق هذا السراج. تريدون أن تطعموا نارا يوم القيامة؟!» وقال ابن حزم (مذهب الظاهرية): «على ولى الأمر أن يأتي للشاب بالعمل إن لم يكن له عمل وبداية توصله إن لم تكن له دابة وبزوجة إن لم تكن له زوجة ومسكن إن لم يكن له مسكن».

والمغتاب والذين يتكلمون في أعراض الناس هذا من موجبات عذاب القبر.

البدعة والرشوة

ومن موجبات عذاب القبر أيضًا الداعي للبدعة – والبدعة هي كل إنسان يأتي بشيء من عنده ليضيفه لهذا الدين الحنيف، أي أن البدع في العبادات لا في العاديات

قال رسول الله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»** [رواه مسلم].

والبدعة خلاف السنة الحسنة لقول رسول الله ﷺ: **«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»** [رواه مسلم] وكان عمر بن الخطاب أول من جمع المسلمين على صلاة التراويح ولا يعد بذلك مبتدعا وإنما أعاد المسلمين لما كانوا عليه أيام الرسول ﷺ.

وأما بالنسبة لهدايا العمال فقد جاء رجل بزكاة أهل اليمن وأعطاها لرسول الله ﷺ وقال: هذا لكم، وهذا أُهْدِيَ إليَّ. قام النبي ﷺ وصعد المنبر وقال: نرسل الواحد منكم ويأتي بصدقات الناس ويقول هذا لكم وهذا أُهْديَ إليَّ، ألا جلس في بيت أبيه وأمه أكان يُهدى إليه شيء. فهدايا العمل غَلُول تَغُلُّ صاحبها في النار يوم القيامة....

عمر بن عبد العزيز وضع يده على أنفه وهم يقسمون عطور وطيب بيت المال. قالوا: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: وهل يستفاد منها إلا برائحتها... ودخل عمر بن الخطاب على أم كلثوم زوجته فوجد رائحة طيبة فقال لها: ما هذا يا أم كلثوم؟ وكانت أمينة على بيت المال، وكانت تبيعه للناس، فقالت: وزنت فتعلق شيء بإصبعي فمسحته في خماري أخذ الخمار من على رأسها يضعه في الماء ويضعه في التراب وعصره وشمه فإذا بها رائحة، فأعاد الكرَّة إلى أن زالت الرائحة فقال لها يا أم كلثوم تريدين أن تطعمينا نارًا في أجوافنا يوم القيامة.

والفرق بين الهدية والرشوة أن الهدية تكون للمحبة دون انتظار المكسب أو المغنم منها، أما الرشوة فتكون لطلب مكسب أو مغنم: «لو جلس في بيت أبيه وأمه أكان يهدى إليه شيء».

ومن موجبات عذاب القبر الخائن يخون الأمانة. قال ﷺ: «الخائن الذي لا يخفي له طمعًا ولو دَقّ » ومن يخن في الصغير يخن في الكبير (أي من خان حي على الصلاة يخن حي على الفلاح).

قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] أي يدعون الإيمان ويدخلون الكفر. وقال علي ﷺ أنا لست بالخب وليس الخب يخدعني. والخب هو الماكر.

إيذاء المسلمين وذكر الصحابة بما يُكره قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» [رواه مسلم].

والمتتبع عورات المسلمين أحد الصحابة بعد أن دفن أخته تذكر أن كيس نقوده سقط منه في القبر فأخذ يحفر القبر وكلما حفر وجد سخونة حتى وصل للكيس فاحترقت يده فذهب إلى أمه فسألها ما بال أختي قالت له كانت صوامة قوامة إلا أنها كانت تتجسس على الجيران.

وهناك أيضا الطاعنون في السلف الصالح رضوان الله عنهم أجمعين. وذِكْر الصحابة بما يُكره أو أن تستهزئ بهم أو أن تقلل من شأنهم أو تنعتهم بصفات ليست فيهم وتقلل من كونهم أصحاب رسول الله الذي قال فيهم: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**». ويجب عدم الخوض في الفتن التي حدثت بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فهي فتن طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا، وحثنا الإسلام على احترام العلماء فما بالك بالصحابة.

كان الإمام أحمد بن حنبل مريضًا وكان متكئًا فذكر الشافعي فتحامل على نفسه وجلس تأدبا، هذا إمام أهل السنة. هكذا يجب أن نغرس في قلوبنا.

ومن موجبات عذاب القبر المعين على الإثم والعدوان، قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] قتل سبعة نفر من اليمن رجلا، فأقام عليهم عمر الحد. فقالوا يا أمير المؤمنين تقتل سبعة في واحد، قال: والله لو اجتمع أهل اليمن كلهم لقتلتهم.

والملحد في الحرم. قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. والمقدم رأيه على الكتاب والسنة والنائحة والمستمعة إليها. «من ناحت على ميت ولم تتب بعثت يوم القيامة ناشرة شعر رأسها، تقول الملائكة ادخلي النار ونوحي على أهلها كما كنت تنوحين».

«من ناحت على ميت ولم تتب كمن أخذت حربة تحارب بها رب العباد أو كمن هدمت الكعبة».

قال ﷺ: «ليس منا من شق الجيوب وضرب الخدود ودعا بدعوى الجاهلية» [رواه مسلم].

* * *

ومن موجبات عذاب القبر أيضًا من يبنون المساجد على القبور يتخذونها عليها، والمطففون قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١- ٣] وهناك الهمازون اللمازون ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] والهماز الذي يشتمك في وجهك، واللماز الذي يلمزك من خلف ظهرك.

والويل واد في جهنم تستعيذ منه النار كل يوم أربعة عشر مرة وقيل مائة مرة، وهذا الوادي توضع فيه قطاعات من الناس من ضمنهم الهمازون واللمازون.

وهناك أيضًا من يتكلم في أعراض الناس، إياكم وأعراض الناس. اصنع ما شئت فباب التوبة مفتوح إن شاء الله ولكن أمسك لسانك عن أعراض الناس.

إن المجتمع الإسلامي ما اندحر وضاع وما خرب إلا بإطلاق الألسنة في أعراض بعضنا البعض. ولم يبح الشرع إطلاق اللسان والتكلم في الأعراض إلا في مواضع نذكر منها:

* أن أذكر عيوب الخصم أمام القاضي.

خطورة الوقوع في الأعراض

وقد اهتم الإسلام بقضية الأعراض وتفاني في الحفاظ عليها بأن جعل لزوم قيام الحد أن يأتوا بأربعة شهداء وإلا فسيقام الحد على من قذف وافترى وإن كان محقا، وجعل الإسلام حد القذف ثمانين جلدة. قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]. ولعنوا أي طردوا من رحمة الله.

وقال عمر لو أن عمر أمير المؤمنين أميركم رأي رجلا يفعل الفاحشة مع امرأة أيقيم عليه الحد. قال علي ﷺ أمع أمير المؤمنين شهود ثلاثة. طأطأ عمر رأسه وقال: لا يا علي، لا يا أبا الحسن. قال: إذًا نقيم على أمير المؤمنين حد الفرية والبهتان.

وقد حثت الشريعة الإسلامية وعلمنا رسول الله ﷺ وأوضح لنا سوء الخوض في أعراض الناس ففي قصة ماعز والغامدية، لما جاء ماعز واعترف بفاحشته ورجمه رسول الله ﷺ. فكان رجلان من الصحابة يسيران وكان رسول الله ﷺ يسير خلفهما. فقال أحدهما أخذه الله لو كان ستر نفسه لكان خيرًا له (يقصد ماعزًا) فسمعه رسول الله ﷺ، فمروا على جيفة حمار فقال لهما رسول الله ﷺ: كُلاَ من هذه الجيفة. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: ما أكلكما من عرض أخيكم أشر عند الله من أكل هذه الجيفة. ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

ولكن من جانب آخر تحثنا الشريعة على ستر المسلم جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، رأيت كذا. قال: لو سترته بثوبك لكان خيرًا لك.

ولن تقوم قائمة لمجتمعنا إلا إذا أمسك بعضنا ألسنتهم عن أعراض الناس.

ولا يجوز للمسلم التجسس على أخيه المسلم. لقوله تعالى ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[الحجرات: ١٢]. ولا يباح التجسس إلا على الأعداء في الحرب.

وكان أمير المؤمنين عمر يتجسس على بعض الشباب ودخل عليهم، ولما حاجوه توقف وقالوا له أخطأنا في واحدة، وأخطأت أنت في ثلاث. فتوقف عمر واستغفر وقال لهم: ألستم براجعين قالوا لسنا براجعين. والخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة.

والمجتمع المسلم يريد كيانا يحافظ فيه بعضنا على بعض ونسدد ونستر بعضنا بعضا ويقوم على النصح والإرشاد لا على الفضح والتشهير. وقد نهانا الله عن الجلوس في المجالس التي تذكر فيها أعراض الناس ويخاض فيها. قال تعالى ﴿فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] فإما أن أنهاهم أو أغادر مجلسهم.

ادّعاء معرفة الغيب

من أتى إلى عّراف أو كاهن فصدقه فيما قال فقد برأت منه ذمة رسول الله ﷺ، أي خرج من الملة قِسْ على ذلك قراءة الفنجان وضرب الودع وغيرها، وهذا لأننا نصدق غيبا ولا يعلم الغيب إلا الله.

لقد كذبوا، لو كانوا يعلمونها لعلمها رسول الله ﷺ وقد قال تعالى على لسان الرسول ﷺ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] والله وحده عنده علم الغيب وعلم الساعة ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقالها الإمام مالك لما رأى ملك الموت في المنام قال متى تقبض روحي فأشار له بخمسة أصابع، فقام يسأل عالم التفسير ابن سيرين فقال له: إن هي إلا خمسة لا يعلمهم إلا الله يا عالم المدينة ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤].

ولكن هناك قطاعات من المسلمين حياتهم كلها مبنية على المنجمين والعرافين والأعمال والسحر والشعوذة لاعتقادهم بأنهم يعلمون الغيب أو جزءا منه، ولاعتقادهم بأن العرافين والسحرة على علاقة بالجن وأن الجن يجلب

لهم بعض الأخبار من السماء.

ولعل هذا له جذور أن الجِنَّة قبل مبعث سيدنا محمد كانوا يسترقون السمع من السماء. ولكن بمبعث الرسول ﷺ انتهى كل ذلك وأغلق عليهم الباب ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

بعض الناس يعتقدون أن سيدنا سليمان سخر له الله سبحانه وتعالى الجن فيقال إن له مواثيق وعهودًا على الجن كانت تحت كرسيه ولم تكشف إلا بعد أن أكلت دابة الأرض منسأته وخر فانكشفت هذه المواثيق والعهود. وهذه خرافات ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] .

وهذا أمر والأمر الثاني هو أن هذا كان خاصا بسيدنا سليمان أي تسخير الجن ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] ولكل أمة شرعة ومنهج .

فالرسول تركنا على المحجة البيضاء وقد اكتمل شرعنا وعقلنا، ولا يعقل أن نطلق على العرَّاف والكاهن العارف بالله. فالعارف بالله هو من عرف كتاب الله وعرف فقه رسول الله ودَّل الناس على الخير.

من مات ولم يحج وهو قادر

ومن موجبات عذاب القبر أيضًا من استطاع الحج ولم يحج، قال رسول الله ﷺ: «من ملك زادًا وراحلة تُبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا» [رواه الترمذي في سننه].

قال عمر: «لو جيء بمتوفيً وكان يستطيع أن يحج ولم يحج لن أصلي عليه». ويعذر للمرض أو أن يقدم المسلم ولا يُيَسَّر له كأن يقدم في قرعة مثلا ولا يخرج فيها فيكون بهذا قد أعذر إلى الله لأنه أقدم على العمل، ولكن لا يعذره انشغال أو مال أو غير ذلك من الأعذار الواهية.

والحج كما ذكرنا للمستطيع وغير المستطيع يسقط عنه الحج. وإذا أردت أن تحج عن أحد والديك فيمكن أن تحج عنه بشرط أن تكون أنت قد حججت عن نفسك أولاً وإن كانوا أحياء أو أموات فإذا لم تكن قادرًا إلا على حجك أنت فقط فحج أنت، وسقط الحج عن الوالدين لعدم الاستطاعة، أما إذا كنت مستطيعا وعندك مال ومتاح لك الإمكانيات فيمكن أن تحج عنهما وذلك بعد حجك عن نفسك. أو أن تخرجهما للحج يستويان ذلك وذاك.

وإذا كانت نيتك أن تخرج أحد والديك للحج برا له ولم تكن أنت قد حججت من قبل ولا تستطيع وتريد أن تؤثر أحد والديك على نفسك أو كليهما فبارك الله فيك، أخرجهما وعسى بتلك النية وببركة والديك أن يرزقك الله المال الذي تحج أنت به إن شاء الله.

الغفلة عن الصلاة

وهناك أيضا من يؤخر الصلاة عن وقتها فهذا من موجبات عذاب القبر، وبالذات صلاة الصبح وصلاة العصر يؤخرها لآخر وقتها.

قال أبو بكر: الصلاة في أول الوقت رضوان، وفي أوسطه رحمة، وفي آخره مغفرة. لذلك قال ﷺ عندما سئل: ما أفضل الأعمال يا رسول الله ﷺ قال: «**الصلاة لوقتها**» [رواه البخاري] ورضوان أي من الله ورحمة من الله ومغفرة لأن المؤذن نادى حي على الصلاة حي على الفلاح ولم يجب وانشغل عن الطاعة، ومغفرة من الله لأن هناك ذنبًا.

فمثلا عندك مرآة في مدخل البيت ومرآه أخرى في الحمام فمرآة الحمام تتعرض للبخار فتمسح وتتعرض فتمسح وهكذا وأما مرآة المدخل فتظل سليمة وهكذا القلوب قلب لم يذنب (مرآة المدخل) وقلب يذنب ويستغفر (مرآة الحمام) فأي المرآة تريد.

وإذا كنت تعمل وسمعت النداء (حي على الصلاة حي على الفلاح) فاترك العمل وانهض إلى الصلاة، إلا إذا ترتب على ترك العمل ضرر (كالطبيب الجراح لا يترك غرفة الجراحة، ومراقب الطائرات) قال ﷺ: **«لا ضرر ولا ضرار»** [رواه ابن ماجه].

والمصلحة هي أن تذهب للصلاة ولا تخف من فوات الرزق؛ فالرازق هو الله، والقاعدة الأصولية تقول: فأينما توجد المصلحة فثمَّ الشريعة؛. لأن الشريعة لإسعاد الناس فلا تترك الصلاة أبدا.

وحتى في الحرب فهناك صلاة الخوف. سيدنا عمر قال كيف تتوضئون فشرح لهم الوضوء كيف تخشعون شرح لهم الخشوع فاهتز أحد المسلمين وقال له يا أمير المؤمنين هذا حال من يصلي فكيف حال من لا يصلي فنظر إليه شذرا وقال له أنا أكلمك عن المسلمين.

ستنقض عُرَى الإسلام عروةً عروةً أولها الحكم وآخرها الصلاة» ويقول ﷺ: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة»** [رواه الترمذي] وقال تعالى **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾** [النساء: ١٠٣].

ومن يشتغل بعيوب الناس وينسى عيوبه ويشتغل بذنوب الناس وينسى ذنوبه.

والغيبة والنميمة، والغيبة ذكرك أخاك بما يكره، والنميمة نقل كلام الغير للإيقاع بينهما.

عذاب تسمعه البهائم

عذاب القبر عامة يسمعه الأحياء كل الأحياء عدا الثقلين كان الصحابة يسيرون خلف رسول الله ﷺ وكان ﷺ يركب بغلته فقفزت البغلة قفزة، كاد الرسول أن يقع من فوقها وهو سائر بجوار البقيع، قالوا: يا رسول الله ﷺ

ساءت البغلة وساء خلقها. قال ﷺ: ما ساء خلقها، وكيف لا تقفز وهي تسمع مقامع من حديد في القبور! قالوا: يا رسول الله، أتسمعها البغلة؟ قال: كل مخلوقات الله تسمع عذاب القبر إلا الثقلين الإنس والجن.

والله عز وجل من رحمته حجب عن أسماعنا كمسلمين وكأحياء عذاب القبور حتى تهنأ لنا الحياة ولو سمعناها ما أكلنا ولا شربنا ومن سوء أخلاقنا لعيَّر بعضنا بعضًا. والمقمعة هي المطرقة الكبيرة التي يقمع بها رأس الإنسان فينزل إلى الأرض السابعة.

ومن عدل الله أن يجازي المسلمين والصالحين وأن يعاقب العصاة والمتمردين فلا يستوي الصالح والتائب مع العاصي المضِّل. فهناك فرق بين من يذنب ويضحك ومن يذنب ويبكي، وهناك من يذنب ويضحك ويحرص على المعصية ويسخر مِنْ مَنْ يتوب. قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩- ٣٠] إلى قوله ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤] واليوم، يوم القيامة. وقال لقمان لابنه ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

* * *

النظر طريق الزنا

يجب على الإنسان أن يتقي رب العباد عز وجل في النظـرة **«فالنظرة سهم من سهام إبليس – من اتقاها خوفًا من الله عز وجل رزقه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»** أي لا ينظر إلى ما حرمه الله، فلا ينظر الرجل إلى امرأة ولا تنظر المرأة إلى رجل.

والأمر الثاني: مَنْ غَضَّ بصره أطلق الله بصيرته.

الأمر الثالث: إذا استصغر الإنسان مسألة النظرة وتعود عليهـا فسيسـتمرئ المعصية وسيضعف الضمير وتختفي عنده النفس اللوامة.. والدين نزل للمجتمع فيجب على المجتمع محاربة المنكر، فالأمة التي لا تقول للظالم يـا ظـالم فقـد تـودع منها، وتودع أي ماتت الأمة.

ومن موجبات عذاب القبر الزنا وله مغَّبات كما قلنـا مثـل النظـرة الحـرام، والمجتمع الذي لا يغير المنكر ينطبق عليه قول الرسول ﷺ: **«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أننا خرقنـا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»** [رواه البخاري].

ثم مسألة الاختلاط فيجب أن تكون لها حدود فالاختلاط في الأعمال أو في الكليات لا يبيح التودد والتلاطف، فهذا ابتلاء. قال تعـالى: ﴿**مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾ [القصص: ٢٣].

فدور المرأة الأساسي وهو أعظم انتاج في العالم، مراعاة الأبناء والبنات كـي ينشأ مجتمع فاضل. وهذا لا ينافي الحرية الشخصية ولا أن تحيـا حياتهـا، فالحيـاة كلها مرهونة بالشريعة، وهناك الحلال والحرام، والحجاب فرض لإعانـه الرجـل

على غض بصره ولا تعينه على المعصية، ولا يجب على المرأة أن تتنازل لتواكب العصر أو متطلبات الوظيفة وغيرها: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» [رواه البخاري].

هناك معينات على المعصية أو مقدمات لها؛ فالنظرة قد تؤدي إلى الفاحشة، والنظرة وإن كانت صغيرة فبكثرتها قد تكون كبيرة، فمعظم النار من مستصغر الشرر.

ولكن إذا وقع الإنسان في الفاحشة فيتوب ويستغفر ويكثر من الحسنات، ويقلع عن الذنب ويعزم على عدم العودة ويدعو لولي أمر من وقع معها في الزنى، لأنه أخطأ في حقه، وهذه الحسنات ترد للولي يوم القيامة فتعطيه الملائكة تلك الحسنات عندما يطلب حقه يوم القيامة.

الربا وأكل مال اليتيم

وأكل مال اليتيم من موجبات عذاب القبر، يقول النبي ﷺ: «**اللهم إني أُحَرِّج حق الضعيفين اليتيم والمرأة**» [رواه أحمد]. وإذا بكى اليتيم يقول سبحانه وتعالى: «**من أبكى الغلام الذي غيبت أباه في التراب؟ أشهدكم يا ملائكتي أن من أرضى اليتيم وأسكنه رضيت عليه وغفرت له ومن مسح على رأس اليتيم فاضت الرحمة بعدد شعر رأس اليتيم من مفرق شعره إلى أخمص قدميه**» وأفضل البيوت بيت فيه يتيم يُكْرم إليه وأسوأ البيوت بيت فيه يتيم يُساء إليه.

وأكل الربا شيء خطير فقد قال تعالى في آكلي الربا: ﴿**فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [البقرة: ٢٧٩] فآكل الربا يحارب الله وليس لنا طاقة بحرب الله. ظهور الربا في المجتمعات يمحق البركة.

وليس هناك ربا حسن وربا قبيح، فالربا كله واحد ويدخل في ذلك الرابي (آكل الربا) وموكله وكاتبه ومن دخل في ذلك المضمار.

وقد ثبت مؤخرًا أن الغرب يحاول أن يبتعد عن المعاملات الربوية لفشلها في التعاملات، ففي (مؤتمر باريس ١٩٨٨) جاء فيه: «يجب أن نتخلص من معدلات التضخم وتؤول الفائدة إلى الصفر».

وإذا حرم الله شيئًا فتح لك أبوابًا أخرى، فهناك المضاربة والمشاركة والمرابحة والقرض الحسن. ويستحسن أن يتم التعامل مع المصارف الإسلامية وإن وجد بها بعض الربا فإذا كانت بها نسبة ضئيلة من الربا فذلك خير مما كان كله ربا، ومن وقع في الربا فعليه أن يتوب وأن يضع رباه، قال رسول الله ﷺ: **«ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربانًا ربا العباس»** [رواه ابن ماجه].

التكاسل عن الصلاة

ثم المتثاقل عن الصلاة، أول ما يسأل العبد يسأل عن صلاته فإن وجدت كاملة قبلت وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت وسائر عمله.

كانت أم علقمة تنظف المسجد ليلا رضي الله عنها- وفي يوم كان رسول الله يمشي بجوار البقيع فوجد قبرًا جديدًا. فقال قبر من هذا قالوا قبر أم علقمة فعرفها وقال: لم لم تعلموني؟!. قالوا يا رسول ماتت بعد صلاة الظهر ووجدنا الشمس شديدة الحرارة فأشفقنا عليك. غضب النبي ﷺ وقال: أما علمتم أن من صليت عليه وجبت له شفاعتي. وصلى عليها صلاة الميت ثم قال يا أم علقمة أي الأعمال وجدت خيرًا. ثم أنصت وقال: هل تسمعونها قالوا: لا يا رسول الله. قال: والذي بعثني بالحق نبيًا إنها تقول: خير ما وجدت تعمير بيوت الله.

فهذا جزاء من قام بخدمة بيت الله فما جزاء من يقوم بإقامة المسجد وعمارة المسجد ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤].

وقد لعن رسول الله «**رجل أمَّ قوما وهم له كارهون**» [رواه الترمذي].

وصلاة السنة تجبر صلاة الفرض وتبعد عنك الشيطان، وأما من لم يصل فعليه أن يصلي مع كل صلاة صلاة أو اثنين وهذه الصلاة الزائدة تجب سنة وهذا ما اجتمع عليه الفقهاء مع البعد عن الخلاف. ومن لا يصلي يعد كافرًا، وهذا على رأي الإمام أحمد، فمن لا يصلي عنده كافر، ويُنْظر في قضية زواجه. وهذا رأي قوي للإمام أحمد.

والإسلام علاقة بين العبد وربه فمن فاتته صلاة فلا ييأس ولا يحزن فيقضي ما فاته، وهكذا في الصيام والزكاة والعبادات.

منع الزكاة

ومانع الزكاة والذي لا يخرج الزكاة في مخارجها أو يخرجها في غير مصارفها، هذا من موجبات عذاب القبر ونذكر أنه لا يجوز الزكاة على الأب وإن علا (الأب – الجد – الأصول). والأم وإن علت (الأم – الجدة...) وتجوز الزكاة على الزوج.

جاءت زينب زوجة عبد الله بن مسعود فرأت بلالاً فقالت له: بَلِّغْ رسول الله ﷺ أن هل يجوز للمرأة أن تعطي زوجها الفقير من مال الزكاة. فدخل بلال فقال له: يا رسول الله، هناك امرأة تسأل.

فقال له رسول الله ﷺ: بلغ زينب أن تعطي عبد الله من زكاة المال.

لأن المرأة غير مكلفة بالنفقة على زوجها ولها أن تشارك بالإنفاق بما ترضاه وهذا من عظمة الإسلام.

دعاة السوء

هناك دعاة عاملون صادقون يعملون بالكتاب والسنة ونراه سلوكًا في

حياتهم وفي خطواتهم وفي كلامهم وفي معاملاتهم مع الناس، لهم مرجعية ثابتة من الكتاب والسنة.

وهناك دعاة فتنة غير مؤهلين يثيرون الفتن في الناس ويتناولون مواطن الخلاف والشقاق والمسائل المتنازع فيها.

كان أبو ذر يعترض على عثمان في بعض الأمور فقال له عثمان بأدب: يا أبا ذر لتعتزلني (حتى لا تبدأ المشاكل) وكان عثمان الخليفة، فترك أبو ذر المدينة، وبعد فترة قال لزوجه سوف تأتيني المنية، وفتح صندوقًا وأخذ كفنه، قال لها: هذا جاهدت به مع رسول الله ﷺ تكفنونني فيه وخرجت روح أبى ذر.

وكان هناك موكب جاء فيه عبد الله بن مسعود فنادت عليه زوجة أبى ذر فغسلوه وكفنوه في ثوبه وبكى ابن مسعود وقال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أقلت الغبراء وما أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر»** [رواه بن ماجه].

وينزل جبريل يقول لسيدنا محمد: السلام يقرؤك السلام، وأبلغ أبا ذر مني السلام قال: أتعرفه يا جبريل؟ قال والذي بعثك بالحق نبيا نحن في طرقات السماء أشد معرفة به منكم في طرقات المدينة. قال بِمَ؟ قال: بكثرة قوله لا إله إلا الله.

هؤلاء هم دعاة الخير وخطباء الخير هؤلاء هم سلفنا الصالح.

وخيانة البشر مصيبة وخيانة الله ورسوله أكبر وهي أن يخون الإنسان في الطاعة ويخون الإنسان في النظرة ويخون الإنسان في المال ويخون الإنسان في التعاملات.

كشف النساء شعورهن أمام الرجال

حيث رأى النبي ﷺ فيما صح من أحاديث الإسراء والمعراج، مجموعة من

النساء معلقات من شعورهن. قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء نسوة من أمتك كن يُرين شعورهن للأجانب. والأجنبي هو كل ما يحل له أن يتزوج بها.

ولك أن تتأمل أخي القارئ أن هذا العذاب من الشعر فقط، فما بالك بالذراع والصدر وكثير من بقية الجسد، لذلك فرض الإسلام الحجاب على المرأة المسلمة.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

والإسلام لا يقيد المرأة حتى لا تتمع بجمالها وشبابها، ولكنه يريد منها أن يكون ذلك في مرضاة الله.

والبنت عندما تتحجب لا يطلبها إلا كل مستقيم. أما غير هذه فيطلبها الذباب الذي لا يفضل إلا هذه الروائح.

قاطع الطريق

الذين يقطعون الطرق على الناس ويسرقون أموالهم هذا من موجبات عذاب القبر.

الخوف من المخلوق وعدم الخوف من الخالق

مثل الذي يعمل في وجود مدير المؤسسة مثلاً، وعند عدم وجوده لا يعمل أو يتغيب وكأنه ليس عبدًا لله إنما هو عبد المدير.

الفحش وبذاءة اللسان

فإنه بهذا لا يؤذي الناس فقط ولكن يؤذي معهم الملائكة، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى به البشر.

وقد جعل الله تلاوة القرآن حلاً وعلاجًا لهذا الفحش، وكذلك حضور مجالس أهل العلم.

يقول أبو موسى الأشعري: والله ما أحببت الدنيا إلا لثلاث:

آية أقرأها في كتاب الله أو حديثًا أسمعه من رسول الله ﷺ أو أن أجلس مع أناس ينتقون أطايب الكلام كما يُنتقى طيب الثمر.

الفتوى بدون علم

وهذه مصيبة المسلمين فقد قيل: أجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار. وقيل: من قال الله أعلم فقد أفتى.

وهذا مالك ﷺ يُسأل ٤٠ مسألة فأجاب عن ست فقط منها، وقال في الباقي: لا أعلم. وهو يقول: أقول الله أعلم وأدخل الجنة خير من أن أفتى بغير علم وأدخل النار.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل يقول: الرأي عندي الكتاب والسنة ولا أدري وهذا عمر بن الخطاب يقول: من أراد أن يسأل عن الفقه فليأتِ معاذ بن جبل ومن أراد أن يسأل عن القرآن فليأتِ عبد الله بن مسعود، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض «علم المواريث» فليأتِ على بن أبى طالب، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله قد جعلنى له خازنًا وقاسمًا.

تعذيب الحيوانات

فهذه امرأة تدخل النار بسبب قطة. لذلك يجمع الله الحيوانات يوم القيامة ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، [التكوير:٥].

وهذه قصة عظيمة: يمر عمر بن الخطاب في المدينة فوجد أطفالاً يلعبون بعصفور مسكين مربوط في خيط.. فقصَّ الخيط وطيَّر العصفور. فرآه الناس بعد

موته بعام في المنام فقالوا له: ماذا صنع بك رب العباد يا أمير المؤمنين؟ قال: طاحت تلك الإشارات وضاعت تلك العبارات. قال: لقد كدت أهلك لولا أني وجدته غفورًا رحيمًا. قال: يا رب بعدلك غفرت لي، قال: لا، قال: بعلمك؟ قال: لا، قال: فيمَ؟ قال: في أحد شوارع المدينة وجدت أطفالاً يلعبون بعصفور ففككت إساره. فقال لي ربي: يا ابن الخطاب فككت إيسار العصفور وأنا أفك إيسارك من جهنم وأدخلك الجنة.

فلا تحقرن أخي من المعروف شيئًا ولو قليلاً. وكذلك لا تحقرن ذنبًا ولكن انظر في حق من ذنبك هذا.

وخاصية الرفق بالحيوان تمتاز بها أمة الإسلام. فإن الغرب يرحمون الحيوان ولا يرحمون الإنسان. فنجدهم يفعلون بإخواننا في فلسطين الأفاعيل وكذا بالمسلمين في كل مكان.

عمل قوم لوط

وعذابه في الآخرة يلقى عن شجر مرتفع حتى يهوى به في الدرك الأسفل ثم يعاد مرة أخرى. وهكذا كان عذاب قوم لوط ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ [هود: ٨٢]. وانظر إلى حكم الشريعة: يؤتى بفاعلي هذه الخطيئة ويُلقون من أعلى برج في المدينة.

السارق

وجزاؤه في الدنيا قطع يديه يقول تعالى: ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

المحلِّل والمحلَّل له

قال النبي ﷺ: «ألا أدلكم على التيس المستعار؟ قالوا: وما التيس المستعار يا

رسول الله؟ قال المحلل والمحلل له» [رواه ابن ماجه]. وهو الذي يتزوج لكي يحل التي يتزوجها أن ترجع لزوجها الذي طلقها ثلاثًا والشرع رفض هذه الفعلة- والرسول وضع ضوابط لهذه الزيجة «حتى يذوق عسيلتها وتتذوق عسيلته».

المحتال على إسقاط الفرائض

وهذا يماثل عمل بني إسرائيل في قصة أصحاب السبت حيث نهاهم الله عن العمل يوم السبت- فنصبوا شباكهم يوم الجمعة وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت. وتتعلق بهذه الشباك، ثم يأتون يوم الأحد يجدونها قد امتلأت بالحيتان.

عدم نصرة المظلوم

ومن عظمة الإسلام نصرة المظلوم حتى ولو كان كافرًا ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

الحكم بغير ما أنزل الله

وهذا الذي يرتضي بالقانون الوضعي ويترك الشريعة التي أنزلها له الله عز وجل.

أحد الصحابة في صلاة الفجر سأل عنه أمير المؤمنين، قيل يبدو أنه مريض. وبينما يرجع أمير المؤمنين من صلاته عاده فقال الرجل: نعم ولبيك يا أمير المؤمنين. قال له: الله عز وجل يقول لك الصلاة خير من النوم فلا تقل له لبيك. ويقول لك أمير المؤمنين يا فلان تقول له لبيك، بئس الرجل أنت.

إيذاء الجيران

فالمرأة التي تؤذي جيرانها وتُحَمِّل زوجها أكثر مما يطيق تُعَلَّق من لسانها فلكل موجب من موجبات العذاب صورة من صور العذاب.

وقال أيضًا رب العزة في القدسيات: من جاء منكم تائبًا تلقيته من بعيد،

ومن ذهب منكم عاصيًا ناديته من قريب.أقول له: أوجدت ربًا غيري أم وجدت رحيمًا سواى؟ أهل ذكرى أهل مجالستي، أهل طاعتي أهل محبتي، أهل معصيتي لا أحرمهم من رحمتي، من تاب إليّ منهم فأنا حبيبه ومن لم يتب فإني طبيبه، وأنا أرحم بهم من الأم بأولادها. الحسنة عندي بعشر أمثالها وقد أزيد والسيئة عندي بواحدة وقد أعفو.

موجبات عذاب القبر

وهذه هي موجبات عذاب القبر من أحاديث المصطفى ﷺ ونجملها فيما يلي.

١- النميمة.
٢- عدم الاستبراء من البول.
٣- الكذب.
٤- عدم العمل بالقرآن الكريم.
٥- الزنا.
٦- أكل أموال اليتامى.
٧- آكل الربا.
٨- المتثاقل عن الصلاة.
٩- مانع الزكاة.
١٠- خطباء الفتنة.
١١- المغتابون.
١٢- الخوض في أعراض الناس.
١٣- الغُلُول.
١٤- من يأخذ أموال المصلحة التي يعمل بها.
١٥- الداعي إلى البدعة.
١٦- الرشوة.
١٧- الخيانة.
١٨- المخادعة.
١٩- المكر.
٢٠- إيذاء المسلمين.
٢١- تتبع العورات.
٢٢- المعين على الإثم والعدوان.
٢٣- الملحد في الحرم.
٢٤- المقدم رأيه على الكتاب و السنة.
٢٥- النائحة والمستمعة إليها.
٢٦- بناء المساجد على القبور.
٢٧- المطففون.
٢٨- الهمازون اللمازون.

٢٩- الطاعنون في السلف. ٣٠- الذهاب إلى العرافين والكهنة.

٣١- أعوان الظالم. ٣٢- عدم الحج مع القدرة عليه.

٣٣- تأخير الصلاة إلى آخر وقتها، الاشتغال بعيوب الناس.

٣٤- كشف النساء شعورهن أمام الرجال.

٣٥- قَطْع الطريق.

٣٦- الخوف من المخلوق وعدم الخوف من الخالق.

٣٧- الفحش وبذاءة اللسان. ٣٨- الإفتاء بغير علم.

٣٩- تعذيب الحيوانات. ٤٠- عمل قوم لوط.

٤١- السرقة. ٤٢- المحلل والمحلل له.

٤٣- المحتال على إسقاط الفرائض. ٤٤- عدم نصرة المظلوم.

٤٥- الحكم بغير ما أنزل الله. ٤٦- إيذاء الجيران.

* * *

منجيات عذاب القبر

* أول منجيات عذاب القبر: البعد عن الموجبات لعذاب القبر فاعمل لنفسك ورقة محاسبة تحاسب نفسك وتدربها على التخلص من هذه الموجبات.

ومن هذه المنجيات:

بر الوالدين

يقول النبي ﷺ: **«إني رأيت الليلة عجبًا: رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بِرُّه بوالديه فرد ملك الموت عنه»**.

نعم هذه هي الحالة الوحيدة التي يرجع فيها ملك الموت. فيالحسرة من لا يبر والديه.. ويا بشرى من بادر بعد هذه الكلمات ببر والديه ويصاحبهما في الدنيا معروفًا. وأصحاب المعروف هم الشفعاء يوم القيامة، فإن أصحاب المعروف في الدنيا هم أصحاب المعروف في الآخرة.

الوضوء

يقول النبي ﷺ: **«ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك»**.

هذا النور الذي يضفيه الوضوء على المتوضئ أثبتت الدراسات أنه من أفضل طرق علاج التوتر العصبي.

بل هناك إحصائية لمنظمة الصحة العالمية وجدوا فيها أن مرض سرطان الجلد كان من المفترض أن يتفشى في منطقة الشرق الأوسط لأن الشمس فيها حارقة. ولكن وجدوا أن هذا المرض منتشر في بلاد بعيدة عن هذه المنطقة بنسبة

٢٣٪ ونسبة المنطقة العربية هي ٣ من ألف واكتشفوا أن هذا من آثار الوضوء.

لذلك لابد أن نتعلم أن لا نخرج من بيوتنا إلا ونحن على وضوء فهذا النبي يسمع وقع نعال بلال في الجنة وأوضح سبب ذلك بأنه من كثره الوضوء.

والوضوء يجعل الذنوب تتساقط من الأعضاء. لذلك تجد المتوضئ على وجهه النور.

قيل يا رسول الله تعرفنا نحن فكيف تعرف من بعدنا. قال أنا أعلمكم بصاحب الفرس من فرسه وسط الخيل قالوا كيف؟ قال: بغُرَّتهم في وجوههم وفي أعقابهم من أثر الوضوء.

ذكر الله

يقول النبي ﷺ: **«ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين (تداخلت في أحشاءه) فجاءه ذكر الله فطرد الشياطين عنه»**.

لذلك لابد أن يكون لسانك رطبًا بذكر الله. واجعل لنفسك غراسًا في الجنة، **«من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله غُرِسَ له شجرة «نخلة» في الجنة»** [رواه بن ماجه].

«كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» [رواه البخاري].

وهذا داود قال: يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقالت الملائكة ربنا عبدك داود قال ذكرًا ما وجدنا ما نكافئه به. قال: اكتبوا لعبدي داود ما قاله وأنا أكافئه عليه يوم القيامة.

- يقول النبي: **«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله»**.

- فاجعل لنفسك ذكرًا ففي حالة الذنب استغفرو عند النعمة اشكر، عند

المصيبة قل حسبي الله ونعم الوكيل وهكذا.

الصلاة

يقول النبي ﷺ: **«ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته منهم»**.

- أطفئ نيران المعاصي بالصلاة أرغم نفسك عليها.

يقول أحد الصالحين عشت ٢٠ سنة أحث نفسي على الصلاة حثًا كي أدخل فيها فلم أستطع أن أخرج منها، ثم عشت ٢٠ سنة بعدها أحث نفسي على الخروج منها فلا أستطيع.

- يقول النبي: وجُعِلَتْ قرة عيني في الصلاة. وعندما كان يصيبه غم أو هم كان يقول: أرحنا بها يا بلال.

فهذا أبو الحسن الشاذلي في الرؤيا قيل له: كيف الحال يا إمام؟ قال: لا إمام ولا غير إمام، ضاع كل شيء! قالوا: وماذا بقى؟ قال ركعات صليناها في جوف الليل والناس نيام.

الصيام

يقول النبي ﷺ: **«ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشًا كلما دنا من حوض طُرِد فجاءه صيامه شهر رمضان فسقاه ورواه»**.

نعم، الجزاء من جنس العمل. إذا عطشت في الدنيا تروى يوم العطش الأكبر. وهذا الحسن البصري يشرب من زمزم ويقول: بنية أن أُرْوَى يوم العطش الأكبر.

الغسل من الجنابة

يقول النبي ﷺ: **«ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيين جلوسًا حلقًا حلقًا كلما**

جاء إلى حلقة طُرِدَ ومُنِعَ فجاءه إسراعه لغسله من الجنابة فأجلسه بجواري».

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

الحج والعمرة

يقول النبي ﷺ: «ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، وهو متحير فيها. فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور».

الصدقة

يقول النبي ﷺ: «ورأيت رجلاً من أمتي يتقي لهب النار وشررها اشتعل قبره نارًا فجاءته صدقته فصارت سترًا بينه وبين النار وظِلاًّ على رأسه».

- وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» [فتح الباري بشرح صحيح البخاري].

صلة الرحم

يقول النبي ﷺ: «ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته برحمه فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان وصولا لرحمه فكلموه. فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم».

إننا عندما نتكلم عما يخوفنا فهذه وقفة تأمل، فقد قيل لابن عباس: نجلس مع أناس يخوفوننا! فقال ﷺ: لأن تجلسوا مع من يخوفونكم من الله فتجدون أمنًا يوم القيامة خير من أن تجلسوا مع أناس يؤمنونكم وتجدون خوفًا يوم القيامة: «إن الله لا يجمع على عبد أمنين ولا خوفين».

وهذه الوقفة التأمليه لابد أن تتبعها توبه صادقة. فإن رحمة الله قريبة من المحسنين. وانظر إلى رحمات الله وتوبته على عباده:

- جاء رجل إلى سيدنا موسى وقال له أطعت ربي عشرين سنة وعصيته عشرين سنة وأريد أن أتوب فهل لي من توبة: فقال الله: يا موسى بلغ عبدنا وقل له أحببتنا فأحببناك وأطعتنا فقربناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك.

ما زلنا مع حديث رسول الله ﷺ والرؤيا التي رآها. ونقول إن رؤيا الأنبياء حق ورؤيا الرسول ﷺ هي من الوصايا. وهذه الرؤيا تحتوي على سبعة عشر لونًا من ألوان المنجيات من عذاب القبر، وهذه مبشرات كبيرة لأنها أعمال تخص عبادات الإنسان وتخص سلوكياته.

فعندما تندمج العبادات مع السلوكيات نحصل على المسلم القويم الذي ينجو في الدنيا وينجو في البرزخ وينجو إن شاء الله يوم القيامة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

«ورأيت رجلاً من أمتي وقد احتوشته الزبانية. [و الزبانية هم ملائكة جهنم، ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۞ سَنَدْعُو الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٧، ١٨]» أما ملائكة الجنة فتسمى ملائكة الرحمة أو ملائكة رضوان – وسميت زبانية أي أن معهم أدوات تزبن الإنسان تؤلمه وتعذبه قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج:٢١] في يدهم مقامع – كلاليب من سلاسل ويضعون الناس في السعير في الأغلال ويطعموهم من زقوم، ومالك هو رئيسهم وله تسعة عشر من المساعدين ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:٣٠] وهم للإشراف على النار كلها على جميع الدركات.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[الزخرف: ٧٧]. فرد عليهم مالك بعد ألف سنة ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨]. وانقطع أملهم في الخروج، لقد احتوشته الزبانية **«فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من بين أيديهم ولحقته ملائكة الرحمة»**.

وهناك ثلاثة قواعد أساسية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتندرج تحتها ثلاثة أخرى فرعية. وهي:

أولاً: أن أكون عالمًا بما آمر، عالمًا بما أنهى.

ثانيًا: أن أكون عاملاً بما آمر، عاملاً بما أنهى.

ثالثًا: رفيقًا بما آمر، رفيقًا بما أنهى.

تفصيل شروط الأمر الناهي

أولاً: نفصل مسألة العلم تفصيلاً يوضحها، وهو العلم الذي يستعان به على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الفقه الضروري للحياة العامة أي لما تقضيه الضرورة للعبادات والعاديات والسلوكيات العامة، مثل الصلاة والصيام والزكاة والمعاملات من تجارة وقروض وغيرها، وما يصح وما لا يصح، وما مبطلاتها وما أركانها، وغيرها كثير من طهارة وأنواع الماء والبيوع.

ويكون هذا هو الحد الأدنى ليقوم الإنسان بدوره في الأمر والنهي، وهذا ضروري لكل إنسان بحد أدنى.

ثانيًا: عاملاً بما آمر قال تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] ونادى الحسن البصري ﷺ في عبد من العبيد الذين كانوا يباعون ويشترون، وكان في أول يوم في رمضان في مسجد البصرة، قال له حدثنا: عن فضيلة العتق عسى سيدي أن يسمع فيعتقني، فلم يتكلم الحسن، وثاني يوم نفس القضية وثالث يوم القضية ذاتها فسكت العبد.

فمر عام وجاء رمضان الذي يليه وفي أول أيام رمضان إذا بالحسن البصري يتكلم عن فضيلة عتق العبيد فما من سيد عنده عبيد في المسجد إلا وأعتق من عنده.

فاقترب العبد وقال يا إمام طلبت هذا منك العام السابق!!! قال كنت فقيرًا فأغناني الله من فضله فاشتريت عبيدًا، فلما رأيت وفاءهم لي أعتقتهم جميعًا، فلما أعتقتهم تكلمت في القضية فخرج الكلام صادقًا من القلب فوصل إلى قلوب الناس.

أي يجب أن أكون عاملاً بما آمر عاملاً بما أنهى، أقدم على الشيء قبل أن آمر به الناس واجتنب المنهي عنه قبل أن أنهى عنه الناس.

ثالثًا: الرفق في الأمر والنهي: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. علمنا رسول الله ﷺ الدعوة إلى الله بالحب واللين والرفق، فهذا رسول الله يمنع صحابته عن الرجل الذي بال في المسجد: لا تذموه لا تقطعوا عليه بولته.

وأفضل النصح إذا جاء بالحب والحُنو فما كان بالرفق قبله الناس وما كان بالشدة نفر منه الناس؛ فما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه...

والنصح بالحب والرفق يؤتي ثماره والشدة لا تؤتي ثمارها، ولا يجوز أن نكفر أحد أبدا إلا ببينه أو دليل. ولكن ندعو لله بالحكمة قبل الموعظة. والحكمة أي بالعقل والمنطق والبرهان، لا يجوز إكراه الناس على دين الله ويجب الصبر عليهم.

وإذا أردت تغيير المنكر امتثالاً لأمر الرسول ﷺ: «**من رأى منكم منكر فليغيره بيده...**» [رواه مسلم] أي يفعل هو الصواب ويكون قدوة للناس وقال الفلاسفة لأن توقد شمعة خير لك من أن تلعن الظلام.

ويجب على الداعية أن يكون صبورًا مبتسما فقد كان الرسول بشوشًا

مبتسما وكان عمر كذلك، ويجب على الداعية معرفة كيفية الدخول إلى الناس ودعوتهم؛ فكل شخصية لها مفتاح.

كان ركانة رجلا قويا لا يُصْرَع فقال له رسول الله ﷺ إن صرعتك يا ركانة تسلم؟ فلم يرد ركانة فصارعه رسول الله ﷺ فغلبه، وفي الثانية غلبه، فقال: ما غلبني إلا بقوة الله وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله... وأسلم ركانة وحسن إسلامه.

وفي يوم دخل الرسول وجاء من خلف ركانة وكان في السوق فوضع يده على عين ركانة وقال: من يشتري هذا العبد فتحسسه ركانة وشم راحته وقال: أساوي شيئًا يا رسول الله. قال: ولكنك عند الله غالٍ يا ركانة... هذا هو المدخل الذي يجب أن نتعلمه من رسول الله ﷺ.

حُسْن الخلق

يقول ﷺ: **«ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب (جاثي منطوي) فجاءه حسن الخلق فأخذ بيده فأدخله على الله»**. فالتزكية وحسن الخلق من مهام رسالة سيدنا محمد ﷺ، وسوء الخلق مذموم والكبر من الكبائر ويحبط العمل قال ﷺ: **«إن من أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويُؤلفون وإن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم عني يوم القيامة الثرثارون»** [رواه الترمذي]. يكره الله كل جعبري جواص وهو الإنسان سيئ الخلق مرتفع الصوت سيئ التعامل يخافه الناس.

دخل رجل على رسول الله فقال له: عظني يا رسول الله. قال: أفش السلام على من عرفت وعلى من لا تعرف. ثم دخل عليه آخر، فقال: عظني يا رسول الله. قال له: لا تغضب. ثم قال له ثالث عظني يا رسول الله قال له أطعم الطعام. ثم الرابع قال له ﷺ: قم بالليل والناس نيام.

هذا هو الداعية، معرفة ما يحتاجه المدعو أو السائل وهكذا تكون الدعوة. فالمؤمن مرآة أخيه إن رآه غافلاً ذكره وإن رآه ذاكرًا أعانه.

ولا يمكن أن يكون الداعي في بيته بوجه عبوس وخارج بيته بوجه بسَّام؛ فذوا الوجهين يحشر وجهه يوم القيامة في النار.

الخوف من الله

يقول ﷺ: «**ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفة من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه**» فالخوف من الله من منجيات عذاب القبر، وهو أن يجدك الله حيث أمرك ويفتقدك حيث نهاك قال تعالى: ﴿أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]. إذا يجب أن أصلي وهكذا.

والخوف من الله يحرق وجود الشيطان داخل قلب العبد، فعندما تسجد مثلا يتصاغر الشيطان ويولول ويقول: يا ويلي، أُمِرَ هذا بالسجود فسجد وأُمِرْتُ أنا بالسجود فلم أسجد.

ولا يجتمع الخوف من الله وإتيان ما نهى الله عنه فقد يكون الخوف ليس بالدرجة الكافية، ويمكن أن يكون العبد يعتمد على عفو الله وستره وهذا مرة بعد مرة قد يكون استدراجًا من الله للعبد ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

ويكون الخوف من الله خوفًا من وسوسة إبليس، وخوفًا من النار وخوفًا من الموت أن يأتي فجأة، وخوفًا من القبر وظلمته، وخوفًا من الحساب، وخوفًا من الغرماء أن يأخذوا من حسناتي.

ويجب على الإنسان تنمية الخوف من الله في قلبه فلا يبارز الله بالمعاصي. وهناك من يعبد الله عز وجل ويخشاه ويخافه، وهناك من لا يفيق إلا مع مصيبة أو قارعة أو امتحان من الله. فيجب مراقبة الله تعالى في نفوسنا.

الصبر على موت الأبناء

يقـول ﷺ: «**ورأيت رجلاً من أمتي خف ميزانه فجاء أفراطـه فثقلـوا ميزانـه**» والأفراط هم الأطفال الذين ماتوا صغارًا. والطفل الـذي يمـوت صـغيرًا يقـف على باب الجنة ويرفض دخولها إلا بصحبة والديـه. فيقـول الله مَـنْ صَـبَر مـن آبائهم وأمهاتهم ألحقوا بهم ذرياتهم (الأفراط) ويُغْفر لهم على صـبرهم. يقـول الله تعالى: «هل قبضتم روح ابن عبدي؟ يقولون بلى يا رب، يقول: مـاذا صـنع عبدي؟ يقولون: حمدك واسترجع. قال امحوا سيئات عبدي وابنـوا لـه قصـرا في الجنة سموه بيت الحمد وارسلوا له في قبره مَدّ البصر.

الرجاء في الله

يقـول ﷺ: «**ورأيت رجلاً من أمتي قائم على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك المكان ومضى**». والرجاء عكس الخوف وأيضًا هنـاك فـرق بين الرجاء والتمني، قال ﷺ: «**إن قوما غرهم الأماني يقولون نحسن الظـن والله لـو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل**». وقال تعـالى: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾ [النساء: ١٢٣]. أما الرجاء فهو تمنٍّ بعمل وهو حسن الظن بالله مع عمـل مـا أمـر الله به واجتناب ما نهى الله عنه.

يقول رسول الله ﷺ: «**ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته الـتي بكى فيها من خشية الله فاستنقذته من النار**» وفي القدسـيات: «**اخرجوا من النار كل من ذكرني يومًا أو خافني في مقام**» [رواه الترمـذي] «**ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دمـوع وإن كان مثل رأس الثريا، من خشية الله ثم تصيب شيئًا من حُر وجهه إلا حرمه الله على النار**» [رواه بن ماجه]. والدمعة الواحدة تطفئ بحورًا مـن جهـنم. قـال ﷺ: «**عينـان لا تمسهما النار عين باتت تحرس في سبيل الله وعين بكت من خشية الله**» [رواه الترمذي]. وفي رواية أخرى: «**عين غضت عن محارم الله**» [سنن الـدارامي] احفظ جوارحك «**احفـظ**

الله **يحفظك**» وهذه أشياء ليست بالبسيطة ويجب التدرب عليها.

حُسْن الظن بالله

وقال ﷺ: «**ورأيت رجلاً من أمتي قائم على الصراط يُرْعب كما تُرْعب السَّعْفة** (والسعفة هي جريدة النخل، وتُرْعب أي تهتز كأنها في ريح عاصف) **فجاءه حسن ظنه بالله فسكنت روحه ومضى**». حسن الظن بالله مع حسن العمل «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي ما شاء**» [رواه أحمد].

الصلاة على رسول الله

«**ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه ومضى**» (اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه) أبخل البخلاء وقال ﷺ: «**من سمع اسمي ولم يصلي عليّ**». فالصلاة على النبي عظيمة وتنجي من عذاب القبر، وأفضل الصلاة على النبي أو أفضل صيغة هي الصيغة الإبراهمية (النصف الثاني من التشهد).

وقال عليه الصلاة والسلام: «ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة». ولكن تقولها بصدق أي قولا وعملا لا أُشَرِّع مع شرع الله ولا أُحَلِّلْ ما حرم الله ولا أُحَرِّم ما أحل الله وهكذا.

إجمالي المنجيات من عذاب القبر

هذه سبع عشر منجية من منجيات عذاب القبر ونسردها للذكرى وهي:

١- بر الوالدين.

٢- الوضوء.

٣- الصلاة.

٤- ذكر الله تعالى.

٥- صوم رمضان.

٦- سرعة الغسل من الجنابة.

٧- الحج والعمرة.

٨- صلة الرحم.

٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠- حسن الخلق.

١١- الخوف من الله تعالى.

١٢- الأفراط (الأطفال الذين ماتوا صغارًا).

١٣- الرجاء في الله تعالى.

١٤- البكاء من خشية الله.

١٥- حسن الظن بالله.

١٦- الصلاة على رسول الله.

١٧- الإكثار من قول لا إله إلا الله.

* * *

حسن الخاتمة

ربما كانت بيدك...

حسن الخاتمة هو ما نبحث عنه، وما يجب أن نبحث عنه فأنت تزرع وتنتظر الحصاد ولا تجني من العنب.

وحسن الخاتمة له محاور وله أسباب وقد يتعجب الإنسان ويقول هل لي أن أختار خاتمتي أم أنه شيء مقدر؟ فالبعض يظنه قدرًا كُتِبَ علينا...!!

ولكن بما أننا نبحث وندقق ونحاول أن نفهم ديننا حق الفهم وقد قال جعفر الصادق: أراد بنا الله قضاء وقدرا، وأراد منا عملاً فلا نشتغل بما أراد بنا عما أراد منا.

والإنسان مخير في كل أمر يحاسب عليه ولا يَظْلم، ربك أحدًا، إذًا سوء الخاتمة وحسن الخاتمة من فعل العبد، كما زرع سوف يحصد.

ولكن يذكر البعض حديث رسول الله: «**ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربعة برزقه وأجله وشقي أو سعيد**» [رواه البخاري] نقول لا يقع في كون الله شيء إلا يعلمه الله إنه هو العليم الخبير، هو لم يكتب على الكافر أن يكون كافر أبدًا، فهو الذي كتب على نفسه والله يعلم منه ذلك ولم يجبره على الكفر ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص: ٥٦].

من يشاء من البشر الهداية يهديه الله ومن شاء الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ [الإنسان:٣] فعلى العبد أن يطرق الباب وسوف يُفْتح له أما قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ**﴾ [الأنعام:٩٠] هم

الذين طرقوا الباب ففتح لهم فهم أبدوا الاستعداد للهداية فوفقهم الله لها.

فمشيئه الله مترتبة على مشيئه العبد؛ لأن الله عز وجل أنزل الشرع وعلمه إيانا رسول الله ﷺ وتركنا على المحجة البيضاء، فالعبد عليه أن يختار إما طريق الهداية أو طريق الغواية.

فمثلاً النبي كان يدعو الناس ولم يخص فردًا بشيء وفردًا بشيء آخر ولكن استجابتهم كانت مختلفة، فكما أوصل المعلومة لأبي بكر أوصلها إلى أبى جهل، ولكن سَعَى أبو بكر فطرق الباب فَفُتِح فدخل، أما الثاني فأعرض وولَّى فأخذ ثمن إعراضه، فلم يُرِدْ هو لنفسه الهداية، فقد كان يدعو النبي **«اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك (بأبي جهل) وعمر بن الخطاب»** [رواه الترمذي] فقد بدأ بعمرو بن هشام (أبو جهل) ثم عمر بن الخطاب لأن بهدايته يهتدي قومه.

فالهداية ليست مقصورة على أحد ولم يختص الله بها أحدًا على أحد، فلو كان الأمر مقصورا على أحد فليس من حقنا أن نسأل من لا يصلي أن يصلي أو من لا ترتدي الحجاب أن ترتديه، لأنه سوف يقول لك أو تقول لك عندما يهديني الله سوف أفعل كذا وكذا، ولا يأخذ خطوات إيجابية نحو الهداية.

فالعبد يُرد أن يَمْتحن الله ولكن الله يَمْتَحِن ولا يُمْتحن.

في قصص بنى إسرائيل قال إبليس لسيدنا عيسى عليه السلام: أنت روح الله فإذا كنت تحب الله فألق بنفسك من فوق هذا الجبل فلننظر كيف ينقذك رب العباد.. فقال سيدنا عيسى: يا لعين، الله هو الذي يمتحن العبد، وليس للعبد أن يمتحن الله. وعندما قال أحد الصحابة لرسول الله ادعُ الله أن أكون رفيقًا لك في الجنة قال: أعني على نفسك بكثرة السجود. أي بالعمل وليس بالأماني فقط.

ومن أراد أن تحسن خاتمته عليه بالآتي:

أولاً: الصدق مع الله عز وجل

والصدق مع الله يبدأ بصدق النية في جميع الأعمال، فإذا ذهبت إلى فلان لأزوره، هل أزوره لوجه الله أو لأنه يعرف فلانًا صاحب المنصب الرفيع الذي لك عنده مصلحة؟

ويلزم لصدق النية تجديدها من وقت لآخر لذلك جعل الله لنا الصلاة موزَّعه على أوقات اليوم، فهناك الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، لكي أقف مع نفسي بعد كل صلاة وأحاسبها، ماذا فعلت بين كل صلاة وصلاة فلو اغتبت أحدًا بعد الظهر مثلاً أتذكر بعد الصلاة وأستغفر الله وأدعوه أن يسامحني، وهكذا كل صلاة، ولا نَكَلّ ولا نَمَلّ من هذا لنمحو ما علينا أولاً بأول. فالملائكة عندما تحاسب العبد المجدد النية تقول كفانا مؤونته وحاسب نفسه قبل أن تحاسبه.

فأنا موجود في الحياة لأزرع فيها خير، قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآَخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ [القصص:٧٧] فإذا زلت نفسي عن الطريق، أجدد النية وأستغفر مرة أخرى وأبدأ صفحة جديدة، وهكذا لو عدت للذنب مئة مرة. أعود وأستغفر وأجدد نيتي. يقول الله في حديثه القدسي: «**يا ابن آدم لو جئتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**» [رواه الترمذي].

ويقول أحد الصالحين: يا رب أنا أنا وأنت أنت، أنا العَّواد إلى الذنوب وأنت أولى بالمغفرة عاملني بفضلك ولا تعاملني بعدلك... يتودد إلى الله بهذا المنطق ينيخ راحلته بهذا المنطق على باب الله عز وجل.

واعلم أننا محاسبون على النية، تسبق النية العمل، فلو نويت أنْ أتصدق بمبلغ معين ثم عطلتني أمور، وكنت صادقًا في العزم كتب لي الله الأجر كاملاً. «من هم منكم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة» [رواه مسلم].

وجاء رجل من بنى إسرائيل عنده مجاعة فكان يمشي بين الجبال والرمال والحصى وما عنده ما يعطي الفقير، قال: يا رب وعزتك وجلالك لو كانت هذه الجبال طعامًا لوزعتها على عبادك ابتغاء مرضاتك. فقال الله: يا موسى أبلغ عبدنا أننا قد قبلنا منه صدقته.

ومن الصدق مع الله صدق الجوارح، فلو تأملنا الوضوء فنحن نغسل أيدينا فتصبح نظيفة من الذنوب، وعندما أتمضمض بالفم أتذكر أنه لا داعي للغيبة ولا للكذب ولا للنميمة، وعندما استنشق لا أشم ما حرم الله وعندما أغسل وجهي (العين والأذن) لا انظر إلى الحرام أو أسمعه، وعندما أمسح رأسي لا أفكر إلا في الله وفي رحمته وفي نصر دين الله وحمل هَمّ الإسلام، وعندما أغسل الرجلين أتذكر الذهاب إلى المسجد ومجالس العلم وصلة الرحم وعياده المريض وتشييع الجنائز (وهذا هو إسباغ الوضوء على المكارة) فالوضوء ليس مجرد حركات ليس لها معنى.

ومن الصدق مع الله تعمير الوقت بالطاعة، فالنية الصالحة تُحَوّل كل عمل إلى عباده يقول أحد الصالحين: أحتسب نومتي عند الله كما أحتسب عنده قومتي.. فهو ينام بنية أن ينشط على العبادة، ويقوم لتأدية الطاعة وتعمير الدنيا.

فكلما عمرت وقتي بالطاعة يظهر أثر هذه الطاعات في سلوكي مع الناس لأني ملتزم بصلاتي فهي تنهاني عن الفحشاء والمنكر والبغي.

ثانيًا: تجديد التوبة

وكما جددنا النية نجدد التوبة حتى ننعم بحسن الخاتمة، وتجب التوبة من

معاصي الجوارح ومعاصي القلوب.

فاللقلب كبائر ومنها (الكبر والعجب والرياء).

والأمن من مكر الله والحسد والقنوط من رحمة الله والحقد والرياء وهو أن يظهر الإنسان أمام الناس بغير حقيقته ويشرك مع الله غيره في العمل.

والحقد أن تضمر للناس شرًا وتعتبر نفسك ذئبًا والناس أمامك شياهًا وتترقب من الناس أي ثغرة تهجم عليهم منها.

والحقد موجود في قلوب الناس والذي ينميه هو الإنسان الذي لم يمتلئ قلبه بالإيمان، فالحقد يعيش في القلب مثل الخفافيش تحب أن تعيش في البيت الخرب، أما إذا فتحت الأبواب ودخل الشمس والهواء تختفي الخفافيش، هكذا إذا دخل الإيمان القلب يطرد الحقد.

والحسد هو تمني زوال نعمه الغير وهو إساءة أدب مع الله لأنه لا يرضى عن قضاء الله وقدره وما وهبه إياه.

والحاسد عنده مصيبتان: أولهما أنه ناقم على عدل الله في الكون.

والثانية: أنه يأكل في نفسه إذا رأى نعمة جاءت إليك وأنت خالي الذهن منه، فالحاسد كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله.

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله
النار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكله

فالحسود ليس عنده مقام الرضا أبدًا حتى لنفسه كالشارب من الخمر لا يزيده إلا عطشًا.

ولكن يجب أن نفرق بين الحسد والغبطة، فالغبطة تمني الشيء أو النعمة دون أن أرجو زوالها من عند الناس، فلا مانع أن أتمنى أن أكون في العلم مثل العالم الفلاني.

والعرب كان لديهم فرقه متخصصة في الحسد، فمثلا يقولون لفلان أحسد ناقه فلان فيقول له أشر عليها، فينظر إليها نظرة فتقع الناقة، فإن الحسد يُدْخل الرجل القبر ويُدْخل الجمل القِدْر.

وكي أحفظ نفسي من الحاسد إذا عرفته، كلما رأيته أقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله، هذه تبطل الحسد، كما جاء في سورة الكهف: ﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ [الكهف: ٣٩] فالمؤمن يغبط والمنافق يحسد.

ومن أخطر أمراض القلوب أيضًا «**الآمن مكر الله**» ليس له صلاة ولا زكاة ولا صيام ولئن سألته كيف حالك مع الله يقول لك الحمد لله عندي من الإيمان مالو وزع على المسلمين لأدخلهم الجنة. فهذا آمن مكر الله فهو خاسر، وهذه مصيبة وكبيرة من الكبائر.

فالصحابة رضوان الله عليهم الذين بشروا بالجنة ازدادوا خوفًا، وما ازدادوا أمنا، فهذا أبو بكر الصديق يقول: «لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدميّ في الجنة».

وعندما سُئل سيدنا عثمان متى الراحة؟ قال: عندما تصير رجلي اليسرى بجوار اليمنى داخل الجنة.

وأيضًا هناك مرض خطير من أمراض القلوب إلا وهو «**القنوط من رحمة الله**» والقنوط من رحمه الله وهو أن ييأس العبد من رحمة الله، وقد يكون من كثرة الذنوب ولكن يجب أن يسأل نفسه هل ذنوبي أكبر أم عفو الله أكبر؟ فعفوه يستغرق الذنوب. قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

ومن أمراض القلوب أيضًا «**عدم الخوف من الله**» فعندما يتبخر من القلب الخوف من الله، يقع في كل الذنوب، فكل الذنوب تقع تحت عدم الخوف من

الله، فالخوف من الله ليس مكتوب على العبد وليس في القضاء والقدر، فالنفس كالطفل إن تتركه شَبَّ على حُبِّ الرِّضاع وأن تفطمه ينفطم.

ونأتي للفرق بين القضاء والقدر، فالقضاء من قِبَل الله وهو علمه بما يحدث في كونه، أما القدر هو الذي يخطه العبد بنفسه، فالله لم يكره أحدًا أن يكون كافرًا إنما يعلم أن هذا الإنسان يكون كافرًا لأنه هو العليم الخبير.

ثالثًا: المسارعة إلى الخيرات

فلا أتواني في الإسراع إلى خير سواء كان درسًا في المسجد أو صدقات أو كفالة يتيم.

خرج النبي ﷺ فوجد العباس وأبا بكر وعمر على الباب (باب رسول الله) فقال فيما كنتم تتحدثون قالوا كنا نتحدث عن المعروف يا رسول الله قال ماذا قلتم، قال أبو بكر: قلت إن خير المعروف تعجيله، وقال عمر: وأنا قلت يا رسول الله إن خير المعروف ستره، وقال العباس: وأنا قلت إن خير المعروف تصغيره وكأني ما عملت شيئًا، فقال الرسول ﷺ: «إن المعروف الثلاثة إن عجلته هنأته وإن سترته ثمنته وإن صغرته عظمته».

الشاهد هو كلام أبي بكر: «خير المعروف تعجيله» أي إذا أردت المعروف فعليك بالإسراع فيه، وقول عمر خير المعروف ستره أي إذا قمت بمعروف فلا تملأ الدنيا به إذاعة، وقول ابن عباس خير المعروف تصغيره عدم تكبيره في النفس حتى لا نغتر.

ومن أراد حسن الخاتمة عليه بإصلاح عيوب النفس، فاعرض نفسك على كتاب الله وعلى سنة رسول الله، واعرض نفسك على عالم رباني وعلى أخيك المسلم الذي إذا رآك غافلاً ذكرك وإذا رآك ذاكرًا أعانك قال أحد الصالحين: إذا فاتني ذكر الآخرة ساعة، فَسد قلبي.

سوء الخاتمة

مرهونة بحياة كاملة

الحديث بلا شك عن سوء الخاتمة مقبض للنفس فإن للإنسان في نهاية حياته إما حسن خاتمة أو سوء خاتمة، فحسن الخاتمة تؤدي إلى الجنة وسوء الخاتمة يؤدي إلى النار.

وإذا أراد الله بالعبد خيرًا أرسل إليه في آخر أيامه ملكًا فأرشده وهداه وَقَوَّمه وأصلحه فيموت على خير، فنجده يموت في صلاة أو مجلس علم أو في جهاد في سبيل الله أو آمرًا بمرضاة الله ورسوله.

أما إذا أراد الله بعبد سوءًا وكان العبد متعمدًا السوء طوال حياته، أرسل إليه أو وكل به شيطانًا فأغواه وأضله فيموت على أسوء حال، وهو يعصي الله ولم يتب. فيأتيه الموت فجأة، وربما لا ينطق بلا إله إلا الله.

وسوء الخاتمة ليس مرهونًا بآخر لحظة للإنسان بل مرهون بحياته كلها، فهو كما زرعها بكثرة السيئات كانت الخاتمة حصاد ما زرعه، كشجرة الحنظل تأخذ مدة حتى تكبر وتثمر الحنظل المُر كالعلقم فليس سوء الخاتمة بعمل آخر العمر، ولكن مات العبد على غير توبة، مات على ضلالة أو على ظلم أو على كِبْر.

وأكثر ما يسوّد صحيفة الإنسان ويؤدي به إلى سوء الخاتمة طول الأمل، فهو لا يظن بقرب أجله لأن أباه عاش تسعين سنة أوجده عاش مائة سنة، فالعمر ليس بالوراثة، وآخر يظن أنّ الله سوف يهديه آخر أيامه، وهو لا يدري ما هي آخر أيامه.

وطول الأمل يجعل الإنسان يتمسك بالدنيا وتصبح عنده غاية وليست وسيلة، ويطبق القاعدة التي تقول: الغاية تبرر الوسيلة. فالذي يريد أن يصبح من الأغنياء يتعامل بالربا، ويخوض في أعراض الناس كي يعلو ويظهر على الناس، فطول الأمل يثمر كل هذه المصائب.

لذلك قالوا العاقل من فعل ثلاثة: ترك الدنيا قبل أن تتركه وأرضى خالقه قبل أن يلقاه، وعمر قبره قبل أن يدخله.

والجاهل من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والعاقل الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

مر سيدنا رسول الله ﷺ على أسامة بن زيد فوجده قد اشترى فصيلاً (ناقه صغيرة) فقال: له من أين هذا يا أسامة؟ قال: فصيل اشتريته لشهرين يا رسول الله. فقال الرسول: إن أسامة لطويل الأمل.

وبهذا المنطق كان يُربِّي صحابة النبي ﷺ.

فطول الأمل يُقَسِّي القلب ويُنْسي الآخرة، فالمؤمنون يحبون الحق والآخرة، أما الآخرون فيكرهون الكلام عن بعض الحق وذكر الآخرة، لأنه يذكِّره بأنه يخرج من الدنيا ويفقد الثروة والأموال في البنوك والعمارات والبنايات، والجاه والسلطة.

وطول الأمل يجعل الإنسان ظالمًا، والظلم ثلاثة أنواع، أولها: ظالم لنفسه، ثانيهما: من يظلم الإسلام فيضيع فرائضه وحدوده، وثالثهما: يظلم الآخرين أيًا كانوا، سواء حيوانات، نباتات.

والإنسان من طول أمله لا يقتنع بأنه ظالم، كالذي يأكل ميراث أبيه كله ولا يعطي لإخوته شيئًا، بحجة أنه كان يعمل مع والده وهو الذي تعب مع والده

ويعتبرأنّ هذا هو حقه ويعتبر نفسه عادلاً. وهذه هي المصيبة.

وأسوأ الظالمين من يظلم من لا ناصر له إلا الله، كالذي تزوج زوجة ولما مات أبوها وأمها وبَعُد عنها أقاربها يذيقها سوء العذاب لأنها لا ظهر لها.

وطول الأمل يورث الغفلة عن الذكر، فقد قال الله تعالى لنبيه ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]. والفرط هو المفكوك فالإنسان إن دُعِيَ إلى حفلة فيها غناء وموسيقى ودُعِيَ إلى درس للعالم فلان فالإنسان يقارن، فإذا غفل ترك الذكر.

وهناك ذكر وتذكر، الذكر هو ما يكون بالجوارح فالعين تنظر في المصحف واليد تعطي الصدقة هذا ذكر، أما التذكر فيكون بالقلب والتدبُّر وهذا أقوى وهذا هو المطلوب، فأنا أقرأ القرآن وهو حجة عليَّ إن لم أتدبَّره: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وطول الأمل يورث الاغترار بالدنيا، فالإنسان مستعد أن يطأ بقدميه كل الناس في سبيل تحقيق أهدافه الدنيوية.

وأيضًا يورث طول الأمل الأمن من مكر الله، وهذا المرض من أكبر أمراض القلوب فلا تجد العبد يفكر في العبادة أو أداءها على النحو الصحيح، والسبب الرئيسي لهذا المرض هو ستر الله للعبد، فهو يبارز الله بالمعاصي، يأكل حرام ويزني ويختلس ويأتي الحرام ويظلم العباد، ثم يُعطيه لكي يدخل مرحلة الاستدراج فيشعر أن الله قد رضي عنه فيرضى هو عنه نفسه.

وهذه هي أكبر المصائب، أن ترضى عن نفسك وتشعر أن الله راض عنك رغم أفعالك، لأننا لم نَرَ صحابيًا أو تابعيًا ولا أحدًا من الصالحين أمن مِنْ مكر

الله أو أُعْجِب بنفسه، بل كانوا كلهم على خوف.

فالله برحمته وكرمه يستر العبد ويمهله، ولو حاسبنا كما يحاسب بعضنا بعضًا ما ترك على ظهر الأرض من دابة، فكيف يأمن العاصي مكر الله، فهو يُسْتَدْرج دون أن يعلم، لأنه مغرور، ثم يأخذه الله بغتة ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥]. فقد أعطاه الله عقلا وحَمَل الأمانة.

ونأتي إلى قوله تعالى ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

فالله من كرمه أرسل الرسل ليأخذوا الناس من الضلالة إلى الهداية، فالرسل أنذرو وبشروا، والناس إما أن تصدقهم فتحل لهم البركة أو العكس يكذبونهم فيحل بهم العقاب، مثل صاحب ياسين المذكور في القرآن منذ أرسل الله إلى القرية اثنين من الرسل وعذرهم بثالث جاء الرجل من آخر المدينة لنصرة الرسل فقتله قومه ومات شهيدًا، ونزل على قومه العذاب يقول تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣].

فالله لا يهلك قرية إلا بعد أن ظلمت وطغت وخرَّبت وابتعدت عن طريق الله، وإرادة الله معلقة على فعل العبد وليست سابقة عليه ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] فالإرادة جاءت لما كذبوا ولم يشكروا.

ولكن يشعر الإنسان بالرضى عن نفسه عندما يطيع الله، ومن أطاع الله هرولت الدنيا خلفه، ومن ابتعد عن الطريق هرول هو وراء الدنيا، ولا تجد أصحاب الدنيا إلا والهموم متراكبة عليهم فهو لا يشعر بقيمة ما جمع من أموال.

الحرص على ثناء الناس

ومن المسببات الكبرى لسوء الخاتمة الرياء، وهو ليس كالنفاق فالنفاق هو اظهار غير ما يبطن العبد، والنفاق له علامات وعلامات المنافق إذا حدث كذب، وإذا أوعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر.

وإنما الرياء هو التجمل أمام الناس، كالذي يكون في بيته مع زوجته بذيء اللسان طويل اليد، وبعيد عن أولاده ثم تراه خارج البيت أو أمام الناس على العكس من ذلك، أو الذي يصلي في بيته الفريضة في دقيقة وأمام الناس في المسجد يصلي في ساعة. فيجب أن نعيد حساباتنا وأن تكون مرضات الله هي المقصد الأسمي.

ومشكلة الرياء كبيرة فاليسير منه شرك، يقول ابن عباس لو أنا قلت لولا الكلاب لسرقتنا اللصوص لكنت مشركًا.

الخاتمة والقلوب

وسوء الخاتمة متعلقة بأعمال القلوب أولاً ثم الجوارح، لأنه إذا صلح القلب نجد الجوارح منضبطة.

فالناس إذا حدث لهم ألم في القلب أسرعوا إلى الطبيب لحرصهم على الدنيا، ولكن لو أصيب القلب بعدم الخشوع والكِبْر والقسوة على الناس وبالحقد والحسد فهو لا يذهب إلى الطبيب.

والقلوب أربعة أنواع: قلب لا يحب إلا الله، وهذه قلوب الصحابة، فنجده متواضعًا، كريم النفس، بشوش الوجه.

وقلب تملكه الدنيا فإذا أُعِطيَ منها رَضَيَ وإذا لم يعط منها سَخِطَ.

وقلب تجده ساعة وساعة، كالذي يعبد الله في رمضان وبعد رمضان لا يستمر.

وقلب تجده- أحيانًا- تعلو عنده الآخرة فيهتز ويتفاعل وأحيانًا تأخذه الدنيا فهذا قلب متردد.

إذًا سوء الخاتمة معلق على القلب أولاً ومهمة العبد أن ينقي القلب من تلك الأمراض الكثيرة التي تصيبه، وينوي التوبة الصادقة فهي تَجُبُّ ما كان قبلها.

انظر إلى هذا الصحابي في غزوة الخندق دخل الإسلام ونطق بالشهادتين فقط ثم دخل المعركة فضرب بسهم فمات فضحك النبي عليه الصلاة والسلام وقال قد تبوَّأ الفردوس الأعلى ولم يسجد لله سجده، انظر حسن الخاتمة ولكن سببها حسن النية والعمل.

إذًا كيف نستعد للقاء الله ونحسن خاتمتنا

لن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أمر سلفنا الصالح بالكتاب والسنة ونحن ما زلنا نضع العقل في ما لا يجب أن يوضع فيه، وما زلنا نريد أن نضع القوانين التي لن تصلح حياتنا مثل شرع ربنا.

والناس تظن أن وجود المساجد والمصلين والحجاب هو كل شيء في الشريعة ولا يوجد شيء آخر يطبق. وهذا لا يمثل ثلاثة في المائة من الدين ولكن التطبيق الصحيح بجانب هذه العبارات أن نرى كل مسلم ومسلمة نسخة مصحفية تسير على قدمين.

ولكن الناس عندها انفصام في التدين فتجد الرجل يحفظ القرآن وزوجته غير محجبة أو يأكل ميراث إخوته أو يجور على حق الجيران، إذًا ما الفائدة من حفظ القرآن دون تطبيقه، ومثل هذا يصير القرآن حجة عليه يوم القيامة.

فالحياة الحقيقية ليست إلا بكتاب الله وإحياء القلب، فعندما يحيى القلب مع

كتاب الله سواء في رمضان أو غير رمضان، سواء في الليل أو في النهار سواء في الجهر أو في السر، هذه هي الحياة.

والوصول إلى هذه الحياة ليس بالأمر السهل ولكن يجب أن نبدأ ونخطو خطوات في ذلك ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فقد كان بعض الصحابة من شاربي الخمر قبل تحريمها، وعندما طاف أنس في شوارع المدينة وقال: يا معشر المسلمين إن ربكم قد حرم عليكم الخمر من فوق سبع سموات، أراق المسلمون زمام خمورهم في الشوارع مما كان سيلاً عائمًا وظلت رائحة الخمر في الشوارع أسبوعًا من كثرة الخمر. وهذه سرعة استجابة الأمر ونهيه.

ولكن نحن الآن نفلسف الأمور وكل واحد يعيش بمنطقه لا بأمر الله، فلا بد من أن نضع خطة للعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

* * *

هـــول المطلع

البعث والنشور

وهول المطلع هو الخروج من القبور أي النشور والبعث مرة أخرى وسمي هكذا لأننا نطالع المشاهد التي سمعنا عنها في كتاب الله من أهوال القيامة، وقد قال الرسول ﷺ: **«من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت»** [رواه الترمذي].

فعندما نخرج من القبور لا يعرف بعضنا البعض وإذا عرفه أحد ينكره فالإنسان ينكر أمه وأباه وحتى أخاه وزوجته لأنه لكل منهم يومئذ شأن يغنيه.
وأهول القيامة كثيرة، نقرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] وهذا هو الزلزال الحقيقي ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وأيضًا ترى الجبال تسير وهي كالعهن المنفوش أي كالصوف البالي وهذا من هول المطلع! فهذه أمور فوق خيال البشر، ثم يأتي الاستعداد العام فتخلو الأرض بعد آخر علامة من علامات الساعة الكبرى.

وآخر علامة أن تخرج أو تهب ريح تميت المسلمين وتقبض أرواحهم من تحت إباطهم حتى لو كان في شعب جبل، فلا يبقى على الأرض إلا لكع ابن لكع.

ثم تخرج نار عظيمة من عدن ونص الحديث في البخاري ومسلم، تحشر الناس إلى أرض المحشر، ويقال إنها في أرض الشام، أرض بيت المقدس.

وفي هذه الآونة يسمع الناس الصيحة الأولى أو الصعقة الأولى. وهذه كلها

تعبيرات قرآنية، مثل الطامة والصيحة والصاخة، والقارعة التي تقرع الناس، ويقول الله في كتابه: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۞ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤١، ٤٢]، فينادي جبريل أو إسرافيل بالبوق: أيتها العظام النخرة أيتها اللحوم المتناثرة قومي للعرض على الجبار، قومي للقضاء أمام الله رب العالمين.

وقبل هذه النفخة هناك النفخة الأولى وفيها يُصْعق كل من في الأرض، فيموت الجميع إلا ما شاء الله، قد يكون الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

إلا ما شاء الله، يقال أيضًا: الأربعة الكبار جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت.

وقد يكون على الأرجح أيضًا الأنبياء لأن ﷺ يقول: **«فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو ممن استثنى الله»** [رواه البخاري].

وتظل الأرض بعد الصعقة الأولى أربعين سنة حتى النفخة الثانية، ولكن ما الذي يحدث في هذه الأربعين، فيها تُطْوى السماء كما تُطوى الأوراق، والشمس فارقت مدارها ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الإنفطار: ٢] والأرض ألقت ما فيها وتخلت، ثم ﴿تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] ولكن إلى أين؟ إلى أرض المحشر.

وأرض المحشر أرض بيضاء نقية كالفضة المذابة لا معلم فيها لأحد ﴿لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧] أي لا يوجد فيها حفرة وهي لم يصنع عليها معصية قط، يبدأ العدل الحقيقي ﴿لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧].

ثم النفخة الثانية وفيها يقوم كل الأموات، ويقول ربنا: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] لكي يسمعه القاصي والداني، ويقول ربنا: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] أي تعود كل روح إلى جسدها.

يقول العلماء إنه قد يموت العبد في البحر تأخذه الحيتان، أو قد يموت في الجو (تُحطَّم الطائرة التي يركبها) وتأكله السباع، وكل هذا يحييه رب العباد.

وقال النبي للسيدة عائشة: نخرج من القبور عرايا حفاه غُرْلا (غير مختونين) ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وهو بكل خلق عليم، فوضعت السيدة عائشة يدها على رأسها وقالت: يا رسول الله، ويرى الرجال عورة النساء؟! قال: يا عائشة لكل منهم شأن يغنيه.

فإذا حدث زلزال قد تفر الأم وتترك ابنها فكيف بزلزال الآخرة.

ثم يخرج الناس على غير هدى، وهنا ينقسم الناس فريقين: أولها الكافر والفاجر، فيقولون: ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، فيرد المؤمنون ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، هؤلاء من قال الله فيهم ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] لأنه ثبت في الدنيا على دين الله، فثَبّت الله قلبه عند الفزع، وكل على قدر إيمانه.

ثم تشرق الأرض بنور ربها، فإذا بالبشر من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يخرجون إلى أرض المحشر، فالكل يأتي ماشيًا إلى أرض المحشر، ومنهم من يأتي تجره الملائكة على وجهه، وهناك من يأتي على بعير أو اثنان على بعير أو ثلاثة على بعير، هكذا قال رسول الله ﷺ، ومنهم من يأتي ماشيًا على وجهه، قالوا: كيف يمشي على وجهه؟ قال الرسول: الذي أمشاه على قدميه هو الذي يمشيه على وجهه. لأن وجهه ظل بعيدًا عن كتاب الله

وعن شرع الله فماذا ينتظر.

وكلهم يأتون أرض المحشر وهم في هول كبير، والشمس قد اقتربت من الرؤوس، والناس تتسائل ما الذي يحدث.

ويجمع الظالم والمظلوم والحاكم والمحكوم والصغير والكبير حتى الموؤدة التي قُتِلَتْ بغير ذنب تنادى بصوتها تُسْمع من في أرض المحشر: اسألوا هذاً لِمَ قتلني ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] في أرض المحشر.

وتنزل الملائكة تحيط بأرض المحشر واليوم يستغرق آلاف السنين ويقول سلمان الفارسي ﷺ ثلاثة أبكتني فراق الأحبة محمد وصحبه وهول المطلع والوقوف بين يدي الله عز وجل.

والسور التي ذكر فيها هول المطلع شيبت الرسول ﷺ، ونحن نسمعها ونقرأها وكأنه شيء عادي، ولكن يجب أن نتعظ منها ويراجع كل منا حساباته، فنحن ما زلنا في الدنيا والتوبة ممكنة.

ويقول سلمان الفارسي: وثلاثة أعجبتني حتى أضحكتني، منها: ضاحك بملء فيه ولا يدري أساخط عليه ربه أم راض، وغافل وليس يُغْفَل عنه، ومؤمل في الدنيا والموت يطلبه.

ولا يوجد أوقات محددة بين العلامات الكبرى ولكن هناك أربعون سنة بين النفخة الأولى والنفخة الثانية.

ماذا قدمنا لهذا اليوم؟!

وعندما تخلو الأرض من سكانها وعمارها حتى يموت ملك الموت بنفخة إسرافيل ثم يميت الله إسرافيل، وكان الأشهر عند الناس أن آخر من يموت ملك الموت ولكن عند تحقيق الرواية ثبت أن آخر من يموت إسرافيل لأن الأرض تخلو لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا بشر ولا عاصي ولا طائع ولا مسلم ولا

كافر، وهنالك ينادي الله عز وجل ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ولا أحد يجيب فيقول سبحانه وتعالى ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، أين الملوك الجبابرة؟ أين الفراعنة؟ أين القياصرة؟.

وأين الذين عمروا الأرض؟ وأين الذين خربوا الأرض وأذلوا العباد؟ أين هم؟!! ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

ثم إذا أراد الله بداية الحشر يحيى الملائكة، وينفخ إسرافيل نفخة أخرى فإذا هم قيام ينظرون، والإنسان مترقب ولا يدري أين يذهب ولكنه يجري مع الناس، تتخيل كم يكون البشر في أرض المحشر، فالبشر الآن حوالي ست مليارات ونصف المليار، فكم يبلغون يوم القيامة؟!

والسؤال الأهم الآن الذي يجب أن يسأله كل واحد منا لنفسه: ماذا قدَّمت لهذا اليوم؟ قيل لخليل الله: يا إبراهيم، هل تخاف من مشاهدة القيامة؟ قال: نعم، قالوا وأنت الخليل؟! قال: أهوال القيامة تنسيني خُلتي.

وعن سيدنا موسى أنه قال: يا ربي لا أسالك هارون أخي، ويقول عيسى: لا أسألك مريم أمي، وكلٌّ يقول: نفسي نفسي.

والوحيد الذي يقول أمتي أمتي هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فهل نترك سنته، هل ننسى حقوقه علينا وهو الذي يأخذ بأيدينا، فلماذا لا نتمكن من الطريق إلى الله، وما الذي يعطلنا وما هي حجتنا؟.

فيا مَنْ أَخَّرْت الصلاة عن وقتها، ما هي حجتك؟ وأنتِ أيتها المتمردة على الحجاب، لماذا هذه الفلسفة الكاذبة.

فالمجرمون يقولون: يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا الأمر (هول مطلع) وقد يقول غافل: لماذا كل هذا الرعب وهذا الوقت وهذه الحوادث الكبيرة الشديدة، والله يقول للشيء كن فيكون. هذا لكي يشفي الله صدور قوم مؤمنين.

فمثلا كيف يشفي الله صدر سيدنا نوح الذي استمر في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا وما آمن معه إلا ثمانون رجلاً وامرأة، فكم كان حزنه وكمده، والذين سبوا الرسول ﷺ وآذوه، ألا يعاقبهم الله بعدله...!!

فالمؤمن ثابت في الدنيا والآخرة إن شاء الله، واعلم أن العاصي المقصر لا أحد يجبره على التقصير، فلو اجتمع مع إخواته المسلمين وسلك طريق المؤمنين واتبع الكتاب والسنة، فسوف يهديه الله ويزيده إيمانًا، وربما يقصر أو يذنب، إلا أن الله يوفقه إلى سرعة التوبة.

ومن صور اللجاجة في المشركين الذين عذبوا المؤمنين:

هذا سيدنا خبَّاب ﷺ صلبوه وأخذوا يرمونه بالسهام حتى مات صبرًا، فأين يذهب من هتكوا أستار الأمة بأسرها وأذلوا شعوبًا بأسرها، فلا بد من يوم القيامة ليحق الله الحق فيه ويبطل الباطل.

خير الزاد التقوى...

ونعود إلى مشاهد القيامة وهول المطلع ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

فيخرج الناس بعد النفخة الثانية أجوع مما كانوا، في حالة من الجوع الشديد والعطش المهلك.

فمن أطعم في الدنيا لله أطعمه الله، ومن سقى في الدنيا لله أسقاه الله، ومن كسا في الدنيا لله كساه الله.

وينادي الله إني أنصت لكم طويلاً فأنصتوا لي اليوم إني وضعت لي نسبا ووضعت لكم نسبا، فأنزلتم نسبي ورفعتم أنسابكم، قلت لكم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] فقلتم إن أكرمنا أعتانا. اليوم أضع أنسابكم وأرفع

نسبي، فأين المتقون؟ قال: فيقومون قوم قليل.

ثم ينادي الله آدم، أن يخرج بعث النار، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۞ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١، ٣] لاهية بالدنيا.

فالمتقون هم الذين خافوا الله في الدنيا بالغيب، وهم الذين أقاموا شرع الله وهم الذين جاهدوا في الله.

انظر إلى المقداد في بدر عندما قال الرسول مالي لا أسمع الأنصار، فقال المقداد: والله يا رسول الله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو سرت بنا الغمار لسرنا ما تخلف واحد منا، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء وسوف ترى ما تقر به عينك، لا نقول لك كما قالت اليهود لموسى ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] انظروا الرجال.

ويبعث أيضًا كل إنسان على ما مات عليه، فمن الناس من مات سكرانا فقد كان شارب خمر، ومنهم من يبعث ملبيًا فقد مات في الحج.

فيجب أن نتنبه إلى تلك الأهوال ونستعد لها، قالت السيدة عائشة لرسول الله يومًا هيا لنوم يا رسول الله (أنعم بالنوم) قال: يا عائشة، كيف أنعم وصاحب القرن (البوق) قد التقم القرن وحنى جبهته وقدَّم قدمًا وأخر أخرى شاخصًا إلى العرش ببصره عيناه كالكوكب الدري يخشى أن يرتد إليه طرفة فيأتية الأمر من السماء بنفخة البوق.

وهو القائل: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلاً» [رواه البخاري].

هذه ليست دعوة لليأس ولكن دعوة لسرعة الإفاقة وإحسان التعامل مع المسلمين وغير المسلمين في الدنيا، كي نرحل وقد قدمنا ديننا للناس حتى ننال شفاعة الرسول ﷺ.

الحشـــــر

سمة أهله الخوف

يقول الله تعـالى ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣- ١٤].

فالكلام عن الحشر أمر جلل وكبير لأن به يعرف الإنسان خاتمته عند تطـاير الصحف.

والحشر يبدأ بعد خروج الناس من قبورهم، وقد وصـفهم الله تعـالى بـأنهم ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] فانظر إلى سرب من الجراد يسـير. ألا يُحْـدث في نفسك فزعًا. هكذا يكون سير الناس إلى أرض المحشر.

وتقترب الشمس من الرؤوس والسماء تقطع أجزاء ثم تسيل كالفضة المذابة وتصبح وردة كالدهان، وهذا كله أمام الناس، فهم في فزع مما يحـدث في الكـون لأول مرة.

ومن الأمور المرعبة والتي لا يفكر فيها الناس يوم الحشر هي هبوط الملائكة مـن السـماء إلى الأرض، فهـل تتخيـل أحجـام الملائكـة، فهـي سـوف تظهـر بأحجامها الطبيعية، وينزل أهـل السـماء الأولى تحـيط بـأرض المحشـر ثـم أهـل السـماء الثانيـة تحـيط بأهـل السـماء الأولى وأرض المحشـر ثـم أهـل السـماء الثالثة..... إلى السماء السابعة وكلٌّ يحيط بأرض المحشر.

مع كل هذا التدافع والأقدام فوق الأقدام وزيادة الازدحام، تجد الحيوانـات المفترسة وقد جاءت منكسة رؤوسها خشيةً من الله عز وجل وليس عليها جريرة (الحيوانات المفترسة مثل الأسد، الذئب والديناصورات والفيل والفهـد) ولكـن

سمه أهل المحشر الخوف.

والخوف والرهبة تأتي لجمعهم بالإكراه وليس بالرضا، لأن معنى الحشر هو جمع الناس في مكان بالإكراه، انظر قول الله تعالى ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٥٣] أن يحشروهم على غير رغبة، فنحن مجبرون على الذهاب إلى أرض المحشر.

والقرآن الكريم استخدم لفظ (وحشرناهم ونحشرهم) لبني آدم، وأيضًا قال نفس اللفظ مع الوحوش والحيوانات﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] إذًا الفزع لهم ولنا، فلو تأملت أن تقف بجوار أسد وهو يقف منكس الرأس لا يفكر أن يلتهمك وتجد الديناصورات تقف بجوارك ذليلة ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ۞ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[طه: ١٠٨- ١١١]

الكل منتظر ماذا سيحدث ثانيةً، فالمؤمن خشع رغبة وخشية والكافر خشع قهرًا وذلاً، فلا صوت حتى الملائكة لا صوت، فلا تسمع إلا همسا والهمس لا نتبينه، والهمس دليل على الخوف من ظهور الصوت، لأنه ينتظر شيئًا لا يتوقعه، فالنتيجة لا يعرفها أحد.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١] انظر أين ذكر الظلم!! في هذا الموقف المرعب الذي تحضره الدنيا كلها، لذلك قال ربنا تعريفًا للآخرة ﴿لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]. وفي هذا الموقف ووسط هذا الخوف يقف إبليس لعنه الله ليخطب خطبة في الناس فيقول ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فهو يتبرأ من كل شيء.

وأيضًا ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾ [الحشر: ١٦- ١٧].

فإذا تدبرنا الآيات نجد أن إبليس الإنس أو إبليس الجن واحد﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة: ١٦٦ ١٦٧] ومعنى تقطعت بهم الأسباب أي لا يوجد نقض في الحكم ولا شفاعة ولا وليّ ولا حميم.

فأنتم يا من اتبعتم إبليس ها هو يتبرأ منكم، فالرجل المسئول الذي قال لعامل أو لموظف اقتل فلانًا أو تجسس على فلان أو أعطى رشوة لفلان أو اسجن فلانًا أو عذّبْ فلانًا. فيا من تفعل هذا مسئولك لن ينفعك بل سيتبرأ منك يوم القيامة.

ثم يبدأ الناس في أرض المحشر يسمعون أصواتًا يقال إنها أصوات علماء من أمة محمد ﷺ ويدلون الناس على الذهاب لأحد ليشفع لهم، فيذهب الناس لآدم ويمدحونه: يا أبانا أنت خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك الملائكة، أما ترى ما نحن فيه؟ فيقول: لقد غضب ربي اليوم غضبًا ما غضب مثله من قبل قط ولن يغضب مثله من بعد قط. قد نهاني عن الشجرة فأكلت منها، اذهبوا إلى غيري فيسألونه: لمن؟ فيقول: اذهبوا إلى نوح.

فيذهبون إليه ويقولون: يا نوح، أنت أطول الأنبياء عمرا وأنت من أولي العزم وأنت أول نبي بعد أبيك، اشفع لنا عند ربك. فيقول: لقد دعوت على قومي ﴿رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] ويقول: لقد غضب ربي غضبًا لم يغضب مثله من قبل ولن يغضب مثله بعد، اذهبوا إلى غيري،

اذهبوا إلى إبراهيم.

فيقولون: يا إبراهيم أنت أبو الأنبياء وأنت خليل الرحمن، فيقول: لقد كذبت ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[الصافات: ٨٩] أي سقيم القلب من قومه الذين يعبدون الأصنام فاعتبرها كذبة!! ويقول لهم: لقد غضب الله غضبًا لم يغضب مثله قط، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى.

فيقولون يا موسى يا كليم الله أنت مَنَّ الله عليك بكلامه وبرسالته، اشفع لنا. فيقول: دعوت على قومي ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] ويقول إن الله غضب غضبًا لم يغضب مثله قط، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيقولون يا عيسى أنت روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، اشفع لنا. فيقول: لقد غضب ربي غضبًا لم يغضب مثله قط. ولم يذكر ذنبًا ولكنه لم يشفع، أو لم يُؤْذن له.

هؤلاء أشرف الخلق، كل واحد يقول لست لها لست لها، فيذهبون إلى رسول الله ﷺ، فيتوضأ بالمسك ثم يسجد تحت العرش ويفتح الله عليه بمحامد لم يفتحه من قبل على أحد، فيقول الله يا محمد ارفع رأسك وسل تُعْطَ واشفع تُشَفَّع.

هؤلاء يدخلون بغير حساب

فالعجيبُ ثبات رسول الله ﷺ والأغرب من ذلك أن يدعو لأمته، فيقول الله: خذ من لا حساب عليه من أمتك وأدخله من هذا الباب. والمفاجأة أن الجنة على اليمين.

كيف يعرف النبي ﷺ أمته؟ يسأل طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة: يا

رسول الله، هناك آلاف طلحة، وسمعتك تقول يُنَادَى على الإنسان باسمه واسم أبيه، كيف أعرف أنني الذي يُنَادى عليه؟ قال: يا طلحة عندما يقال يا طلحة بن عبيد الله لا يقوم إلا أنت.

فيأخذ النبي ﷺ من لا حساب عليه وهم أولاً أبو بكر فهو لن يحاسب والشهداء وأهل الصبر، فيسألهم رَضْوان (خازن الجنة) أين أنتم؟ ما وقفتم لحساب ولا انتظرتم نشر ديوان ولا ميزان!! يقولون: يا رضوان أو ما قرأت قول ربنا ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] قال وكيف صبركم قالوا كنا إذا أسيء إلينا حلمنا، وإذا جُهل علينا صبرنا وإذا أعطينا شكرنا وإذا أوذينا استغفرنا. قال: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، ومن هؤلاء أرملة ترك لها زوجها يتامى عاشت لتربيتهم فهي تسابق النبي ﷺ على الجنة.

تطاير الصحف

وبعد ذلك يبدأ الحساب وتبدأ الصحف في التطاير، هذا هو المشهد الأول من الحشر وكل واحد يأتيه كتابه ولا يحدث خطأ، كلٌ يرى عمله لا عمل غيره، يقول تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٩، ٤١] فهذا مثل الطالب الذي يحصل على الشهادة وفيها المجموع الكلي وأوراق الإجابة موجودة تحت العرش.

فكل واحد منا له سجل منشور حتى يأخذ ملك الموت الروح، ويوم القيامة يبعث تحت العرش فتنتشر مرة أخرى ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠] فالصحف المقصود بها صحائف الأعمال.

لذلك يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۞ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا

وَخَيْرٌ أَمَلاً ۞ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۞ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ويقول ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وتبدأ سورة الإسراء بما يفيد هذا المعنى، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۞ وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الإسراء: ٩- ١٠] ﴿كُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ....﴾ [الإسراء: ١٣] والمقصود أن الذي يريد النجاة عليه بالقرآن.

وتتطاير الصحف كأسراب الحمام للمليارات من البشر، ثم تحيط لتلتصق في رقبتك دون أن يدري أن اليد اليمنى هي التي ستأخذه أم اليسرى، لأنه ليس للإنسان سلطان ولا إرادة على يديه.

ظهور جهنم وبداية الحساب

والكل ينتظر أن ينادى عليه فتأتي النار فتزفر ثلاث زفرات، أول زفرة تُرْعب من في أرض المحشر ويفرون من أمامها ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] ولما سئل الرسول كيف تجيء يا رسول الله؟ قال: لها سبعون ألف زمام، لكل زمام سبعون ألف ملك يجره، لها فحيح كفحيح الأفاعي، وتخرج منها أعناق طويلة تلتقط الكافر كما يلتقط الطير الحب، ثم الزفرة الثانية فنرى كل أمة جاثية، يقع الناس على وجوهم من الخوف فوق بعض، ويجلس كل إنسان على ركبتيه، فتزفر الزفرة الثالثة فينبطح كل إنسان على وجهه ينظر إليها من طرف خفيّ (يريد أن يعرف أرحلت أم لا) فهي ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] قالوا يا رسول الله كيف قال كالمدائن والحصون.

فلو طارت شرارة واحدة من جهنم على الدنيا لأحرقتها بمن فيها. في الثلاث زفرات تلتقط أولادها الذين عملوا لها: الذين أشعلوا نيران الدنيا على الناس حقدًا وحسدًا، ونأخذ من أذلَّ الناس وهتك الأعراض وقتل وظلم.

وسئل الرسول ﷺ كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟.

قال كما يرزقهم على كثرة عددهم.

ثم يبدأ الحساب وأول من يحاسب من الرسل بعد تطاير الصحف نوح، فينادي يا نوح، فيقول: لبيك ربي: هل بلغت قومك؟ (وهو أعلم سبحانه ولكن ليقيم عليهم الحجة)، فيقول نوح: نعم يا رب. يا قوم نوح، هل بلغكم نوح؟ يقولون: لا يا رب!!! انظر إلى الجبروت فقد كذبوه في الدنيا والآخرة، ويقسمون إنه لم يبلغهم. فيقول الله لنوح: أمعك من يشهد لك، فيقول: يا رب محمد وأمته ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فهذه عظمة الإسلام وهذا مقام سيدنا محمد وأمته.

فيسأل الله سيدنا محمدًا: يا محمد هل بلغ نوح قومه؟ فيقول: نعم يا رب، وسأل الله أمة محمد: يا أمة محمد هل تشهدون أن نوحًا بلغ قومه؟ يقولون: نعم يا رب. فتقول أمة نوح: كيف تشهدون علينا وأنتم لم تشاهدونا؟!!! فتقول أمة محمد: يا رب قرأنا كتابك وعرفنا أن ما فيه حق وأن نوحًا بلغ قومه وأنهم كاذبون. يقول الله: صدق محمد، صدق نوح، صدقت أمة محمد.

وهكذا كل رسول مع أمته، حتى يصل الأمر إلى سيدنا عيسى، ويسأله الله: أأنت قلت اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ هذا سؤال إنكار، لذلك جاءت الإجابة: سبحانك (أي أنزهك يا ربي عن كل نقص وأصفك بصفات الكمال) يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

عَلمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٦، ١١٨] قال العزيز الحكيم وليس الغفور الرحيم؛ لأنهم لا يستحقون الرحمة، ﴿قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

عندما قرأ الحسن البصري الآية أُغْشِيَ عليه؛ فالصادق سوف يسئل عن صدقه! فما بالنا نحن، يؤتى بالقاضي يوم القيامة يسأل حتى يتمنى أنه ما قضى بين اثنين في تمرة، والناس في الدنيا تتبارى على الكراسي والمناصب ولا يدرون أنهم مسئولون.

ثم يأتي الدور على أمة الإسلام أمة محمد ﷺ، ثم يقدر الله عز وجل بنصب الموازين مع أمة سيدنا محمد، فلن تُسْأل أمة كما تُسْأل أمة محمد ﷺ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] يعني العدل ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧].

ويرى الإنسان ميزانه أمامه ويقال إن جبريل هو الذي يزن أعمال الناس ومعه مساعدون وتنصب الموازين في أرض المحشر، فلا يغادر الناس أرض المحشر إلا إلى الجنة أو نعوذ بالله إلى النار.

ويُنَادى على البشر عبدًا عبدًا منذ آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فاليوم بخمسين ألف سنة، ويُنادى فلان بن فلان، ويُنَادي المَلَك: هذا فلان بن فلان، مَنْ كان له عنده مظلمة فليأتي، وهنا يتقاضى الغرماء ولو على المِخْيَط، ولو أن شاةً قرناء نطحت شاه بغير قرون لاقْتُصَّ منها.

أما غفران الله ورحمته فلمن قدم خيرًا.

ثم يُخْرج للعبد تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، والبصر يومئذ حديد، فالعمر كله مسجل حركة حركة ذهابًا وقيامًا ونومًا. ويقول الله للعبد اطلع على السجلات ويتركه يطلع عليها، فيقول: يا ربي أنت لست بظلام للعبيد، فيقول الله: ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤]، فيقرأ السجل صفحة صفحة فلا ينكر منها شيئًا.

وينادي الله: أطلعت يا عبدي؟ ثم يسأله ثلاثة أسئلة: هل ظلمك حفظتي؟ فيقول: لا يا رب، ثم يسأله ألك حسنة لم يكتبوها؟ فيقول: لا يا رب، ثم يسأله: ألك عذرًا تعتذر إلينا به؟ سئل الرسول ﷺ أيقبل ربنا منا العذر يا رسول الله، قال: لا أحد أشد قبولاً للعذر من الله!

نعم، وكنا مخدوعين، ولكن أنت الذي خدعت نفسك، ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] بماذا تعتذر؛ هل لم يكن لدينا وقت للصلاة، وهي خمسة صلوات فقط موزعة على أربعة وعشرين ساعة، وإذا كنت مشغولاً أو مسافرًا فاجمع الصلوات. وأنت لماذا أكلت إرث أخوك، أو أختك «من منع وارثًا من إرثه منعه الله من إرثه في الجنة يوم القيامة»، وأنت لماذا قتلت فلانًا، تقول استفزني ولكن الله حذرك من القتل وعقوبته.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢]. فأنت الذي تختار لنفسك ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠].

وبعد اجتماع الغرماء، فمن كانت له حسنات كالجبل يأتي هذا يأخذ من حسناته وهذا من حسناته حتى تفنى حسناته (المفلس)، فيأخذ هو من سيئاتهم ثم يناولونه كتابه بشماله فينادي جبريل عليه السلام: شقي فلان بن فلان شقاوة لن

يسعد بعدها أبدًا، فيقول العبد ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥- ١٧] فيقول الله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣٢].

وتجد عبدًا آخر موازينه ثقيلة والغرماء قليلون، لأنه تاب إلى الله، وجاهد في سبيل الله، أو تحمَّل هم الإسلام وأخذ بيد الناس إلى الخير، يرفع كتابه بيمينه ويقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٩- ٢٣] فيأخذه المَلَكُ ويُدْخله الجنة، وهو أعرف لبيته في الجنة أكثر من بيته في الدنيا.

* * *

الصـــــراط

أربعة يشهدون على أربعة

«بسم الله الرحمن الرحيم» ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ١، ٧].

يقرأ المسلم فاتحة الكتاب كل يوم على الأقل سبعة عشر مرة، ويقول اهدنا الصراط المستقيم، ممن سار على الصراط المستقيم في الدنيا (الذي وصفه رسول الله لنا من خلال آيات الله وشرعه وسنته ﷺ) ومن سار عليه سوف يعبر الصراط الموجود فوق جهنم، ومَنْ لم يسلك الصراط المستقيم في الدنيا واعوجت به السبل لم ينجُ فلابد من مقدمات قبل الدخول على الصراط.

ذهب رجل إلى الحسين بن على قال له يا إمام إني رجل مريض، فضحك الحسين وقال: لست طبيبًا. قال: لا، إن مرضى دواؤه عندك. قال: وما مرضك؟ قال: كلما أردت أن أتوب عدت إلى الذنب مرة أخرى. فقال له الإمام: لك خمسة أدوية:

الأول: إذا أردت أن تعصي الله فاعصه في ملك غير ملكه.

الثاني: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه.

الثالثة: إن أردت أن تعصي الله فاعصه في مكان لا يراك فيه.

الرابعة: إن جاءك ملك الموت فقل له أخّرني حتى أتوب.

والخامسة: إن أردت أن تعصيه وحُشِرْت بين يديه يوم القيامة وسألك

عبدي لم عصيتني قل أنا لم أعصك يا رب.

قال الرجل: عجبًا أكون كذابا في الدنيا وأكـذب في الآخـرة؟!! أُشْـهِدُ الله أني قد تبت إلى الله توبة نصوحًا.

هذه الركيزة الأولى، والركيزة الثانية أربعة يُسْتَشْهد عليهم يوم القيامة بأربعة في الدنيا.

* يؤتي بأهل الغِنَى والفخامة وأصحاب الوجاهة ويقال لهم ما شغلكم عن ذكري؟ أأنتم أغنى أم سليمان؟ ما شغله غناه عن ذكر الله عز وجل.

* ويؤتي بأهل البلاء، لماذا لم تصبروا؟ أأنتم أكثر بلاء أم أيوب؛ فقد عـاش سبعين سنة عنده شلل رباعي، وما شغله البلاء عـن ذكـر الله عـز وجـل ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

* ويؤتي بالشباب المعطر، ما شغلكم عن ذكر الله؟ أأنتم أعطر أم يوسـف، فما شغله شبابه عن ذكر الله.

* ويؤتي بالفقراء الذين لا يملكـون شـيئًا، ونفـس السـؤال، أأنـتم أفقـر أم عيسى عليه السلام؟ الذي كان يضع يده تحـت رأسـه كوسـادة ويلتحـف بيـده الأخرى ويقول أنا أغنى الأغنياء على الأرض.

إذًا أربعة يشهدون على أربعة، فلا حجة للإنسان.

وبعد تطاير الصحف، فمنهم مـن يأخـذ كتابـه بيمينـه ومـنهم مـن يأخـذه بشماله وبعد تقاضي الغرماء، يأتي كـل مـن أخـذ حقـوق النـاس أو منـع حـق الناس يحمل ذلك على ظهره خمسين ألف سنة طول مدة الحساب.

الجواز على الصراط

قال رسول الله ﷺ «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا كـان**

يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأُحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها من نار» [رواه مسلم] ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] فيكوي بها جبهته وجنبه وظهره، لأنه أول ما يجد الفقير يقطب جبينه ثم يلتفت فيعطيه جنبه ثم ظهره، فيستمر هذه العذاب له خمسين ألف سنة حتى ينتهي الحساب فيرى سبيله إما إلى الجنة أو النار.

فلما ذكر النبي ﷺ الذهب والفضة قال الصحابة يا رسول الله، والإبل يا رسول الله؟ (إنهم يريدون أن يتعلمون الدين وما هي الحقوق والواجبات)، فقال النبي ﷺ: وصاحب إبل لا يؤدي منها حقها، فإذا كان يوم القيامة تطؤه الإبل واحدة واحدة بأخفافها وتعضه بأفواهها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

وكذلك صاحب العمارات والأراضي، والناس منتظره النتيجة، ثم يعرضون على الله فيسعد من أخذ كتابه بيمينه ويشقي من أخذه بشماله، ثم ينادي المنادي من قبل العليّ الأعلى يأمرهم بجواز الصراط عبورًا من فوقه، فيبدأ الخلق العبور من فوق الصراط والرسول جالس على يمين الصراط بجوار العرش تجاه النار وعندما سئل النبي: لماذا تجاه النار وليس الجنة؟ قال لكي أرى الذاهبين من أمتي إلى النار فأشفع لهم عند ربي، ويقف الخليل إبراهيم إلى يساره تجاه الجنة.

ويصف الرسول ﷺ الصراط ويقول: هو أحد من سيف أحدكم، مثل الشعرة وتحته النار بدركاتها، فالصراط منصوب على جهنم بأكملها، وجهنم ليست حمراء ولكنها سوداء، وعندما يبدأ العبد يجوز الصراط لا يرى شيئًا فالجو معتم، فلا يضيء له إلا الإيمان والعمل الصالح في الدنيا ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢].

ويقـول الـنبي ﷺ: «**المارون على الصراط ثلاثة أنواع: النوع الأول ناجٍ والثـاني مخدوش، والثالث مكردس**» [رواه مسلم].

- والنوع الأول: ناج يعبر ولا يمسه شيء.

- والنوع الثاني: مخدوش لأن عليه بعض الذنوب، فيوجد على الصراط كلاليب كالشوك، وكل خُطَّاف مختص بذنب من الذنوب؛ فهناك خطاف للغيبة والنميمة والحقد والحسد، فإن كان ذنبه قليلاً وحسناته كثيرة تخدشه الكلاليب ولا توقعه، أما إذا كانت ذنوبه كثيرة وحسناته قليلة، فكلما مشى يخطفه كُـلاَّب فيتوقف فلا يرى شيئًا فينتظر أن يضيء له عمله وإيمانه حتى يسير ثانية، فتجد منهم من يحبو على الصراط لضعف عمله ، أما المكردس فهذا يقع لسوء عمله فيسقط في دركات النار.

والمارون على الصراط كلٌّ على قدر عمله؛ فمنهم من يمشي عليه مَرَّ الدجاجة، ومنهم من يمر مرور النعجة، ومنهم من يمر مرور الفرس، والنور أيضًا على قدر الإيمان؛ منهم من نوره على قدر إيمانه يخبو ويضيء، فإذا أظلم توقف فتتخطفه الكلاليب وإذا أضاء مَرّ، ومنهم من يمر كالريح المرسلة ومنهم من تناديه النار يا مؤمن أسرع بالمرور من فوقي فإن نورك غطى ناري.

قناطير وحواجز على الصراط

ويوجد مشكلة أخرى على الصراط – أنه يوجد عليه قناطر أو حواجز سبعة.

- **القنطرة الأولى: قنطرة التوحيد**، ويتوقف العبد عندها ليُرى كم كان توحيده الله عز وجل، فإن كان توحيدًا خالصًا مَرّ، وإن كان في توحيده دخن أو رياء سقط.

- **القنطرة الثانية: قنطرة الصلاة**، لأنها أساس الدين وعماده، فيوقف العبد ليُسْأل هل كان يصلي أم لا؟ هل كانت صلاته رياءً أم كانت لله؟ وماذا أثمرت؟.
- **القنطرة الثالثة: قنطرة الزكاة**، ويُسْأل عن زكاته أيضًا، هل أدّاها وأخرج حق الفقير من مال الله الذي عنده...
- **القنطرة الرابعة: قنطرة الصيام**، ويُسْأل عن صيامه أيضًا، هل أتمَّه أم لا.
- **القنطرة الخامسة: قنطرة الحج**، لمن استطاع إليه سبيلاً.
- **القنطرة السادسة**: قنطرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. باليد واللسان والقلب.
- **القنطرة السابعة: قنطرة المظالم**، وهي المصيبة الكبرى، فلا تُظْلم نفس شيئًا.

ونحاسب على الخوض في أعراض الناس، وكل من افترى على زوجته، والزوجة التي تسيء إلى زوجها، والجار الذي يسيء إلى جاره، الحاكم مع المحكوم والملائكة تأخذ المظالم، فكم من امرأة تتعلق برقبة أبيها أو أخيها وتقول: يا رب لقد زوجني من رجل ظالم مجرم لا يصلي.

والفتيات العرايا اللاتي يسرن في الشوارع لفتنة الشباب، سوف يؤخذ منهن مظلمة هؤلاء الشباب، فهو يوم الفصل. فقنطرة المظالم أصعب القناطر السبع.

سأل أحدهم الإمام الحسن البصري قال له: كنت أخيط أثواب الحجَّاج، هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال له: أنت من الظلمة، فيقال يوم القيامة احشروا الظلمة وأعوانهم من الأمة، وهم كل من ساعده في شيء ويعرف أنه ظالم ومفترٍ.

فيجب على من يعرف أنه يساعد ظالمًا ألا يساعده ولا ينفذ له أمرًا لأنه يجب أن يخاف الله رب العالمين، والظالم كما تحدثنا سوف يتبرأ من أتباعه وهذا أسلوب الشيطان وأتباعه من الجن والإنس.

لذلك يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥] ونسوق المجرمين، وهو يبدأ بالمشي على الصراط قبل أن يقع في جهنم هو عطشان (وردا عطاشًا) ويساق كالبهائم، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] وقفوهم على الصراط، ويقول للملائكة ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، لأنهم كانوا في الدنيا منحرفين يمشون في طريق الظلم وانتهاك الأعراض وتشويه صور الناس. بعد ذلك يدخل مقره ويذهب إلى «أمه الهاوية» وما أدراك ما هية نار حامية.

فيجب على الأمة أن تستيقظ فالمسألة صعبة، وهذا الكلام كلام ربنا ورسولنا.

* * *

الحوض والشفاعة

ليس حوض النبي لهؤلاء....!!!

الحديث عن الحوض والشفاعة حديث يشرح الصدور ويرقق القلوب ويؤمن الخائف ويبشر المؤمن ويرفعنا إلى درجة العاملين.

ونكمل حديثنا، فبعد أن يمر العبد من قنطرة المظالم، يمر على مرحلة عظيمة وجليلة لأمه محمد ﷺ وهي الحوض، يقول النبي ﷺ: «**لكل نبي حوض ولكن حوضى أكثرهم، فاتقوا الله فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**». ومكاثر أي أُباهى بكثرتكم الأمم على الحوض.

ولكن ليس كل الذاهبين إلى الحوض سوف يشربون منه، فبعد الصراط تُردُّ الملائكة بعض الناس وتدفعهم، فيذهب النبي ليحضرهم، فتقول الملائكة: يا محمد لا تفعل؛ إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، إنهم رجعوا على أدبارهم فيقول سحقًا سحقًا لمن بدَّل وغيَّر.

ومن بدل وغير في دين الله لا يشرب من حوض النبي ﷺ، كالذي يعبد الله داخل البلاد وإذا سافر إلى الخارج لا يعبد الله، والتي تتحجب في بلادنا وإذا سافرت إلى الغرب تخلع عباءتها وحجابها وتلبس ما يحلو لها وتقول: هذه عادات وليست من قواعد الدين!! وكل من بدل في شرع الله ولا يقيم شرع الله ويفضل عليه القوانين الوضعية، كما فضّل اليهود الكفار على المؤمنين قائلين ﴿هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١]، فهم لا يريدون إقامة شرع الله، وأمثال هؤلاء تردهم الملائكة إلى جهنم.

ومن يشرب من الحوض يحدث له أمران الأول:

يزول ما به من غل وحقد وحسد وعواطف الدنيا تمامًا ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣] أي استشفاء كامل من هموم الدنيا.

ثانيًا: ينمو ويكبر حتى يصير كأبيه آدم ستين ذراعًا في السماء ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ٤٧].

وأما قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] فهذه صفة وليست اسمًا؛ فالكوثر عند العرب هو الشيء الكثير، وعندما سألوا أعرابية: بِمَ آب (رجع) ابنك؟ قالت: بكوثر، أي بشيء كثير.

وذلك لأنه ماء لا ينقطع، ووصفه النبي ﷺ فقال: مساحته ما بين مكة وبيت المقدس، وماؤه أحلى من طعم العسل وأشد بياضًا من اللبن، كالفضة النقية، وعدد أكوابه كعدد نجوم السماء، فإذا امتدت يد المؤمن وجد الكوب فيها دون مشقة وهذه أولى مبشرات الجنة.

فيشرب أول شربه فيضيع منه كل أمراض النفس كما قلنا الغل والحقد والحسد والكبر....، ثم لا يعطش أبدًا أبدًا، فمن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، وتقول الملائكة لبعض المؤمنين استرح ونحن نسقيك، والبعض يسقيهم الرسول ﷺ وهذه درجة أعلى، ومنهم من يشرب من الكوب الذي خلقه الله عز وجل فيقول له كن فيكون.

مَنْ يشرب مِن الحوض...؟

والشاربون من الحوض هم كل مؤمن صفت نفسه ونقّى نفسه وصار يقبل الأعذار. ومصيبتنا أننا لا نقبل أعذار بعضنا، التمس لأخيك سبعين عذرًا فإن لم تجد له فقل عسي أن يكون له عذر لا أعرفه.

ويشرب منه كل إنسان غير مشاحن، ولا يفجر عند الخصام لأنها من صفات المنافقين، اليوم إذا تخاصم الناس تجد القضية تملأ المحاكم، فأنّى نشرب من الحوض.

فقدم لنفسك خيرًا في الدنيا تجده في الآخرة، فالآخرة صورة منعكسة لترجمات الأعمال في الدنيا، والجزاء من جنس العمل.

ويشرب منه أيضًا من كان مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، أما إذا تبدل الحال فلا يشرب من الحوض.

ويشرب منه الذي ينصر من لا ناصر له فهو لا يستغل ضعف إنسان، فلا يتجبر على الناس بالباطل فيسرق أموالهم.

ومن يشرب من الحوض يعرف مكانه في الجنة ويذهب إليه، كما يتوجه الناس بعد صلاة الجمعة إلى بيوتهم جماعات وفرادى.

إذا ما الحكمة من أن يعبر هؤلاء الصراط ما داموا سيشربون من حوض النبي ﷺ؟ الحكمة عندما يعبر المسلم الصراط يكون مع الملكين ويقولان له انظر إلى هذا، هذا مكانك في النار لو أنك كنت عصيت الله، أما وإنك قد أطعت فانطلق يا عبد الله فاشرب من حوض الكوثر، فتكون السعادة سعادتين ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۞ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠].

وأيضًا لو كان الإنسان من أهل النار، تريه الملائكة مكانه في الجنة ويقال له هذا مكانك لو كنت أتقيت الله، فتكون الندامة مضاعفة.

ولم يأتي خبر بمدى مكث الناس على الحوض ولكن الآخرة كلها بالنسبة للمؤمن الصادق كما بين وقت الفريضة إلى الفريضة وهذه من المبشرات للمؤمنين.

حتى إذا فرغ الناس من الحوض ذهبوا إلى باب الجنة وهم يعرفونها كما يعرفون بيوتهم في الدنيا، ويدخل الفرح على الإنسان.

ولكن هناك ملاحظة أنك تظل بطبيعتك الإنسانية التي كنت عليها في الدنيا والتغيير يكون في الشكل، لذلك أول ما يدخلون الجنة يقولون ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨] .

فالجنة هي دار المستقر، والحوض لتنقية ما بقي من أكدار الدنيا في قلب العبد، وهنا تهدأ نفس المؤمن، لأن النبي ﷺ ذكر ثلاث مواطن لا يذكر فيها أحدٌ أحدًا: عند تطاير الصحف، وعند الموازين، وعند الصراط. لا يسأل حميم حميمًا، ولكن عند الحوض ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] لأنهم اجتمعوا في الله وتزاوروا في الله، لذلك ينادي مناد: «ليقم جيران الله» فتقوم طائفة تذهب الجنة، فيقولون: من أنتم؟ قالوا: نحن جيران الله، فيقال: كيف كنتم جيران الله؟ قالوا: كنا نتزاور في الله ونتجالس في الله ونتحاب في الله. فيفتح لهم الباب فيدخلون.

لذلك إذا أحب المسلم أخًا له فليخبره، كما أمر النبي ﷺ ويقول له: أني أحبك في الله. فيقول لك: أحبك الله الذي أحببتني من أجله.

أركان الشفاعة وأنواعها

أما الشفاعة فهي تقتضي أمورًا أربعة وهي شافع ومشفوع عنده ومشفوع له ومشفوع فيه.

والشافع يقصد به اثنان، فمثلا لو أنك في بيتك مع زوجتك والولد قصر في أداء الواجب أو لا يصلي، فيتفق الأب مع الزوجة أنه يرفع صوته ويعنفه وهي

تُهدّئ وتحنو عليه وهكذا شفع ووتر.

والله لا يقبل الشفاعة إلا ممن ارتضى من الرسول ﷺ، بعد أن يأذن الله له.

﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى النبي يذهب ليشفع في المردودين عن الحوض فلا يُشفَّع لأنه لم يؤذن له فيهم، فمثلا أنت تشفع فعلاً عند المدير لفلان لأنه خصم مبلغًا من راتبه، فيقول لك المدير: سأنظر في أمره. فلولا مكانتك عند المدير ولله المثل الأعلى لما شفعت له، إذا الشافع هو الذي يذهب ليشفع لك.

ومشفوع عنده وهو رب العباد، ومشفوع له وهو صاحب الذنب، ومشفوع فيه ألا وهو الذنب.

والشفاعة أنواع كثيرة، فمنها الشفاعة العظمى وهي الأولى أو الشفاعة الكبرى وهي أن يشفع النبي فيها ببدأ الحساب وهذه للأمم كلها، وهناك شفاعة النبي لأهل الأعراف وهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تدخلهم حسناتهم الجنة ولم تدخلهم سيئاتهم النار، يأتي النبي ليشفع لهم، وهناك شفاعة النبي عند الميزان فيأتي النبي وفي يديه بطاقة فيضعها في كفة الحسنات فتطيش السجلات، وهذه البطاقة مكتوب فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وهذا في صحيح البخاري ومسلم.

وهناك الشفاعة في تخفيف العذاب، كما حدث مع عمه أبي طالب، قال العباس يا ابن أخي ألا تشفع عند ربك في عمك الذي آزرك ونصرك ووقف بجوارك، فقال: قد شفعت فيه، قال: العباس وماذا أعطاك؟ «قال جعله أخف أهل النار عذابا. قال العباس: وما هو؟ قال: النبي يوضع في قدميه نعلان من نار يغلي بهما دم رأسه.

وأيضًا هناك شفاعات للنبي كانت في الدنيا، كما بشر النبي أن سبعين ألفًا من أمته يدخلون الجنة بدون حساب. فقال عكاشة وكان على يمين النبي ﷺ ادعُ الله أن أكون منهم يا رسول الله. فقال: أنت منهم يا عكاشة، فقال من بجوار عكاشة: وأنا يا رسول الله. فقال النبي: سبقك بها عكاشة، ويقال إن النبي أغلق الباب لوجود بعض المنافقين في المجلس لأن النبي وعده حق، ولأنه إذا وعد أنجزه الله.

وهناك الشفاعة لأصحاب الكبائر من أمة النبي ﷺ، فحتى أصحاب الكبائر يحن عليهم، وتُقْبل الشفاعة ما دامت الكبيرة لا تخص العباد لأن الله يعفو عن حقه.

وللشفاعة أوقات معينة فهي قبل الصراط وبعد الصراط وعند الميزان، فمثلاً تكون الشفاعة لأهل الكبائر على الصراط وليس بعد دخول جهنم، فإذا جاءت الكلاليب لتأخذ صاحب الكبيرة يشفع النبي فتقبل الشفاعة على شرط ألا يكون لأحد عنده مظلمة.

انظر وتأمل إلا حق المسلم والعباد، افعل ما شئت ولكن لا تظلم مسلمًا أو عبدًا من عباد الله حتى لا تُمنع الشفاعة، فيجب على المسلمين أن يتراضوا فيما بينهم في الدنيا.

وأيضًا صاحب المعروف في الدنيا يكون صاحب المعروف في الآخرة، يؤتي بالظالم والمظلوم ويكون للظالم أعمال خير طيبة أخرى فيأتي رب العباد بالاثنين، يقول للمظلوم انظر في الجنة فيقول: لمن هذه القصور يا رب ولأي نبي أم لأي صدِّيق أو شهيد؟ فيقول الله: لا، لمن أعطاني الثمن، فيقول: وما ثمنها؟ قال: لك إن عفوت عن صاحبك. قال: قد عفوت، فيقول الله: خذ بيد أخيك وادخلا الجنة.

وهناك شفاعة الشهداء لسبعين من أهليهم وجبت لهم النار لأنهم راعو أولادهم بعد فقدهم، وهناك شفاعة الصديقون كأبي بكر له شفاعة، وهناك شفاعة العلماء لمن يعرفون، أيضًا في سبعين، من أهليهم أو مَنْ يحبون.

ثم يقول الله شفع الأنبياء وشفع الصديقون وشفع الشهداء وشفع العلماء وما بقيت إلا شفاعتي أنا وأنا الرحمن الرحيم، فيأخذ قبضة بيمينه من أهل النار فيدخلهم الجنة.

وهذا في رواية أخرى لحديث عكاشة أن سبعين ألفًا من أمة سيدنا محمد ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب، فقال أعرابي جالس عند رسول الله: ألم تستزد ربك يا رسول الله؟ قال: نعم، لقد استزدت. قال: وما أعطاك قال: أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفًا سبعين ألفًا، فقال الأعرابي: ألم تستزد؟ فقام عمر ووضع يده على فم الأعرابي منكرًا عليه طلب الزيادة فنزع الأعرابي يده وقال: اسكت يا ابن الخطاب أتعطينا من بيتك أو من بيت أبيك. فضحك النبي ﷺ وقال: لقد استزدت. فقال: وماذا أعطاك؟ قال: أعطاني ثلاثة حفيات بيديه. وفي رواية لمسلم قال: يخرج الله عز وجل قومًا من النار لم يعملوا خيرًا قط.

احذر الحرمان من الشفاعة

وهناك صنف لا تنفعهم شفاعة الشافعين وهم أهل الكِبْر، المتكبرون الذين يتألون على الله فهم لا يفرقون بين حرام وحلال.

ونقول لكل مسلم يتقاعس في الدنيا عن أداء الطاعات ظنًا منه أن الشفاعة يوم القيامة؛ هذه الشفاعة فضل تفضَّل الله بها على رسوله ﷺ، ولكن ما الذي يضمن لنا أننا ممن يستحقون الشفاعة، فعلى العبد أن يقدم ما يستطيع من عبادات وطاعات ويدعو الله أن يكون من الذين يشفع فيهم الرسول ﷺ.

البعض يظن أن النار لم تخلق لمسلم!! إذًا لماذا وجدت جهنم؟ مثلا من لا يُصْلى في الدنيا يصلي في جهنم؛ فقد كان يستطيع أن يصلي في المسجد أو في بيته ولكن تركها، والذين يضيعون الأمانات ويأكلون الحقوق، فتُلْقى هذه الأمانات وتلك الحقوق في قعر جهنم ويقال للعبد جئ بها فينزل فيقع معها.

فالنار سبعة دركات منها ستة أهلها مخلدون فيها، وواحدة أهلها غير مخلدين ألا وهي جهنم للعصاة من الموحدين، والشفاعة تكون لهم وحدهم.

ولا يركن أحد إلى الشفاعة دون العمل، قال الرسول ﷺ عندما قيل له ادعُ الله أن أكون رفيقك في الجنة. قال: أعنّي على نفسك بكثرة السجود.

وقال ﷺ: يا فاطمة يا بنت محمد اعملي لا أغنى عنك من الله شيئًا، يا صفية يا عمة رسول الله اعملي لا أغني عنك من الله شيئًا، يا عباس يا عم رسول الله اعمل لا أغني عنك من الله شيئًا»، «ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» [رواه مسلم].

* * *

المبشرون بالنار

الصحبة الصالحة ظهير الإيمان

والحديث عن النار يجعلنا نتحدث عن سبب دخولها، ألا وهي المعصية والمعصية سببها إبليس اللعين، وعداءوه مع البشر أزلي منذ خُلِقَ آدم ﷺ، فهو في سباق لدخول بنى آدم النار، وهذا هدفه، ألا يكون وحيدًا في تلك النار.

فقد خدع الشيطان آدم ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢] فقد وسوس لآدم وحواء للأكل من الشجرة التي حرَّمها الله فقال له: إذا أكلتم منها سوف تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠] ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

ولما سأل شيس ابن آدم: «يا أبتي أتطيع الشيطان وتعصى الرحمن؟! فقال له آدم: يا ولدي والله ما ظننت أن أحد يقسم بالله كذبا» برغم تحذير الله سبحانه وتعالى ولكن الإنسان بطبيعته ينسى ولذلك سمي إنسانًا، وأيضًا لا يوجد له عزم ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] فالإنسان يحتاج إلى من يذكره ويأخذ بيده.

ولذلك كان عمر يمسك بيد أبي موسى ويقول له: هيا بنا نؤمن ساعة، وهذا رسول الله ﷺ يطلب من ابن مسعود أن يقرأ عليه القرآن فيقول ابن مسعود أأقرأ و عليك قد أنزل؟! فيقول الرسول ﷺ: أريد أن أسمعه من غيري.

ولما خلق آدم وجد نفسه وحيدًا في الجنة فاستوحش فسأل الله أن يرزقه من يؤنس وحدته ثم نام وعندما استيقظ وجد حواء بجواره!! فقال: من هذه؟ قال الله له: هذه حواء.

كلمة حواء أي حي، وكلمة آدم تـأتي مـن أدمـة الأرض أي قشـرة الأرض ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥] فحواء تابعـة لـه لأنها خلقت منه.

إذا آدم وحواء هما معًا سبب الخروج من الجنة وليسـت حـواء كمـا يـدَّعي البعض فقد قال الله تعـالى ﴿فَدَلاَّهُمَا﴾ [الأعـراف: ٢٢] أي الاثـنين، فعنـدما همـا الاثنين بالأكل ظهرت العورة ﴿فَلَمَّا ذَاقَا﴾ [الأعراف: ٢٢] واكتشفا أساس المعصية، قال آدم وحَوَّاء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فهذا اعتراف بالذنب من البداية ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[طه: ١٢١- ١٢٢] ثـم جـاء الأمـر بـالهبوط إلى الأرض وهـو مغفور له.

وهناك من يدعي أن آدم سبب الشقاء الذي نحن فيه لأنه بمعصـيته نـزل إلى الأرض ولكن هذا الكلام مردود عليه؛ لأن الله قـد تـاب علـى آدم وقبـل التوبـة فنـزل إنسـانًا طاهرًا، ويقول الله: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٨]. فكيـف إذا يحملنـا الله خطيئة آدم، وهو القائل أيضًا ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩].

عداء لم تطفئه القرون

فعداء إبليس للبشر قديم منذ أن أمـره الله بالسـجود لآدم فـرفض وعصـى الأمر وأصر على العصيان عكس سيدنا آدم الـذي بـادر بالتوبـة، أمـا هـو فقـد تمادَى في غَيِّه على فَضلٍ.

وهو مخير كالإنسان، رفض السجود وقال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦]. وهذا خطأ لأن التراب والطين أحسن من النار، ومـع الإصرار على المعصية وعصيان الأمر، طرد من رحمة الله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥].

ويقال أن الملائكة ثمانية عشر نوعًا ومن ضمنها طائفة تسمى العالين، ويقال بأنهم لا علم لهم بآدم ولا ببنيه ولكن شغلهم توحيد الله وتقديسه.

فهل أنت يا إبليس من هذه الطائفة التي لا تعرف آدم حتى تعصى، هذا رأي وهناك رأي يقول إن العالين من العلو والتعالي أي الكبر.

وأنا أميل إلى التفسير الأول، لأن النبي ﷺ أخبر أن هناك البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يخرجون إلا يوم القيامة، ولو وقع منه حجر لوقع على الكعبة المشرفة.

عمل إبليس وجنده

وأعلن إبليس العداوة على الإنسان، فكان أول ذنب يُعصى به الله هو الكبر والحقد والحسد، لذلك تعد هذه الصفات من الكبائر والمحرمات في الإسلام، فيجب أن نحذر حتى لا يكون في أحد نزعة إبليس، فهو يحاول أن يبث هذه الصفات بين البشر فيقول لأحدهم لماذا فلان غني وأنت فقير.

فإذا كان خطأ آدم ليس عن قصد ولكنه لم ينتبه لأنه نسي ولم يخطط للمعصية، وعندما تعلو الشهوات يغيب العقل، وكانت خطيئة آدم في مرحلة التدريب قبل النزول إلى الأرض.

فالإنسان مهما كان له من التقوى والصلاح فسوف تأتي لحظات ويعصى رب العباد، فيتوب فيتوب الله عليه.

لأن مهمة إبليس في الأرض هو أن يثني آدم وبنيه عن صناعة الخير، برغم أنه كان في الخير، ولكنه الكبر الذي قال سيدنا علي فيه يا بن آدم أتتكبر وأنت قد خرجت من مجرى البول مرتين. يقصد فرج الأب وفرج الأم.

ولكن إبليس في عداوته مع بني آدم قد استثنى نوعًا معينًا فهو لا يقدر عليه

باعترافه هو قال ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣] لأن الله قال ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] وهؤلاء العباد قد تحدث الله عنهم في آخر سورة الفرقان فقال ﴿يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وفي سورة الإسراء ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥] وسورة المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنين: ١].

ومن خصائص هؤلاء العباد أنهم مُخْلَصِين وليس مُخْلِصين فقط بل خلَّصهم الله لنفسه موصولين به سبحانه. ومثال ذلك سيدنا يوسف، وهكذا بدأت عداوة إبليس للإنسان وبهذا المنطق.

أما عمل إبليس فيقوم به هو وأتباعه من الإنس والجن فإبليس ليس وحده بل له ذرية ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤] إذا ليس واحدًا بل هم كثير.

وله أتباع من الإنس والجن أيضًا، فقد تمت إحصائية وجدت أن في العالم ما يقرب من (خمسة آلاف) عابد للشيطان في الولايات المتحدة، و ٧٠٠ ألف (سبعمائة ألف) عابد للشيطان في أوروبا و٧٠ ألف (سبعون ألف) في بعض بلاد إفريقيا ومعهم أسرار الشيطان الأعظم كما يقولون، و سر إتيانهم له إنه هو المتمرد الوحيد على الله هذا صنف صريح العبادة.

وقد أخبر النبي بأنواع أخرى من أتباعه كالنساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات لغيرهن، أمثال عارضة الأزياء التي تعمل على إمالة غيرها إلى ما ترتدي وهكذا.

والشيطان (إبليس) يقوم اليوم بعمل متابعات على التابعين له فهو ينصب عرشه على الماء وكل ليلة كما في نص الحديث ويجمع أبناءه ويقول: من أفسد مسلمًا اليوم لأضع على رأسه التاج؟ يعني أفسد واحدًا من المؤمنين إفسادًا تامًا

بحيث يصبح أكثرهم فسادًا هو رئيس قسم الإفساد.

ويأتي كل واحد من أبنائه بأعمال فمنهم من يقول ظللت وراء فلان في ترك الصلاة. فيقول إبليس: غدًا يفيق ويتوب ويصلي!ما صنعت شيئًا، ويقول آخر: جعلت فلانًا يترك الصوم فيقول إبليس: غدًا يتوب ويصوم! ما صنعت شيئًا، هكذا الذكاء، حتى يأتيه أحدهم ويقول له: جعلت فلانًا يطلق زوجته. فيستحسن صنيعه ويقربه منه في المجلس؛ لأنه بذلك قطع صلة الرحم وفرَّق بين عائلتين.

ولذلك أدعو كل مسلم ألا تصل الأمور بينه وبين زوجته إلى هذا الحد وألا يكون الطلاق هو أسهل ما عندنا.

ومما لا شك فيه أن لكل واحد منا شيطانًا، فعندما ذهب الرسول ﷺ يزور أهل البقيع وترحم عليهم وعاد قال للسيدة عائشة: هل زارك شيطانك؟ قالت أولي شيطان يا رسول الله؟ قال: لكل مسلم. قالت: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم. وكلمة أسلم أي يسلم الرسول من شره فلا يُزَيِّن للرسول شيئًا.

هناك حادثتان مع الشيطان أولهما: جاء للنبي في الصلاة فأخذه النبي وأراد أن يربطه في سارية بالمسجد فتذكر دعوة أخيه سليمان ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] فأطلقه.

وثانيهما: جاءه ليلاً حتى يُلبسّ عليه الصلاة فأمسك النبي ﷺ بخناقه حتى سال لعابه.

إذًا الشيطان له حجم وشكل ومنظر وهو يتزوج من الجن. ويوجد منهم الذكر والأنثى، والجن يوجد منهم المؤمن والكافر ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: ١٤] ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾[الجن: ١١].

والرسول أرسل إليهم ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] أي الإنس والجن، ولكن هم لهم عالمهم الخاص بهم، والكل يحركه إبليس هذا هو الأب.

والمسلمون منهم مكلفون بالصلاة والصيام والزكاة، فقد كان يذهب إليهم الرسول ويكلمهم كما في سورة الجن.

إذا آدم أبو البشر وإبليس أبو الجن.

وللشيطان (إبليس) أسماء كثيرة منها الغَرُور ﴿لاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] وأيضا من أسمائه الطاغوت وهو كل ما عُبِدَ من دون الله، والطاغوت من الشيطان.

خطوات الشيطان

وللشيطان أساليب ومكائد، فأول شيء يفعله يأمر بالفحشاء، فمثلا يحلل لك النظرة الحرام، فهو يزين الحرام ويُبَغِّض لك الحلال.

ثم يستمر في الوسوسة لا يكل ولا يمل لأن هذه هي وظيفته، فهو لا يترك الإنسان من ليل أو نهار، فمثلا إذا دخل العبد في الصلاة جاءه وشككه في الوضوء مثلاً فيشغله ركعة، وهكذا.

ولكي نتخلص من مشكلة الوسوسة أو السرحان يجب أن يعلم الإنسان أنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها فالحل في صلاة الجماعة سواء سهوت أم لم تسهُ فصلاتك مقبولة إن شاء الله.

وهل الشيطان يأتي لكل الناس؟ حتى من هم في أعلى درجة من درجات الإيمان؟ نعم يأتي الشيطان لكل الناس حتى المؤمنين الذين هم في درجات عالية، انظر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٢] وها هي أعلى درجات المتقين، عند الإغواء تذكروا أن هذا عدو لهم و تذكروا أن الرسول حذرهم من هذا.

فإذا هم مبصرون، وكأن الشيطان يصيب الإنسان بالعمى، عمى البصيرة، أي أبصروا حقيقة الشيطان. لذلك ندعو: اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

فالشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، وإذا ذكرت الله خنس، وإذا غفلت تحرَّك وابتدأ يزين ويوسوس ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] حتى لو في الصلاة نستعيذ منه لأنه قال ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] فهو يذهب إلى أماكن العبادة وليس أماكن اللهو والعصيان، وتقطع القراءة في الصلاة وتستعيذ منه هذا يجوز، وهو لا يترك المسلم أبدا حتى عند النوم، يجلس الشيطان عند رأس ابن آدم ويعقد ثلاث عقد، فإذا استيقظ الإنسان لصلاة الصبح حُلَّت عقدة، فإذا توضأ حلت الثانية، فإذا صلى حُلَّت الثالثة فيكون نشيطًا منشرح الصدر.

أما من ترك الصلاة فيقول له الشيطان: نم أمامك ليل طويل حتى يجد نفسه وقد طلعت الشمس وقد بال الشيطان في أذنيه.

تخيل شعوبًا بأثرها. بال الشيطان في أذنها وفمها كيف يكون تصرفاتهم وماذا تنتظر من موظف هكذا فهو لا يسمعك كلمة خير. فكل مسلم يأخذ بجميع الأسباب حتى لا تفوته صلاة الصبح جماعة ويقرأ أول أربع آيات من سورة الكهف قبل النوم فتكون معينة له على القيام.

والشيطان له قضية أخرى ألا وهي الاستهواء ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١] أي يجعل بينه وبين الحرام هوى، كما فعل قوم لوط ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢] فتنقلب الموازين لأن الشيطان قد احتواه، ثم يقوم بتزيين الباطل ويجعله حقًا مثل قضية الربا، فيقولون: هذا هو الاستثمار، وهكذا يزين الباطل من أجل كسب أموال كثيرة.

وللشيطان خطبة في أرض المحشر فيقول ﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[إبراهيم: ٢٢].

أي مهما تصرخوا فلن أستطيع إنقاذكم، يقول للإنسان أنا لم أجبرك على فعل شيء، أنا عرضت لك الموضوع وأنت الذي قبلت. فالشيطان بمجرد الاستعاذة يبتعد ويَخْنَس.

لذلك عندما ندخل دورة المياه نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وعندما تنام وعندما تتحرك، يكون لسانك رطبًا بذكر الله، وأيضًا الشيطان لا يدخل بيتًا تُقْرأ فيه سورة البقرة، وأيضا عند دخول البيت نستعيذ من الشيطان الرجيم، فيقول الشيطان لا مبيت ولا عشاء لكم اليوم، وأيضًا عند الأكل لا تكون يد الشيطان بيدك في الأكل ولذلك يوصي الرسول أن نبدأ الأكل باسم الله، والذي ينسى عليه أن يقولها في وسط الأكل أو آخره.

والشيطان يوقع الإنسان في خطوات ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنعام: ١٤٢] فهو يأخذ إلى المعصية خطوة خطوة، فهو يجعلك تنافق من أجل المنصب، ويجعلك تبخل بالأموال خوف الفقر أو مستقبل الأولاد، وهكذا.

فهو يمشي معك خطوة خطوة ولا يمل ولا يكل فهو يبدأ معك أولاً يحاول أن يدعوك للخروج من الملة، فيشكك في الغيبيات مثل عذاب القبر والآخرة أو الفروض مثل الحجاب.

فإن فشل في ذلك يحاول الدخول من باب البدع أي الإضافة أو النقص من الدين، فيجعل الناس تطوف بالقبور مثلاً. وإذا فشل في هذا يدخل لك من باب الكبائر، كأنه يقنع الموظف بأنه فقير وراتبه لا يكفيه ولا يوجد حرج في أخذ

الرشوة ويزين له الباطل ويقنعه أنها هدية وليست رشوة وكل الناس تأخذ هدايا.

ولكن إذا وجد إيمانك قويًا يحبب لك الصغائر ويحبب إليك النظر أو سماع الأغاني ويقنعك بأنه ترويح للقلب.

وإذا لم يفلح في الصغائر ووجدك ثابت الإيمان يدخل لك من باب الإكثار في المبيحات، مثل توسعة البيت وشراء سيارة فارهة والجوهرات والملايين والمغريات حتى تصغي وتسير معه.

فإذا فشل معك في المبيحات، يدخل لك من باب تصليت جنوده من الإنس والجن يتابعونك في كل موقف.

فالأمر متوقف على مدى اعتصامك بالله عز وجل،فإذا كان معك إذًا أنت في حصنه، فداومْ على الذكر واتباع الكتاب والسنة، وأخلص النية والزم الجماعة ولا توالِ الشيطان ولا أهله ولا أتباعه حتى تصير عبدًا نقيا تقيا لله.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

* * *

أول مَنْ بُشّروا بالنار...

وأول جماعة في التاريخ بشرت بالنار هم قوم نوح، لأنهم أصحاب نوع من التمرد عجيب، ونداء سيدنا نوح لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢] كأنه نداء البشرية كلها كي لا تغرق ولكن البشرية تصر على الغرق.

ولن تجد البشرية راحتها إلا أن تفيق إلى بر الإسلام وقوم نوح قد مكث فيهم سيدنا نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا، وما آمن معه إلا قليل، والقليل هنا ما دون المائة.

فلك أن تتخيل أن نبيًا يدعو تسعمائة وخمسين سنة ويسلم معه أقل من مائة، أي كل كم من الأعوام يدخل أحدهم في الإسلام؟!.

وقد جاء في الأثر وكتب التفسير أن الله أوحى إلى نوح أن يزرع شجر غابة، فزرع ونبت وقال له: اقطعها واتركها تجف، هذا يأخذ سنوات، ثم أخذ يصنع السفينة في وسط المدينة وهي محاطة بالرمال ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨] هذه قوانين الحياة، ولا يغضب صاحب حق إذا أهانه الناس أو آذوه. وقالوا: أن نوحًا مجنون وجعلوه بينهم مضطهدًا.

ونوح هو الحفيد الثامن لأبينا آدم، فانظر كيف نزل الإنسان بفطرته عندما هبط آدم من الجنة، ثم كانت أول مصيبة وهي قتل قابيل لهابيل وهو من الأفراد المبشرين بالنار. وبدأت البشرية تبتعد عن قانون الله، أو دخل الحسد كما دخل إبليس من آدم، ودخل قابيل من أخيه هابيل، وهو من أشد أمراض القلوب.

والقلب ثلاثة أنواع، قلب سليم، وقلب سقيم، وقلب ميت.

أما القلب السليم فهو القلب الوحيد الصالح للقاء الله يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] فهو سليم من

الدنيا والحقد والحسد ومن الكبر والعرى ومن الرياء ومن القنوت من رحمة الله، وإن لم يكن القلب سليمًا صالحًا لا تنفع العبادة وجاء في القدسيات عن رب العزة: «إنما أتقبل الصلاة من تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصر على معصيتي».

إذًا بعد قتل قابيل لهابيل بدأت البشرية تمرض وبدأ دخول فيروسات شيطانية في القلب، فيرسل الله إلى البشرية طبيبًا (نبيًا) وكلما تمرض يرسل إليها طبيبًا لذلك نجد بنى إسرائيل أكثر الأمم من حيث عدد الأنبياء لأن أمراضهم كثيرة.

مرصاد لا يخطئ الظالمين...

لذلك لما دعا سيدنا نوح قومه وكذبوا أعطاه الله العلامة وهي خروج الماء من التنور والقرن، ودعا وقال:﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠] وكل مظلوم يدعو الله بإخلاص ينجو بفضل الله، فقال الله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١] وهذا يدل على اندفاع الماء من السماء بغزارة وتركيز شديدًا ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢].

وركب نوح السفينة ولكن ابنه وزوجته من المبشرين بالنار، وهذا ابتلاء لسيدنا نوح، فكيف يصدقه الناس وكيف ينفعهم بدعوته، وزوجته وابنه لا يصدقانه، فقال الله عن زوجته وزوجة سيدنا لوط ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]. وابتلاء ابنه الذي رفض الركوب مع أبيه وغرق أمام عينه.

لذلك قالوا من اعتمد على عقله أو على حيل عقله ظنًا منه أن هذا سيبعده عن طوفان الفساد أو الهلاك فسوف يغرق كما غرق ابن سيدنا نوح.

غرق كل كافر بسيدنا نوح، ولم يكن على الأرض بشر كثير، ولم تكن قد تكاثرت البشرية. وسبب الغرق وهذه الشدة في العقاب أن البشرية في بدايتها لا تهتم إلا بالحركة العينية، وما أظهروه لسيدنا نوح من العداء التمرد الشديد لا يردعه إلا العذاب الشديد فكان إغراقهم بهذه الطريقة. وهذا العقاب على كل من يصنعون صنع قوم نوح.

أصحاب الأخدود

وأيضًا من المبشرين بالنار الذين قتلوا أصحاب الأخدود، و الأخدود حفرة في الأرض وضعوا فيها كل من يؤمن بالله، وأحرقوهم أحياء والقصة كالآتي:

كان هناك ملك وعنده ساحر، والملك يدعو الناس إلى عبادته، فكبر الساحر وتقدمت به السن، فأراد أن يبحث عن غلام ويعلمه السحر، حتى يتواصل الشر! فهناك من يعمل صدقة جارية وهناك من يعمل سيئة جارية!!!

فجاءوا له بغلام يذهب إليه كل يوم يعلمه أمور السحر وذات يوم يجد في طريقه راهبًا يجلس يعبد الله، فمرَّ عليه فأعجبه كلام الراهب.

مات الساحر ومرض بعدها الملك فجاءوا بالغلام وقالوا له اصنع شيئًا للملك لكي يُشْفى، فذهب إلى الملك وقال مُدَّ يدك وقل باسم الله فتعجب الملك وقال من الله؟ قال الغلام ربي وربك الله. قال الملك: ألك رب سواي، قال بل هو رب العالمين.

فأمر الملك أن يأخذوا الغلام في مركب صغير وأن يرموه في وسط البحر، فلما أخذوه وقيدوه قال الغلام: اللهم أكفينيهم بما شئت وكيف شئت؟ فانقلب القارب بهم وعاد الغلام سليمًا.

فلم يقتنع الملك بهذا، وقال خذوه إلى الجبل وألقوه من على قمة الجبل،

فأخذوه وقيدوه، فدعا الغلام نفس الدعاء؟ «اللهم أكفينيهم بما شئت وكيف شئت» فاهتز الجبل فسقطت الخيول والجنود وعاد الغلام سليمًا.

فقال الغلام للملك لن تقتلني إلا إذا أخذت حربة وصوبت على قلبي وقلت: بسم الله رب الغلام، ولكن على أن تجمع أهل القرية، فلما فعل الملك مات الغلام وآمن الناس جميعًا.

فحفر الملك الأخدود وبدأ يعرض على أهل القرية الكفر فرفضوا فأشعل النار في الأخدود وألقى بهم جميعًا: رجالاً ونساء وأطفالاً.

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

[البروج: ٤، ٨].

فالإنسان ميت لا محالة، إذًا يموت على الحق والثبات خير له.

قوم سبأ

ومن الجماعات المبشرة بالنار قوم سبأ (أصحاب حضارة اليمن) فقد وصلوا إلى حضارة ما وصل إليها أحد، ولكن ما شكروا رب العباد. فنحن نشكر الأفراد على كل معروف قدموه لنا، ونلمح في عيون الناس عدم شكر الله وعدم شكر الأب والأم وهذه مصيبة تمنع البركة من المجتمعات.

قوم صالح

وقوم صالح من المبشرين بالنار، فقد كانوا علماء بشعاب الجبال (علماء جيولوجيا)، فقال لهم سيدنا صالح أني مخرج لكم من هذه الشعاب ناقة تخرج من الصخر. قالوا: كيف؟!!!، فخرجت عليهم فتعجبوا، وقال لهم: يوجد آية أخرى، أنها تتقاسم الماء معكم لها يوم تشرب وحدها واليوم التالي تسقيكم

كلكم لبنًا، وقال لهم إياكم والناقة أن تقربوها بسوء.

وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فأراد كبيرهم أن يتخلص منها ولكن كان يهاب، فيقول القرآن: ﴿فَتَعَاطَى فَعَقَـرَ﴾ [القمر: ٢٩] أي تعاطي الخمر فسكر فضربها على رأسها فوقعت فماتت، فنزل عليهم العذاب ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤] أي جعل بيوتهم حصيرًا كأن لم تكن بالأمس.

لأنه لو تُرِكَ المفسد يفعل ما يشاء لفسد باقي المجتمع، فلو تركنا من يقدمون أفلامًا هابطة وفاضحة ويعملون مجلات فاضحة، فسوف تنزع البركة من المجتمع إن لم ندفع هؤلاء.

ولا يظلم ربك أحدا...

وإذا نظرنا إلى الجماعات نجدها كلها كذبت بالرسل ولكن العقوبة اختلفت، لأن البشرية كانت في بدايتها قاصرة العقل والنضوج الفكري فكان العقاب بالطوفان يأخذ الكل، أما قوم عاد كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا وكان يتخذون مصانع لعلهم يخلدون فكان العقاب على قدر الذنب الريح العقيم، العقيم كعقولهم.

وقوم لوط ينزل عليهم حجارة مسومة من عند ربك أي مكتوب اسم كل واحد منهم على كل حجر، وهذا لأنهم خالفوا الطبيعة البشرية، فكان ذنبهم الشذوذ الذي يبيحه البعض بدعوى الحرية.

ولكن كل شيء يجب أن يمشي وفق منهج الله، فالزواج هو الطريق الطبيعي ﴿هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

هكذا كانت الجماعات، ويوجد أيضًا **أفراد مبشرون بالنار**، ومنهم مسيلمة

الكذاب وكان من اليمن وادعى النبوة وأرسل رسله إلى النبي ﷺ، وكان يقول من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، هكذا يريد أن يتساوى مع رسول الله ﷺ.

بل ادّعى النبوة أُناس كثير، فمنهم سجاح، والأسود العنسي.

وكان أخطرهم مسيلمة، فأرسل إلى النبي رسالة يقول فيها: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم يعتدون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فأرسل رسول الله ﷺ إليه برسالة: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

واستفحل أمر مسيلمة بعد موت النبي، وبدأت قضية الردة ومانعي الزكاة، فاعتبرهم أبو بكر مرتدين، فالإسلام كلٌّ لا يتجزأ، الصلاة والزكاة والصيام والحج، والكل مطلوب العمل به.

و من يأخذ آية من كتاب الله و يترك أخرى، أو من أنكر آية من كتاب الله فقد خرج من دين الله؛ لأنه كمن أنكر القرآن كله؛ فمن الناس من ينكر آية الحجاب وهذا معلوم من الدين بالضرورة.

أما التكاسل مع العلم بفرضية الصلاة وغيرها دون إنكار فهذه مسألة أخرى.

ومسيلمة كان كبير القوم وتزوج من سجاح وكانت من قوم أقويا.. ومن الغريب أنه تزوجها بدون مهر، ولما سُئل قال: قد دفعت لكم مهرًا! قالوا: وما هو؟ قال: وضعت عنكم صلاة الصبح وصلاة العشاء. وذات يوم دخل عليه بن عمه وقال له: ما معجزاتك؟ قال اكتم عني، قال له ابن عمه: إنك كاذب، ولكن كاذب ربيعة أفضل من صادق مضر. وهذا هو اتباع الهوى.

فأرسل أبو بكر الصديق إليه خالد بن الوليد واعتصم مُسيلمة بحديقة سميت بعد ذلك بحديقة الموت، وقوم مُسيلمة قوم مقاتلون ودارت المعركة فقتل وحشي (قاتل حمزة) مسيلمة، وأعاد أبو بكر الجزيرة على ما كانت عليه مرة أخرى.

ومن المبشرين بالنار أيضًا أبو لهب وزوجته (أروى بنت حرب) وكان يسمى أبا لهب لأنه كان كالنار تتوقد في وجهه كان أبيض بحمرة شديدة واسمه الحقيقي عبد العُزى ولقد لقي النبي من عداوته الكثير ومنها النفسية كتطليق بنات النبي من أولاده، وهو الوحيد الذي شارك في حصار النبي في شعب أبي طالب.

ونزل فيه قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾ [المسد: ١، ٣] إذًا فلا عودة له بعد نزول القرآن، وزوجته أيضًا كانت تكره الرسول وتعامل بنات النبي معاملة سيئة وكانت تضع الشوك والعظام وتلقي بها أمام رسول الله.

هذه القصص تمثل نوعًا من التمرد على الله واللدد في الخصومة والكفر البين وإنكار الحق.

وفرعون يمثل الطغيان الحاقد على الشعب، فهو حاكم يكره شعبه! وقد عذب بني إسرائيل أشد العذاب ﴿**يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ**﴾ [القصص: ٤] وكانوا يعملون لديه بدون أجر لذلك قال السحرة ﴿**إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**﴾ [الأعراف: ١١٣].

وعندما أدركه الغرق قال: آمنت بالله. ولكن هذه توبة الكاذبين وهي توبة من أجل الإنقاذ من الغرق.

وهامان وقارون فقد تكبر أحدهم، والآخر منع الزكاة فهؤلاء كلهم ومَنْ سلك مسلكهم خزايا في الدنيا هالكون في الآخرة.

* * *

دركات النار

ما أجدرنا بالخوف منها

يجب أن يرتجف قلب العبد من النار لأننا لسنا أشرف ولا أزكى من رسول الله ﷺ فقد كان إذا ذكرت النار يهتز قلبه وكان صدره كأزيز المرجل ، وكان لعمر خطان تحت عينه من البكاء خوفا من الله عز وجل.

والحسن البصري كان عندما تُقْرأ هذه الآية أمامه ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] يغشى عليه وكان عمر بن عبد العزيز كذلك، إذا مر بآية من آيات النار شعر أن لفح جهنم في أذنيه ووجهه، فكان يقوم الليل كله ولا ينام هكذا كان تعاملهم مع كتاب الله عز وجل، وعند ذكر الجنة كانت قلوبهم تطرب لأن القلوب كانت تقية.

يجب أن نخاف من النار لأننا نعلم أننا واردون عليها كما يقول تبارك وتعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. وهنا تكمن المصيبة، ويعني بالآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ أن الصراط جسر فوق جهنم (فوق النار) وجميع البشر سوف يمرون فوق هذا الصراط فوق جهنم فلابد من أن نخاف من النار.

إذا كانت طباعك طبعَ سوءٍ فلا أدب ولا أديبُ

معنى ذلك أن القلب، كما قلنا من قبل، قلب سقيم كالمرآة الصدئة لا تتلقى الصور كما هي، أما قلوب الصحابة فقد كانت قلوبًا سليمة، فتلقت الآيات كما هي وأخذت الكلام كما كان مُسطَّرًا على صفحات قلوب الصحابة بمداد من نور كلام الله عز وجل كان الصحابة رضوان الله عليهم عبارة عن نسخ من

المصحف تتحرك، أما نحن فقد ملأنا قلوبنا بما يجب ألا تملأ به إذ إن القلوب مهمتها ذكر الله والخوف منه والرجاء فيه والمحبة له وفيه، وصدق النية ومحبة الآخرين.

ويجب أن يتبخر منها الحسد والحقد والضغائن، والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، والتكبر على الناس، والشرك، والكفر بالله، والكفر بأنعم الله. وتمتلىء باليقين، الصبر، والتوكل.

وقد شغلنا القلب بماذا؟ شغلناه بالدنيا، فإذا تصورنا أن القلب ماكينة بترول وأنت وضعت فيها ماء، أو الماكينة تعمل بالكهرباء ووضعت فيها مادة أخرى، فهي تتعطل، هكذا القلب أنت تشغله بما لا يجب أن يُشْغل به. فامتلأ بالهموم.

أصبحت تكلم الرجل في ظهر صلاة الجمعة وهو ليس معك، يفكر في مصيبته مع زوجته أو في مصيبته مع ابنه لأنه لم يتصل بالخالق، ولو اتصل بالخالق لكفاه مؤونته.

أنوار المؤمن وظلمات الكافر

أقصر طريق هو الاتصال بين العبد وربه، فإذا تواصل العبد مع ربه يضاء قلبه فقد تُحَدّث الناس عن النار فيبكون. نعم، نحن لا ننكر أنهم يبكون لكنه بكاء وقتي بعكس الصحابة، فقد عاشوا دهرهم كله لله عز وجل.

خلقت الجنة وأمر جبريل عليه السلام بالاطلاع عليها والنظر إليها فلما عاد جبريل عليه السلام قال ليس هناك أحد من بني آدم سوف يسمع عنها إلا وعمل من أجل دخولها فحفها الله بالمكاره فالأمر ليس سهلاً.

يقول الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ

﴿فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت ٢- ٣] هناك نوعان من الناس، صادق وكاذب، فكلمة «أحسب» هي استفهام وكأنه استفهام استنكاري ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا﴾ فأين الدليل على أني مؤمن، فلما حُفَّت بالمكاره (الصعاب)، فمثلا: قم صلّ الصبح (صعب) أمسك لسانك، غُضَّ بصرك، لا تسمع الأغاني، لا تذهب إلى مكان فيه فسوق، حرك قلبك لذكر الله، اصبر على ما أصابك، أعطِي من حرمك، صل من قطعك، اعفُ عمن ظلمك كل هذه مكاره لأنها ضد الهوى (هوى النفس) وكل ما ضد هوى النفس هو الذي يقربك من الله، وكل ما هو مع هوى النفس يبعدك عن الله.

فلما حُفَّتْ بالمكاره ظن جبريل أن الأمر صعب فلن يدخلها أحد إلا من رحم ربي.

ثم خلق الله تعالى النار وأمر جبريل بالنظر إليها فجاء ﷺ مذعورًا وقال: يهربون منها، أي لن يدخلها أحد فلما حُفَّتْ بالشهوات، فمثلا هذه نظرة طيبة، هذه أغنية جميلة، هذه رقصة، هذه جلسة فيها غيبة، هذه فيها سخرية بإنسان، هذه شماتة في أحد، هذا خوض في الأعراض، هذه ربا ومال حرام، رشوة، فوضى، انحراف، زور، بهتان. فقال جبريل: ما أظن أن أحدًا ينجو منها.

فالناس إما مؤمن وإما كافر، المؤمن يتقلب في أنوار خمسة والكافر يتقلب في ظلمات خمسة، فالمؤمن كلامه وعمله نور، ومدخله نور ومخرجه نور، وقبره نور، وعلى الصراط نور. والكافر كلامه ظلمه، ومدخله ظلمه، ومخرجه ظلمة، والصراط ظلمه، والعياذ بالله قبره ظلمة ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠].

فإذا خاف المسلم من النار خوفه من الفقر لنجا منهما جميعا، ولو رجا الجنة كما يرجو الغنى لفاز بهما جميعا، وخوف المسلم من النار ورغبته في

الجنة ينبغي أن يترجم إلى عمل.

جزء من لوامع النبوة

ونجد أن الإنسان كلما اقترب من ربه عز وجل ويبتغي بكل عمل يعمله وجه الله فإنه يصل بهذه الروحانيات إلى درجة الرُّؤى الصالحة، فمثلا نور الدين الزنكي هذا القائد العظيم يأتيه رسول الله ﷺ في الرؤيا ويقول له: يا نور الدين، أنقذني من هذين، ويشير له على اثنين في الرؤيا أشقرى اللون. فجمع العلماء واستشارهم في رؤياه وقص عليهم ما رآه فأشاروا عليه بأن يذهب إلى المدينة، فذهب إلى المدينة ومعه صدقات وأموال ودعا أهل المدينة كلهم، فجاءوا جميعا إلا أنه لم يَر فيهم هذين الشخصين الذين رآهما في الرؤيا فقال لأهل المدينة: هل في المدينة أحد غيركم؟ قالوا هناك اثنان من المغاربة جاءا لطلب العلم، وهما أهل زكوات وصدقات يوزعونها على الناس. فدعاهما فرآهما نفس الشخصين الذين رآهما في الرؤيا. فسألهما: أين تسكنان فقالا: بجوار المسجد فذهب لزيارتهما في منزلهما فرأى كتبًا وأموالاً، فتعجب الرجل وسار يمشي في الغرفة ذهابا وإيابا إلى أن اصطدمت رجله بشيء فأمر بأن يزال فراش الغرفة فوجد حفرة، تتبعها فإذا هو نفق، وقد اقترب هذا النفق من جسد الرسول الطاهر وهذان الاثنان من نصارى المغرب الذين بعثهم الفرنجة بأموال كثيرة لصناعة النفق وسرقة جسده الشريف. فقطع رقبتهما في التو واللحظة.

وكذلك القرامطة عندما أرادوا سرقة الحجر الأسود في أيام الفاطميين وكان يوم الترويه اليوم الثامن وقتل عند الحجر ٢٢٠٠٠ وهم يدافعون عن الحجر حتى استردوه ووضعوه في مكانه وحمى الله الكعبة.

وهنا يجب أن نعلم أن هناك أناسًا صدقوا الله وعاهدوه على إعادة الحق لكل ذي حق وهناك أصحاب باطل، والكفار يقفون في وجه أصحاب الحق،

فنجد أن هؤلاء أصحاب شر متأصل فيهم، فأصحاب الكفر المنظم لابد لهم من إسلام منظم يقف في وجههم، فالهوى يعمي ويُعِمّ، فالإنسان الذي أعطاه الله قلبًا نقيًا وهو الذي يطمسه بالذنوب والمعاصي ولا يأبه لهذه الذنوب والمعاصي وتمر عليه سهلة، وهو لا يعلم أن الذنب الصغير يعمل في القلب نقطة سوداء فإن استغفر العبد مُحيت، وإذا لم يستغفر وتبع الذنب ذنبا آخر وآخر يَسْوَدّ القلب، يقول الله تعالى ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] وهذا يحجب عن رب العباد فلا يرى الحق حقا ولا يتبعه، ولا يرى الباطل باطلاً فيجتنبه يقول الله تعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥] .

وعندما نتحدث عن النار وعن طعام أهلها وشرابهم ووصف النار ووديانها فنحن نعرض ذلك ليستفيد الناس ويخافوا من النار ويبتعدوا عن كل ما لا يرضي الله.

آفات المروءة والإنسانية

المروءة: هي النخوة، والشهامة، والوقوف بجوار الضعيف، أن تحمل الكلّ، وأن تكرم الضيف، وتفرح إذا جاءك الفقير، فقد كان الصحابة إذا أراد أن يشين أخاه (ينقص من قدره) يطلب حاجته من غيره.

وقد وصلت المروءة إلى أعلى درجاتها في السلف الصالح، فالشافعي عندما رجع فوجد الجارية تقول له صاحبك فلان جاء فلم يجد أحدًا بالبيت ففتح ووضع كذا في جيبه ثم مشى. فقال إن كان ما تقولين حقا فأنت حرة لوجه الله، وذلك من فرحة الشافعي بأن أخاه زال عنه التكلف.

وقد وضع العلماء شروطًا للأخوة الصادقة، أقلها سلامة الصدر وأعلاها الإيثار.

ونجد أن من خوارم المروءة ما يلي:

١- أخذ العوض على تعليم القرآن دون داعٍ موجود، ولكن إذا كان ليس له إلا هذه المهنة فلا بأس، ولكن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين اعتبروها من خوارم المروءة.

٢- اتباع الهوى عندما تجلس في مجلس وتقول لفلان المنطق يقول كذا أو الحق يقول كذا، هو يقول لك أصل زوجتي سوف تقول كذا وأولادي يضحكون عليّ ويقولون كيف تتنازل.

٣- الإدامة في تأخير الصلاة دائمًا فمثلا هناك من لا يأتي إلا في الركعة الرابعة، وليست هناك ظروف تمنعه، فإذا لم أصلّ أنا وأنت وهذا وذاك في المسجد، فمن يصلي بالمسجد .. من يفتح بيت الله ويعمره؟!! فعندما يقول المؤذن: حَيّ على الفلاح.. يقولها لمن؟ ومن خان حيٍّ على الصلاة يخون حيٍّ على الفلاح .. فهل هناك من المليار مليون فقط مضبوطون ويصلون بالمسجد.

٤- ترك تسبيحات الصلاة (ختم الصلاة)، نجد أن باقة الورد التي حول الشجرة هي التسبيحات فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميده صدقة، وكل تكبيرة صدقة، فكل تسبيحه تزرع لك شجرة في الجنة.

٥- دخول محلات العطور وتجريب العينات فإذا سألت من يفعل ذلك: هل تشتريها؟ يقول لك: لا، أنا أجربها فقط فهذا حرام ولكن عندما تنوي الشراء فلا حرج، فالله يحاسب بالنية والله أعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٦- استخدام الضيف، بمعنى أنك عزمت ضيفًا وهو رجل متخصص مثلا في الطب تخصصًا فريدًا، فتستغله تقول لابنك: تعال يا ولدي ليراك عمك الطبيب وتعرضه على الضيف، وتقول له الأعراض. وهذا لا يجوز.

٧- اعتياد التبول قائمًا بلا ضرورة كمرض أو غيره، حتى الإمام مالك يعتبر ذلك مصيبة لأنها من الممكن أن تصيب الثوب برشاشة البول ويبقى الثوب غير طاهر، وقد كان النبي ﷺ يتبول وهو جالس.

٨- الجهر بالفسق كما نرى الفضائيات فهل ترى فسقًا أكثر من ذلك؟! كذلك تجد المجلات الخليعة وأنت تريد أن تشتري كتابًا أو صحيفة أو مجلة جادة وطيبة، تجد بجوارها كل السموم ولا تعرف إلى أين يَذْهب وجهك وأين توجّه عينك ..!!!

٩- الأكل بالطرقات وفي الأسواق (كمحلات التيك أواي) إلا إذا اضطرتك الظروف وأنت ماشٍ مع أولادك وجاعوا وهذا عيب من وجهة نظر الشريعة الإسلامية؛ لأنه يسقط الحياء، لأنك تأكل وغيرك ينظر إليك. وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه عورة وقد لا تقبل شهادة من يفعل ذلك.

١٠- الضحك بصوت عالٍ، القهقهة في صغير الأمر وكبيره، فهذا أيضًا مسقط للحياء وذهب الأحناف إلى أنه لا تقبل شهادته.

١١- وكذلك أن تأكل من غير ما يليك، فقد جاء أمر من الرسول إلى أنس قال «**يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك**» [رواه البخاري] ألا يحمل هذا على آداب الطعام، فمن المروءة أن تشكر النعمة بالتأدب معها.

١٢- التجشُّؤ بصوت مرتفع، مما يؤذي الآخرين، فهذا من خوارم المروءة.

١٣- كذلك ترك الوَتْر، فعند الأحناف أن الوتر يُقْضي وليست كما يفهم عموم الناس أنها سنة خفيفة فقط ولا داعي للتحرج من تركها.

١٤- تقبيل الرجل زوجته أمام الناس، فهذا ليس من باب الرجولة.

١٥- حضور الوليمة من غير دعوة، فيكون هذا الرجل كما يقال، ثقيل

الظل، فكلما وجد وليمة تجده فيها، وكذلك حفلة تجده، وهذا خارم للمروءة.

١٦- الجلوس على الطرقات إلا بحقها، فنجد من يجلس على القهوة فهل هذا يجلس ذاكرًا لله؟

١٧- ذِكْر الأهل بالاستخفاف أمام الناس فيقول مثلا هذه لا تفهم شيئًا فهي بلهاء أو ثور الله في برسيمه كما يقولون في لغة العوام، ويضحك ...!!! يا أخي أعلِ من قدر زوجتك أمام الناس وكذلك أولادك أمام الناس، وهي كذلك فلابد من الاحترام.

١٨- الربح على الأصدقاء، فمثلا أنت طلبت مني أن أشتري لك شيئًا فلابد أن أشتريه وأعطيه لك ولا أكسب من ورائك شيئًا فأنا لست تاجرًا.

١٩- الرطانة (التحدث بغير العربية)بأن تستخدم كلمة عربية وغيرها أعجمية، فالأطباء مثلا هذه لغة غالبة عليهم ولكن أبناءنا المتحدثين في الهاتف يقولون: (آلو)، وبدل ذلك نقول: السلام عليكم ونأخذ عليها ٣٠ حسنة.

٢١- كثرة الالتفات في الطرقات، فلابد أن تكون في الطريق منضبط المشية ولا تكن كبرج المراقبة (كان سيدنا عمر عندما يرى الشباب هكذا يضربهم ويقول لا تتسكعوا) فأسرع في مشيتك لقضاء أمورك. فخوارم المروءة وهذه تميت القلب ولا تجعله يشعر بما يفعله من أشياء سيئة.

٢٠- اللبس على الموضة بشكل سيء، فتجد الرجل يجلس في المنزل وابنته تذهب إلى الجامعة وهي تلبس ما لا يليق أن ترتديه ويضحك ويقول: هي الموضة وهي تعيش سنها!!! وهو المسؤول عنها «**فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» فإذا لم ترتدِ الحجاب فالأفضل أن تجلس في البيت لأن الحجاب فرض، وما أخذته من التعليم يكفي، وهي لن تحاسب على قلة التعليم في الجامعة،

ولكنها تحاسب على حجابها.

خلق الله النار وخلق كذلك الجنة، ولو أراد الله لهدى الناس جميعا فيدخلون الجنة، ولكن العباد أضلوا أنفسهم وساروا وراء شهواتهم، فكان لابد من خلق النار وكما يقول الله تبارك وتعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤] ونجد أن عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين كان لديهم مفاتن بخلاف هذا الانفتاح، فقد كان هناك أصحاب الرايات الحُمْر وغير ذلك فالمسألة قياسية.

فالإتمار بأوامر الله والانتهاء عن نواهيه وكذلك اعطاء فرائض الله وعبادته ومعاملاته حقوقها كما يأمرنا الله عز وجل فأنا أعمل لله دوما، فإن لله أوامر فلا تعصوها وله حدودًا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها.

فمن لا يحسن عبادته فلن يَحْسُن خلقه، فأنا إذا لم آخذ ثمرة الصلاة وهي أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وإذا لم تجعلني الصلاة متواضعا فلا فائدة منها...!!.

* * *

وصف النار

كثرة لها معنى...

لقد ذُكِرَتْ النار في القرآن مائة وثمان وثلاثين مرة في كتاب الله عز وجل، وهذا عدد خطير فمن لم يتأثر بالكلام والآيات التي ذكرت فيها النار فليبحث عن قلب؛ لأن قلبه قد مات، وقد أنزل الله القرآن مثاني؛ تحدث عن الرحمة والعذاب، الجنة والنار، الثواب والعقاب، العدل والظلم، وهكذا.

فالحديث عن النار يزلزل قلوب المؤمنين ويرعب صدور الصادقين، وقلوبهم رقيقة كأفئدة الذين يخشون ربهم بالغيب، وأما من لا يرق قلبه ولا يخاف ولا يتوقف فهو لا يبني معالم جديدة لحياته، لذا أنصحه أن يبحث له عن عقل.

فهذا هو المعلم الأول في الحديث عن النار، فمثلا ندخل إلى كتاب الله عز وجل ونأخذ سورة البقرة يقول الله تعالى ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] هكذا ادعى اليهود أنهم عبدوا العجل أيامًا محدودة عندما قال موسى لأخيه: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] المهم أنهم عبدوا العجل ويدّعون زورا وبهتانا أنهم لن يُعذبوا في النار إلا بمقدار الأيام التي عبدوا فيها العجل يعني أن يومًا في الدنيا يعادل يومًا من العذاب يوم القيامة، فهم قالوا ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْدًا﴾ [البقرة: ٨٠] فهل هذا موجود ومكتوب في التوارة أو الإنجيل الذي أنزل على عيسى؟ الإنجيل جاء مكملاً للتوراة فهل هذا العهد عاهدكم عليه رب العباد وأعطاكم وثيقة أنكم لن تعذبوا إلا لهذا الأمر ولهذه المدة. يقول الله تعالى ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ

اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]

فكيف يفتري الإنسان على الله ويدعي زورا وبهتانا أنه لن يعذب إلا الأيام التي عبد فيها العجل وقد جاء القرآن يفضح حجتهم ويظهر كذبهم، وليس هناك وقت محدد لمكوثهم في النار، ولكنه قال إنهم في نار جهنم خالدين فيها أبدا، فهم يقرون (اليهود) أنهم يعذبون في النار، وهذا شيء عجيب كما قال المشركون من قبل يقول تعالى ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧].

حتى العصاه من أمة محمد، يقول البعيد منهم عن الله عز وجل المتمني على الله الأماني الذي لا يخاف من الله عز وجل: أنا عاص وسوف يخرج من النار، كل من قال لا إله إلا الله، وهو لا يسمع الحديث الصحيح الذي يقول إن الذي يمكث في النار يمكث مقدار قدر الدنيا، أي منذ أن خلق آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو المتمرد الذي يشرع من تلقاء نفسه يقول تعالى ﴿هَؤُلاَءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ [النساء: ٥١] ويقول ﷺ «**إن مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب والفراش تتجاذب من حولها وأنا أخذ بِحُجَزِكُمْ (يعني أبعدكم) وأنتم تفلتون من يدى فتقتحمون فيها**» [رواه مسلم] فنجد أن الحديث يحذرك ويبعدك ويقول لك: لا تقترب من خطوات الشيطان.

وتجد الناس يستهينون بالمعاصي بالرغم من أنه يجب أن يمتنع الإنسان ويخاف، يقول تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦] فالبلد الطيب هي مكة، ونجد أن الرزق يوزع على كلا الطرفين المؤمن والكافر، ولكن تنزع البركة من رزق الكافر وهذه من رحمة الله أن يرزق كليهما لأنه رحمان الدنيا ورحيمها (الدنيا والآخرة) فلا دخل للإيمان في زيادة الرزق ولكنها البركة التي يحرم منها الكافر بكفره وجحوده.

ونجد أن الكافر كشارب الخمر لا يزيده الشرب إلا عطشا فعنده مليـون أو عشرة أو مليارا أو عشرة فهو لا يشبع ولو كان له واديان يقول تعـالى ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِـيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦] فهـو بـدأ بالكفر الذي يخرج من الملة، والكفر كفر جحود وكفر استنكار وكفر معانـدة إلى أن يخرج الإنسان من الملة، وهذه أنـواع ودرجـات تنـدرج تحـت قولـه ﴿وَمَـن كَفَرَ﴾فهي تضم أقل درجة من درجات الكفر.

فمثلا إذا أنفقت على ولدك لسنوات طوال ثم جاء يوم وقال لك سأشتري هذه الأرض أو هذه السيارة أو سـأتزوج هـذه الفتـاة، وتقـول لـه لا أريـد أن تشتري هذه الأرض أو هذه السيارة أو لا تتزوج تلك الفتاة، وأنت بذلك تريـد مصلحته، فهو يرد بأنه لن يسمع لكلامك ولا يأبه لحديثك ولا يفعل مـا تـأمره بأن لا يفعله، ويقول لك: فرض عليك أن تصرف على ولا تتدخل في شؤوني.

فهذا الولد جاحد بالأب وكافر بالنعمة فكيف بمن يجحـد بـرب الأربـاب؟ ثم يقول الله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦]. أي أنه يؤخذ عَنْوة ورغما عن أنفه كما يقول الله تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] أي سائق يسوقها وشهيد يشهد عليها من الملائكة ثم إلى عذاب النار وبئس المصير، فهذه هي النهاية البائسة، وهذه القضية تدل علـى أنـه لابـد من شكر النعمة، ولا تُقَيد النعمـة إلا بالشـكر كمـا يقـول الله ﴿لَـئِنْ شَـكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] .

فشكر النعمة والعمل بها والإنفاق منها وإظهارها وكذلك الإنسـان المسـلم لابد وأن تظهر آثار الإسلام في المدخل والمخرج وفي الكلام يقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا

﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

فكل شيء في الحياة يجب أن نشكر الله عليه؛ لأن عدم شكر النعمة يستوجب عقاب الله ومن كفر وجحد بها فهو يعذب بذلك في النار يقول الله تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] أي جحدوا بنعمة الإسلام أساسا، فهو لم يشكر الله على هذه النعمة، والشاكرون حامدون لله على كل حال وهم الذين إذا أعطوا رضوا وإذا لم يعطوا صبروا.

وقد عظمَّ الله أجر الشكر حتى وصل الأمر إلى أن من لا يشكر الناس لا يشكر الله، وهذه درجة عظيمة لذلك من قال لأخيه: جزاك الله خيرًا فقد أجزل له في العطاء، ويقول النبي ﷺ «**لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**» [رواه مسلم] ونجد أن هناك زوجات يقطّبن وجوههم في وجوه أزواجهن والعكس، وكذلك الجار مع جاره، والقريب مع قريبه، والعم مع أولاد أخيه. فأين التعاملات الطيبة؟!!.

ستأتي ربك فردًا....

يقول الله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] هذه نتيجة التابع والمتبوع، فهي مصيبة المصائب في الدنيا، ونجد أن المتبوع يزين للتابع أن يتبعه كمثل الشيطان تماما، فيقول شيطان الإنس تعال وأنا أعطيك مقعدا في وزارة أو إدارة أو ولاية، أجعلك محافظًا أو مديرًا لمؤسسة، ولكن ذلك مقابل أن تطأطئ الرأس وتنحني متنازلا عن أي مبدأ.

فهذا قد سلب كيانه ثم يأتي يوم القيامة يقول الله تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[البقرة: ١٦٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا....﴾ فالذي يتبرأ أولا هو المتبوع (القائد)

ويأتي يوم القيامة وعندما يشعر بالمسئولية فهو يبرئ نفسه، لأنه يحاسب على ذنبه وعلى تغريره بالناس، ويعاقب التابع لأنه كان إمعة ومهما جادل فحجته واهية ولن يجد عذرا يعتذر به.

ومن الأعذار التي قد يلجأ إليها ضيق الرزق أو المرض أو الحاجة والضرورة، ولكن يأتي قول الله تعالى ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] وهنا يقول ابن حزم سائلا أمير المؤمنين: ما هي التقوى؟ فيرد عليه أما سرت في أرض ذات شوك؟ قال: نعم. قال: ماذا صنعت؟ قال شمرت واجتهدت.

فهكذا الدين يريد أن تشمر وتجتهد في كل شيء، فالمال يأتي من الحلال وكذلك النظرة، الكلمة، الحركة، يتحرى المسلم الحلال فهو إسلام يمشي على الأرض.

فالإسلام دين الله وقد عرفنا ذلك من كتاب الله وكلام رسوله ﷺ ومن سلوك المتبعين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [البقرة: ١٧٤] فهو يأتي عند آية معينة ويعطل حكمها، ويتكتم عن العمل بما جاء فيها، فمثلا عند آية قطع يد السارق يقول: هذه وحشية، وأن تجلد شارب الخمر: هذه وحشية، ويقول عن شرب الخمر: هذه حرية شخصية.

فهنا معنى الكتمان، أنه لا ينساها ولكنه يعطل حكمها. فمثلا يأخذ قانونًا معين من الدين وآخر لا يعمل به، فهو يرقع الدنيا بالدين، فلا الدين يبقى ولا ما نرقع، يقول الله تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] فهم يفعلون ذلك للوصول إلى أغراض لهم ويرضون بذلك أناسًا آخرين، فهذا خلط للدين يقول الله تعالى ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة: ١٧٤] فعندما يبيع المسلم دينه بدنياه فلا يتوقع له غير النار.

دخل عطاء بن رباح السوق ليشتري تينًا فبدأ الصبى الذي عند البائع يـزن له، وخرج صاحب المتجر من الداخل فقال: يا ولد هذا عطاء بن رباح هذا إمام المسلمين هذا كبيرنا، يريده أن يزود له في الميزان، فقـال عطـاء: لا نبيـع الـدين بالتين فنحن نعلمك لوجه الله، أى أنا لا أحتاج إلى زيادة في التين أحتـاج حقـي فقط، ومن يفعل غير ذلك ففكره ملوث؛ لأنه يعمل لغير الله وضد حدود الله.

مَنْ غير الله ...؟!!!

ويقول الله تعـالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] ويقول الله تعـالى: ﴿ وَمِنْهُم مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَـا فِـي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠] هو يريد الـدنيا، والله عنـده الـدنيا والآخرة، فيا مؤمن أنت تدعو الله بالدنيا فادعه أيضا بالآخرة؛ لتملك الاثنـتين، فلا يحجبك عن الله شيء؛ لأنه لا أحد يشاركه في حكمه، ولكن تحجب نفسـك عندما تشرك مع الله غيره، فمثلا عندما تكون لك حاجة ثم تقول أنا لو أستعين بفلان أو معالي الوزير يقضي لـي هـذه الحاجـة، وتطلـب حاجتـك مـن فـلان وفلان فأنت الذي تضع الحجب بينك وبين الله؛ فلا أمل إلا في الله وحده.

ولذا نحن نقول: لا إله إلا الله. أي لا معبود بحق إلا الله، ولا أحد يـتحكم في الكون إلا الله سبحانه، فنحن ننسى المعبود ونُجري الأمر على يد العبيد، فلا ينسك الناس رب الأسباب الذي أجرى الأسباب على يد هؤلاء.

فهذه مشكله نقع فيها، فالعبد يحتاج نصحًا وتـذكرة، يريـد شـحنة إيمانيـة، فالبعد عن مجالس العلـم وحلقـات العلمـاء وأهـل الخـير وأهـل الـدين يضـيع الانسان، يقول الله تعالى: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١] فهو ليس لديه وقت يستغفر، يقول الله تعـالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِـكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

والطاغوت: هو كل ما يعبد من دون الله.

فالإنسان من الممكن أن يكون مستقيمًا بفضل الله ثم تعتريه أمور تجعله يتوغل في البعد، كإنسان يمشي في الطريق الرئيسي، ثم جاء يجوب الشوارع الضيقة من ضيق لأضيق، وهنا يقول الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فإياك والسبل هناك كتاب وسنة، لماذا نذهب إلى سبل أخرى؟ فمثلا يقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] فالذي يستحل الربا خالد في النار أي لا يخرج منها ولا بالشفاعة، خالد فيها انتهى الأمر، فلا اجتهاد مع النص.

فتجد مثلا ٢٠ عالمًا وكلهم ثقات قالوا إن المصارف الحالية ليست ربا فقط، وأهل الثقة أيضًا قالوا: إنها ربا، فيقع القلب في حيرة وشك. فخذ الأحوط وابتعد عن الشبهة؛ لأن الشبهة كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فالحلال بيّن والحرام بيّن، والشبهات لا يعلمهم كثير من الناس، ويقول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠] فالناس هم وقود النار.

ومن العجيب أن الملائكة ليسوا رحماء جميعًا كجبريل عليه السلام، منهم غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم، وليس في قلوبهم رحمه، لأنهم خلقوا من غير قلب، وقد خلقهم الله من دون قلب حتى لا تأخذهم رأفة في دين الله قال

المفسرون: إن النار عليها ١٩ مليون ملك.

الإسلام طوق نجاة من النار

يقول الله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

أي أنقذكم من نار الدنيا، نار العداوة بين الناس بعضهم البعض، وجَعَل كل الناس تحتاج إلى بعضهم البعض.

المسلم يتعرف إلى الناس وإلى أحوالهم وهمومهم فيدعو لهم ويحل مشاكلهم، والمريض ندعو له، والميت نترحم عليه، ومن كان في ضائقة نقف إلى جواره.

ولكن هناك أناسًا لا تترك الناس في سلام، فهم يتدخلون في كل شؤون حياتهم ويتقصون أخبارهم ومشكلاتهم ويتعرفون على ما لا يجب معرفته، وهنا يقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. فلا أمن إلا بالإيمان وعندما يجلس الإنسان مع نفسه يتذكر الصحابة وسيرهم ويستشعر أسلوبهم وحياتهم، ويقرأ تاريخهم.

نشعر بمدى عظمتهم نجد أبا بكر يبكي وهو يقرأ القرآن، يُغْشى عليه ويمرض لسماع آية، ونرى عثمان ﷺ والحياء يعتلي صدره وحركاته وسكناته، ونرى عليا كرم الله وجهه وهو يتفجر علما.

فنحن نسعد بهم ونفرح ونقول هؤلاء هم أجدادنا وهم نِعْمَ الأجداد، فلابد وأن نكون نحن نِعْمَ الأحفاد، وإن لم نتأثر بذلك فهذه هي المصيبة وهؤلاء الصحابة حجة علينا.

وهكذا إن لم يمن الله علينا بالاعتصام بحبله وعدم العداوة، يقول تعالى ﴿وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣] فلو بقيت العداوة بين الناس كما كانت بين قبيلتي الأوس والخزرج، وبين العائلات، وبين الدول، لما أنقذنا من النار ولكن الإسلام هو الذي أنقذنا من النار، ومن هذه العداوات، وكذلك عصمة رب العباد.

يقول الله تعالى عن لسان المؤمنين ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

فإذًا لابد أن يكن للمؤمن نصير، فالنجاة والفوز لا محالة نصيبه عندما يكون نصيره رب العباد.

والمقصود بالظالمين هم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وذهبوا بها إلى النار؛ لأن الشرك ظلم عظيم، وكذلك الرياء، والتعدى على حقوق الآخرين.

فالشرك صغيره وكبيره ظلم، وكما يقول تعالى ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] ومن الظلم عدم فهم لا إله إلا الله فهمًا حقيقيًا، كما يجب كما يريد الله.

فقد دخل رجل إلى معاوية رضي الله عنه واسمه أبو حزم فقال لمعاوية: السلام عليك أيها الأجير، فقال الحاضرون: قُلْ: أيها الأمير. فأعادها الرجل: أيها الأجير. فقال معاوية: دعوا أبا حزم فإنه يفهم ما يقول ويعلم ما يقول فنظر أبو حزم إلى الجالسين حول أمير المؤمنين ثم قال: إن الله استأجره لدينا ليصير أميرا يتولى أمرنا ويحسن البناء ويعطف على صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه، هو أجير بقدر ما استأجره رب العباد عندنا فطأطأ معاوية رأسه.

يقول تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] يعصى الله بأن يشرك به ويعص رسوله بأن لا يتبع أوامره ولا ينتهي بنواهيه، والمراد بالعصيان هو التمرد والخروج عن مقتضى الأمر، فالله تعالى حد حدودًا فلا تعتدوها فإذا لم تفعل ما تؤمر به فأنت بذلك تتعدى حدود الله وتكسرها وتعصيه سبحانه وتخالف أوامره، قال رسول الله ﷺ: (ألا وإن لكل مَلِكٍ حمىً ألا إن حِمَى الله في أرضه محارمه) [رواه البخاري].

وكان الصحابة يقولون أما الحرام فالموت دونه، يقول تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] فمن يتعد حدود الله فهو خالد في النار لا يخرج منها أبدا، يقول المفسرون كما وصف عن رسول الله: إنه يؤتي بالظالم يوم القيامة يطؤه أهل النار كما تطأ الإبل من وقع على الأرض بأخفافها (أي تدوس عليه) في وديان النار فيها حيات كالبغال إذا لدغت الظالم والكافر لدغة يسرى سمها ٤٠ سنة في جسده، يصرخ منها ٤٠ سنة.

كان الصحابة يجلسون إلى النبي فسمع صوتًا فقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: حجر ألقي في جهنم منذ ٧٠ سنة، فهذا جزاء من يخون الله ورسوله ولا يأتمر بأوامرهما ولا ينتهي بنواهيهما.

نجد أن من يخون الدولة يسمى بالخائن وهذا يعدم، فمن يخن رب العالمين فهذا جزاؤه عند الله النار.

فهناك من الناس من يطالب بفصل الدين عن الدولة وفصل الاقتصاد والأمور الاجتماعية عن الدين ولا يقف أحد لهؤلاء الناس بسبب الخوف من البطش أو التشريد والتعذيب، فمن قصص السلف أن ابن تيمية طرق عليه

الحراس الباب ليلا (حراس الدولة) شاهري السيوف فدخل عليه ابنه وأخبره فقال يا بني: أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله.

يقول تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] ويقول أيضا ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] وهنا في الآية، إذ وقفوا على النار: من المشركين والكفار والملحدين والبعيدين عن الله وقولهم﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ أي يرجعون إلى الدنيا ليؤمنوا بالله مرة ثانية.

ويقول الله ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[الأنعام: ٢٨] ويقول ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] هنا يقول الله إنه إذا رجعهم إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه، فمثلا نجد العبد عندما يطلب من الله شيئًا وينذر إن حقق الله له مراده فسوف يخرج كذا أو يدفع كذا أو يذبح كذا، نجده عند التنفيذ لا يفي بالوعد يقول تعالى في الشرك أيضا ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٨].

فهنا يقول المفسرون إن الجن جاءوا فدلسوا على الناس بالوسوسة لهم، فيقول بعض الناس أنا أُخْرِج الجن وأنا أُحَضِّر الجن، فكلاهما تمادى في كذبه على الله وعلى الآخرين ولذا فكلاهما في النار خالدًا فيها.

والذي يرى في نفسه مسًا من شيطان أو غيره فليقرأ سورة البقرة فهي تُذْهب ما به، أما من يذهب إلى الجن أو يطلب مساعدة مَمنْ يتعاونون مع الجن فهُمْ مثلُهم ما داموا يؤمنون بهم، حتى الجن المسلم مشغولون بعبادة الله، ولذا فإن الله تعالى جعل الاستعاذة والبسملة، والنبي ﷺ جعل أذكار الصباح والمساء

وغيرها في كل عمل وكل تصرف وكل خروج ودخول ليحفظ الإنسان من مس الشيطان.

وكان ابن عمر كل ليلة جمعة يختم القرآن ثم يجمع اليتامى وصبيان الحي ويقول: أمنوا على دعاء عمكم فإنه مستجاب منكم. وكان أبو أيوب السختياني في مصر في عهد تابع التابعين، كان له جار فاسق فاجر فمات الرجل فقيل له: تعال صل على الرجل فقبل الدعوة وصلى عليه، فجاء الرجل لأبي أيوب في الرؤيا وهو يرتع في الجنة، فسأله: ما الذي جاء بك إلى هنا؟!! فقال يا أبا أيوب، لو كنت أنت تملك رحمة ربي لأمسكت خشية الإنفاق.

ثم استيقظ أبو أيوب وذهب إلى زوجة الرجل ومن خلف الباب سألها: ما كان يعمل زوجك؟ فقالت: كما كنت تراه ولكن كان كل ليلة جمعة يجمع اليتامى في الحي ويطعمهم بيده ويمسح على رؤوسهم، ويقول: ادعوا لعمكم عسى الله أن يتوب عليه.

فلا تستهن بعمل خير أبدا، ويقول النبي: (**لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقي أخاك بوجه طلق**) [رواه مسلم] حتى ولو فرسن شاه (أي حافر شاه) تعطيه هدية تكسب بها القلوب، يقول الله تعالى ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنْسِ**﴾ [الأعراف:٣٨]. أي مجموعات، كلما دخلت أمة النار لعنت أختها تماما دون تفكير، يقول تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ**﴾[الأعراف:٣٨] أي بعد أن يصلوا إلى الدرك الأسفل من عذابهم بسبب هذا الفسق أو هذا الإجرام.

فمثلا جميع القتلة يلقون اللوم على قابيل لأنه أول من زرعه، والحاكم الظالم يلقي اللوم على فرعون لأنه أول ظالم متكبر، والغني الكانز يلقي اللوم على قارون، وصاحب العناد والغرور يلقي اللوم على أبي جهل.

فمن سن سنة سيئة فقد باء بإثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة فيقول لهم الله ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ [الأعراف: ٣٨] بسبب أنك اتبعته، وهو له الضعف بما زرع وارتكب، فهذا منتهى العدل من الله لكليهما بما أُعْطى من عقل ليفكر به.

ازرعْ ما تحب حصاده...

فنجد أن من يعمل عملا يجني حصاد ما عمل بيده، فيقول تعالى ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[الأعراف: ٤٤] ويكون هذا النداء بعدما يستقر كل منهم في مكانه، أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

فقد وعد الله أهل الجنة أنهم إذا صبروا فسوف يدخلون الفردوس الأعلى، وإن صاموا يدخلون من باب الريان، وإن أنفقوا وجدوا السنبلة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، وإن كظموا غيظهم وصبروا عن الأذى فسوف يجدون ما وعدهم الله حقا.

والآخر (الكافر) يقول لن أعبد الله، لن أصلي، لن أصوم، لن أزكي، لن أعطي أختي ميراثها، لن أتنازل، سوف أدمر وأحطم، أفتري على الله وعلى الناس... فوجد ما وعده ربه حقا، فيقول النبي: (**الظلم ظلمات يوم القيامة**) [رواه البخاري] فنجد أن عقاب الظالم شديد والظلم يؤدي إلى الكفر.

ولذا يقول الله في الحديث القدسي «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا...**» [رواه مسلم] فلا يجوز للإنسان أن يظلم أخاه الإنسان في أي حد من حدود الله لأن الله أعطاه بصيرة، يرى بهذه البصيرة عيوبه فيتوقف عندها وذلك عندما يعرض نفسه على كتاب الله.

أما من لا يرتد عما يفعل وتأخذه العزة بالإثم فيقول عنه الله ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ

حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠] ويقول ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧] هؤلاء هم أصحاب الأعراف، فهذا نداؤهم بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وأصحاب الأعراف هؤلاء هم أناس لا يعرفون مكانهم، فبعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ويظلوا واقفون، لم يحكم في أمرهم بعد، ولكنهم يطمعون برحمة ربهم، فلهم حسنات قليلة، وسيئات كثيرة إلا أنها بينهم وبين ربهم.

وقال العلماء إن الأعراف هم عرفاء الأمم حسناتهم قليلة لا تدخلهم الجنة، وكذلك سيئاتهم قليلة لا تدخلهم النار، وينتظرون رحمة الله فتأتيهم شفاعة محمد ﷺ ورحمة ربهم، يقول تعالى ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] وأصحاب الأعراف وكأنهم على جزء عالٍ مرتفع (منطقة الأعراف) منهم رجال ومنهم نساء .

صيانة الإسلام للنساء

انظر لرب العباد وهو يحثنا على الرحمة بالنساء والأهل، فعندما ﴿عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه:١٢١] فهنا ذكر آدم ولم يذكر آدم وحواء، ولما تاب عليهم، تاب عليهما معا وقال ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [طه: ١٢٣] ولكن عصى آدم ربه، فهو الذي يتحمل المسئولية، لأن الله يرحم المرأة فيسترها حتى في المعصية.

وهذا ما يجب أن نفعله مع بناتنا رحمةً بهم، فإذا جاءها من نرضى خلقه ودينه زوجناه ولا نثقل عليه حتى إذا أخذها فيسومها سوء العذاب، ويعاملها معاملة نكراء.

ونرجع إلى أصحاب الأعراف فنقول. فإذا رأوا أصحاب النار قالوا: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧] فهؤلاء هم الظالمون هم الذين جنوا

على أنفسهم بظلمهم لأنفسهم وانحرافهم عن السلوكيات الطيبة المأمورين بها، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣] فالله تبارك وتعالى وضع قوانين، ومن لا يطبقها فهو يعادي الله فمثلا من لا تلبس الحجاب هي متكبرة على الله لأن الله يأمرها بالحجاب وأنت ترفضين، فالله وضع قوانين كالحجاب وغض البصر، وكف الأذى، وهكذا فالله يأمر بأشياء ومقابل هذه الأشياء إذا فعلتها دخلت الجنة فهذه قوانين معروفة فعند الصلاة نستقبل القبلة وتضع المرأة حجابها، وتعرف قوانين هذا الحجاب، من يراها ومن لا يراها ومن هم محارمها، ومن هم ليسوا محارمها.

وكذلك أيضا زينت لنا أمور إلا أن لها قانونا، إن خرجت عن إطار هذا القانون فهي محرمة، وإن التزم الإنسان بقانونها حمى نفسه وجسده من النار فمثلا ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤] وكذا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

فهذا غير محرم عليك لأنها زينت في قلوبنا فأحببناها فنتعامل معها بحقها ووضع الشهوات في إطارها الصحيح، يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

دينك لحمك ودمك

يقول الله تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [هود: ١٧] أي أن معه الكتاب والسنة، والكلام هنا عن المسلمين.

فعمة عمر بن عبد العزيز دخلت عليه فقالت: أين عطائي؟ قال: يا عمتي، قد أعطيتك. قالت: لا عطائي الخاص. قال: ليس لكي عطاء خاص. قالت:

كيف؟ عمك الوليد ومن قبله عبد الملك وبنو أمية، أجيئك بصك الوليد؟ فرفع عمر رأسه وكان منكسا رأسه وقال: ماذا تقولين يا عمتي؟ قالت: أجيئك بصك الوليد بن عبد الملك، كان يكتب لي أن لي منحة خاصة من الدولة. قال: يا عمتي أبمصحف تجيئين؟!!! فخرجت وقالت: يا بني أمية لا تلوموا إلا أنفسكم. فلم يعجبها قول عمر، وغضبت منه.

ومثل ذلك أيضا وَلِيَ شخص بيت المال في زمن عمر بن الخطاب فوجد دانقًا (جزءًا من الفلس) فأعطاه لأحد أحفاد عمر بن الخطاب فأخذ عمر بذراع الرجل وقال: أما وجد بيتًا يقبل الحرام غير بيت عمر.

وهناك الأمثلة الكثيرة فمثلا الحسن البصري كان يأكل الخبز كل يوم تقشفا وزهدا حتى يجهز نفسه لطيبات يوم القيامة يقول الله تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧] أي يتحزَّب ضد الدين فالنار موعده وقد نزل هذا الدين من أول موسى ونزل على عيسى حتى محمد وقال والذي بعثني بالحق نبيا لو كان أخي موسى نبيا حيا ما وسعه إلا أن يتبعني. يقول تعالى ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۞ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٧- ٩٨] فهو إمام الكفر وإمام الشر وهي نفس قضية التابع والمتبوع، ونفس قضية أتباع هود أيضا، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٤] اليوم الآخر ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥] ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] فمنهم شقي وسعيد، فأما الأشقياء لهم فيها زفير وشهيق كصوت نهيق الحمار إلى نهاية خلودهم في النار.

ويقول الله تعالى أيضا ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] مثلا يقول قائل: لا تدخلوا الدين في كل شيء فالدين لا يدخل في الفن والاقتصاد، ولكن يعمل بالدين في المساجد فقط. ومن قال مثل ذلك تمسه النار.

ويقول الله تعالى ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥] وأخر قولهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾ [الرعد: ٥]. فمنكر البعث كافر.

* * *

لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، لا في الإثابة ولا في العقوبة، يقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] وهذا يختلف عن الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب.

فلابد للإنسان أن يتعلم العلوم الدينية وغير الدينية ولابد ممن يعلم أن يُعَلِّم الجاهل أو من لا يعلم، يقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢] ونجد أن أول ما نزل على رسول الله ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] فهذا أمر للرسول ولأمته من بعده أن يتعلموا ويُعَلِّموا قومهم، لأن هذا تكليف ضروري يقتضي التعليم في كل شيء، في الحركات والسكنات والنوم واليقظة والخروج والدخول. وهناك قائل يقول أخاف أن أتعلم لأن التعلُّم يكلف الإنسان بأوامر ونواهي لابد أن أعمل بها، ومن عرف ولم يعمل بما عرف فعذابه مختلف، ولذلك يقول تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] فتكون عليهم الحجة، حجة بالمعرفة، وحجة بعدم العمل والتسفيه والمعاداة والمحاربة.

ويُسْتثني من ذلك من يتوب، سواء عَلِمَ أو لم يعلم، ولكن من لم يفقه نفسه في أمور الدين فهو آثم ويحاسب على جهله أمام الله، وقد نزل القرآن على الرسول ليتفقه الصحابة فيه ومن بعدهم التابعون وتابعو التابعين، وهذا القرآن يدرس ويفهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] وفي أخرى: ﴿فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] ففي المرة الأولى أمر، وفي الثانية ي، فمثلا أُمِرْت بالصوم والصلاة وغيرها، فهذه أوامر ولها حدود. فمن لم يقم بالصلاة والصيام والزكاة والحج فهو يتعدى حدود الله.

أما من يفعل المنهيات، كشرب الخمر وهي محرمة وكذلك الميسر والأنصاب والأزلام فكلها حرام ولا يجب الاقتراب منها لأنها منهيات، يقول تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] فعدم الاقتراب أصلا يحمي الإنسان من الوقوع في الشبهات، حتى في الأمور الدنيوية.

فقد حد الله حدود للتعامل مع الناس فمن يبني بيتا مثلا فيستأذن جاره ويعطيه حقه في أن لا يسد عليه الريح وتترك مسافة بينك وبينه في الشارع، فهكذا نجد أن لكل شيء حدودًا، يقول النبي: «**ألا وإن لكل مَلِكٍ حمي ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه**» [رواه البخاري] ففي الأمر لا أعتدى وفي النهي لا أقرب.

لا مهرب من عقاب الله

ونجد أن النار متجددة دائما ولا تنتهي ولا تتآكل، يقول تعالى ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] فمن يدخلها لا يفنى أبدا فهو خالد وهي متقدة لا تنطفئ ولكن سيدنا نوحًا ينزع الله من قلبه الأبوة في الجنة حتى لا يحزن على ابنه الذي دخل النار، يقول تعالى ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١].

ولذا سميت الجنة بدار المقامة وهذا من فضل الله وكرمه، ونجد كذلك كرم الله يظهر في العقاب والثواب، فكلاهما خالد فيما اختار لنفسه؛ فمن اختار طريق الهدى خلد في الجنة ومن اختار طريق الضلال خلد في النار، وهذا هو عدل الله مع العباد وما ربك بظلام للعبيد.

وعندما يرى الكافرون العذاب في النار يقولون لله ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] والله يعلم كفرهم فيقول تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] لأنه سبق منهم أن فعلوا ذلك: ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ

﴿مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] فلما دعا لهم الله وكانوا قد وعدوه بالإيمان فلم يفوا بعهدهم فأنزل الله عليهم العذاب، من القمل والضفادع والجراد، حتى إن فرعون كان يعقم الطباخين ويحيط المطابخ بالحرس، وبرغم ذلك كان عندما يضع اللقمة في فمه يجد فيها الدم ويجد الضفادع والقُمَّل داخل الأكل، وهكذا كان جزاء الكافر المعاند العاصي لله، يقول الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥] فتخيل أن تكون النار مولاك الذي تأوي إليه وتصادقه وتقترب منه.

ترى الأشجار والنباتات في الدنيا تُسْقى بالماء، ولكن شجرة الزقوم تُسْقى بالنار وتنبت في أصل الجحيم، يقول تعالى متحدثًا عن إبليس ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦- ١٧] أيضا ﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠] فكيف تُسوِّي طائعًا بمنحرف أو كافر، كيف يستوي الأحياء والأموات، وكيف تستوي الظلمات والنور، يقول تعالى ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

ويقول تعالى ﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر:٢٠] وهنا كان ذكر النار قبل الجنة أدعى لإيقاظ همة المؤمن، فيزداد إيمانا عندما يبدأ في الخوف، فيزداد طاعة، والمنحرف عندما يسمع النار ربما يفكر في التوبة ويرجع إلى الله.

وهناك من لا يعمل لمثل هذا اليوم حسابًا فأصحاب الجنة ورثوها بما كانوا يعملون وأصحاب النار باقون في النار مخلدون؛ لأن الكافر كفر وجحد فيعذب، أما من عرف ولكنه كفر وسَخِرَ وعذَّبَ كل من قال لا إله إلا الله فقد طغى

وتعدى في العناد والكفر كفرعون وأمثاله، فيقول الله في أمثالهم ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق: ٩- ١٠] فهذا قد سن سُنَّة سيئة، فهذا يضاعف له العذاب ويخلد في العذاب مهانا.

وبعد أن يدخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة، ينقطع الأمل يقول الله تعالى يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت.

احذر مثل هذه الذنوب...

وهنا يحذر من إخراج أسرار البيوت ولو بهدف الشكوى أو أخذ النصيحة أو التطفل على الآخرين فهذا لن يتوب الله عليه إلا إذا استسمح أخاه الذي اغتابه، وكذلك يدخل في الغيبة كل من يستطلع أخبار الآخرين في كل أمور حياتهم دخولاً وخروجًا ومصاريف،.... يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] اللغو هو الغيبة والغيبة تؤدي للنميمة، والنميمة تؤدي للخيانة.

فثمرة الطاعة طاعة بعدها، وثمرة المعصية معصية بعدها. فهذه خطوات الشيطان، ومنها الخيانة، والخيانة تُدّخل النار يقول النبي ﷺ في الحديث: «**إن من أكبر الخيانات عند الله أن يُسِّر الرجل إلى زوجته حديثا فتصبح لتحدث به جيرانها، وأن تسر المرأة إلى زوجها حديثًا فيصبح ليحدث به دونه**».

فمن أخبر قوم لوط أن لوطًا عنده ضيوف غير زوجته؟ فكلا الزوجتين: زوجة نوح، وزوجة لوط، كانتا تخرجان أسرار البيت خارج البيت، فهذه خيانة الزوج، ثم خيانة الرسالة التي نزلت في بيت النبوة ولم تؤمن بها، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧] فلا يفشي المسلم سرًا حتى وإن عُذّب وأوذي.

فالمسلم كالقبر في السر، فإن كان العذاب قاسيًا فالصبر جميل، وله لذة الاقتراب من الله، والإنسان يثاب على كتمان السر، يقول الله في سورة الأعلى ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۞ ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۞ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٢-١٧] إذا لماذا يصلى النار الكبرى لأنه يقول تعالى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۞ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۞ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۞ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى ۞ إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى۞ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۞ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۞ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ۞ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾ [الأعلى: ١- ١١]. الشقي بل الأشقي هو الذي تمرد على الله.

ولذا فكلمة (شقي) كما يعبر عنها بعض الناس: هذا الولد شقي. هي حرام، ولكن تقال: ولد عنده نشاط زائد. فيجب على الإنسان أن تكون ألفاظه دقيقة.

جاء رجل أعرابي لأبي هريرة وقال: يا أبا هريرة أأصلي بعد صلاة الصبح؟ قال: صل بعد شروق الشمس. فلم يفهم الأعرابي! فقال: أأصلي بعد صلاة الصبح؟ قال: صل بعد شروق الشمس. قال: يا أبا هريرة، أأصلي بعد صلاة الصبح؟ قال: صل بعد شروق الشمس، وأحد الصحابة جالس فقال لأبي هريرة: قل له لا يصل بعد الصبح. فقال: لا أريد أن أدخل في دائرة ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق: ٩، ١٠]. فحرّج الصحابي الجليل أن يقول له: لا تصلّ...وهذا يدل على مدى حساسية المؤمن في تحري الألفاظ إرضاءً لله سبحانه وتعالى... وهذا من تقوى القلوب.

واعلم أن من التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن يراك حيث أمرك، فمن لم يفعل ذلك يكن شقيا، بل أشقى، فهي أبلغ في الشقاء، لأنه بلغ ذروة

الشقاء، ويصل بذلك إلى النار الكبرى.

قيل للحسن البصري: أتحب أن تموت مسلما عند باب الحجرة أم شهيدا عند باب الدار؟ فسكت ثم قال: مسلم عند باب الحجرة.. قيل: والشهادة؟ قال: من يضمن لي أن أثبت حتى أصل إلى باب الدار.

ميزان يزن الذرة وأقل منها...!!!

يحاسب الله الناس يوم القيامة بالنوايا، فنجد من عمل ذنبا صغيرا قد يغمس في النار قليلا ثم يخرجه الله تعالى، ولكن من ظلم وأكل أموال اليتامى وتجبرَّ وطغى وتألَّه على الله، فهذا عذابه كبير ولا يخرج من النار.

وقد حكي عن السلف الصالح أيام رسول الله أن أسامة ﷺ قتل رجلاً نطق بالشهادة عندما أشْهَرَ أسامة سيفه وصوب السيف نحو الرجل، فعنَّفه رسول الله، وقال: أقتلته بعد أن نطق بالشهادة؟!! قال: يا رسول الله، لم يسلم إلا خوفا من سيفي! قال: أشققت عن قلبه يا أسامة.

فالله يحاسب الناس بالنوايا فالنوايا تخص رب العباد، كان سيدنا عمر يقول: كنا نحكم على الناس، هذا مسلم، هذا كافر، هذا زنديق، ولكن بعد الوحي لم نحكم على أحد أبدا.

يقول الله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[الغاشية: ١- ٢] خاشعة من الذل ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] فعندما تأتي النار يوم المحشر على أهل المحشر لها ٣ زفرات كالحية عندما تريد أن تغرس سمها، فأول زفرة يقع الناس على ركبهم، كل أرض المحشر حتى الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون، وفي الزفرة الثانية ينبطح الناس كلهم على وجوهم خاصة أهل الكفر والفاسقين. ولكن المؤمن في ذلك الموقف يقول الله في شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ

تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠- ٣١] فالمؤمن يُؤَمَّن في الآخرة بما أطاع وصبر فهو في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله.

ففي الأمم السابقة كان يؤتي الرجل فينشر من أول رأسه حتى أخمص قدميه لا يثنيه ذلك عن قول لا إله إلا الله، وقال سيدنا موسى لقومه: ﴿اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨] فالمسألة تحتاج لقليل من الصبر، يقول تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٢- ٣] يعني عاملة في الدنيا لغير الله، ناصبة أي متعبة في النار جزاء ما عملت لغير الله.

ويقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦] فالإنسان يحاسب بالنية، ثم العمل، ثم النتيجة، إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأنت تجد نتيجة عملك، ولذا يقول النبي ﷺ «**عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**» [رواه الترمذي]، وهنا تغير الوصف فكلهم عيون.

يقول تعالى ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۞ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٤- ٥] فاختلف هنا، نار حامية، ولم يقل نارا كبرى حامية، لأنه كان ساخنًا في تعامله مع كل مسلم.

ويقول الله ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] قالوا: وما القصر يا رسول الله؟ قال: هي كالمدائن والحصون...!!! الشرارة الواحدة.. لمن؟ للكافر. الذي غيَّر فطرة الله في التوحيد، وغيَّر في قانون الله ووضع قانونًا من عند غير الله! وهنا يغير الله الأجساد ويبدلها ليذوقوا العذاب أكثر وأكثر، ولكن لا تتغير الأرواح فكلهم يعرفون بعضهم البعض ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦] حتى إبليس يعرفونه ويعرفهم ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الزخرف: ٦٧].

ويختلف الجسد في النار، فجسد الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام، وضرسه

جبل أحد مسيرة ٣ أيام، فجسده مختلف ليرى العذاب ويذوقه، ومعنى قوله تعالى: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥]. أي مغلية، يقول الله تعالى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۞ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥- ٨٦] أي عطاشا فهو أول ما يدخل النار يدخل عطشان، فالشمس كانت تُغْرقهم في العَرَق.

فعندما يدخل النار يطلب الماء ولا يجد من يغيثه، في سورة الغاشية يقول تعالى: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ۞ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۞ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٤-٦] الضريع هو الشوك الذي يكون في جريد النخل فتأكله الإبل، فيؤخذ شوك الضريع للطعام، ويقول الله تعالى ﴿لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧] لا يشبع ولا يسمن؛ لأنه ما أكل إلا حرامًا وطغى وتجبر، فكان هذا جزاء لكفرانه لحدود الله وعصيانه لأوامر الله فلهذا تسقيه الملائكة الماء المغلي.

على عكس المؤمن الذي يسقى في الجنة، يقول النبي هناك كؤوس كثيرة، وعدد أكواب الحوض كعدد أكواب النجوم في السماء، يقول الله ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

وتقول الملائكة: يا ولي الرحمن اجلس واسترح لقد تعبت في الدنيا وسخروا منك وسجنوك وعذبوك، فاسترح يا ولي الله.

وتكون أبواب الجنة مفتحة، يقول الله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ﴾[ص: ٥٠] وعكسه في النار يقول الله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠] أي مغلقة أبوابها لا تستطيع الخروج منها أبدا، يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: ٦] وأهل الكتاب هم من نزل عليهم كتاب سماوي فكفروا به أو بدَّلوه أو غيَّروه، وعندما جاء القرآن نسخ كل ما قبله، حتى الكتب السماوية جاء فيها أنه يأتي من بعد ذلك نبي اسمه أحمد.

ونجد أن الكتب السماوية مكملة لبعضها البعض، فالتوارة كان فيها تشريع وأخلاقيات وسلوكيات، فجاء الإنجيل مكملاً للتوارة، وعندما كذب اليهود الإنجيل صارت التوارة بدون الإنجيل غير كاملة، ولما كذبوا التوارة صاروا بدون تشريع.

فشاء الله أن يختم بالرسالة الخاتمة، فيقول الرسول: لو كان أخي موسى وعيسى حيين ما وسعهم إلا أن يتبعوني. وكان من الواجب أن يتبع أهل الكتاب الرسول ﷺ إلا أنهم أنكروه، يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٦] فهم شر البرية لأن كتابهم كان واضحًا فيه الأوامر والنواهي، لكنهم لم يتبعوا الأوامر والنواهي فهم في النار خالدون.

يقول الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١ - ٥] فأبو لهب سيصلى النار لكفره برسول الله وتحريضه على رسول الله، وكذلك زوجته التي كانت تحمل الحطب لتأخذ منه الشوك وتؤذي الرسول، فهي سوف تسحب في النار من رقبتها كما يجر الحمار لأنها كانت لا تستجيب إلا للشر.

دعوات أصحاب النار

ونجد أن لأصحاب النار خمس دعوات

* يقول الله تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] أي أننا اعترفنا أننا مذنبون في الدنيا بما كنا نفعل ونظلم ونتحكم، فقد ماتوا موتة الدنيا ولم يموتوا في الآخرة، ثم أحياهم الله في الدنيا ليعملوا الخير، فلم يفعلوا، ثم أحياهم في النار بما ظلموا وتجبروا، يقول الله تعالى ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ

إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

* يقول الله تعالى ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢] أي يا رب رأينا العذاب بأعيننا فارجعنا نغير من المعاصي ونعمل الصالحات.

فيرد الله ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ [السجدة: ١٤]

* يقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النور: ١٩] ويرد عليهم ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٤] فقد أُعْطِيَ عمرا ولكنه لم يستفيد منه، ويطلب من الله ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤] ويرد الله عليهم ﴿أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

* ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[فاطر: ٣٧] ويرد عليهم الله أعطيناكم العمر في الدنيا وجاءكم نذير ولم تؤمنوا.

* ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] فيرد الله عليهم ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

لوَّنَ الشيطان المعاصي، هذه كبيرة وهذه صغيرة، وقسَّمَها أبوابًا، فهذا باب الجمال، وهذا باب المنطق، وهذا باب المال وهكذا. ورب العباد يخاطب كل شريحة.. مشرك وكافر ومنافق ومجاهد، وفاسق وملحد وظالم وناس للتقوى وغاصب،.... ونجد أن لكل منهم نوعًا من العذاب.

وقد تحدثت النار واشتكت إلى الله فقالت: يا رب كثر سعيري وجحيمي وغسَّاقي وضريعي، فأَذِنَ لها الله بنفسين نفس في الصيف، ونفس في الشتاء، يقول الله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

وهكذا نجد أنه والعياذ بالله الإنسان الذي تجبرَّ وطغى وكفر بالله وظلم

نفسه وانتهك حدود الله وارتكب المحارم المنهي عنها وكَسَّر أوامر الله وسار في الطريق الذي لم يأمره الله به، كان عذابه بقدر جرمه فمثلا كقاطع الرحم وهذا لا تقبل صلاته؛ فقد تعلقت الرحم بأركان العرش وقالت: يا رب هذا مقام العائذ بك، من القطيعة. قال: يا رحم، ألا يكفي أني أصل من وصلك وأقطع من قطعك،...

فما بالك بمن يقطع رحم الإسلام وهذا والعياذ بالله ظالم لنفسه، وندعو الله أن يسكن الأرض من تحتنا كما كان على عهد عمر وقف على المنبر وقال أيها الناس اتقو الله، اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يد عمر فاعتبر الذنوب هلاكًا للمجتمع.

ونجد أن الأرض تقول لصاحبتها: يا جارة ألم يمر بك ذاكر لله فإذا مر بها ذاكر صارت تتفاخر بذلك، فهذا لأنه سنة الكون أنه يسبح الله، والعكس يؤدي والعياذ بالله إلى الهلاك، سواء بالزلازل أو البراكين نسأل الله العفو والعافية.

* * *

لها سبعة أبواب

١- جهَنم...

التقوى حصن من النار

جاءت هذه المسمياتَ والمصطلحات في كتاب الله وفهمناها من علمائنا أنها دركات ألنار أو أبواب النار فهذا باب جهنم، وهـذا بـاب السـعير، وهـذا بـاب الحطمة، وهذا باب الهاوية، أو هذا باب الدرك الأسفل.

وقيل إنها وصف للنار نفسها، وقيل إن جهنم هي مسمى عام للنار، وقيـل إنها من الدرجات وكل درجة اختص بها قوم معينون وكل طائفة لها في الآخـرة مكان بما صنعت في الدنيا، وأخذوا جزاءهم المحتوم.

وقد رجعت إلى التفاسير وآراء العلماء، وكان المفهوم عندي أن جهنم هـي الدرجة الأولى في النار التي يوضع فيها عصاة الموحدين، جاء في الحـديث «يـأتي يوم على جهنم تصفع أبوابها»، أي تخلو كدركة.

والدركات الست الأخرى ملأى وتخلو هذه الدركة من أهلها بعد ما يـؤمر الملائكة بأن يُخْرجوا كل من قال (لا إله إلا الله) ثم تغلق علـى كـل الـدركات الأخرى، على العصاة غير الموحدين بالله.

وهناك أصناف للموحدين بالله أو للمسلمين عمومًا، وهم ثلاثة أصناف:

١- فهناك من سبقت حسناتُهم سيئاتهم فيدخل الجنة.

٢- ومن سبقت سيئاتُه حسناته فهذا إلى النار.

٣- ومن إستوت حسناتهم مع سيئاتهم، أصبحوا من أصـحاب الأعـراف،

فإذا جاءتهم شفاعة ربهم دخلوا الجنة.

وقد ذكرت جهنم في القرآن ٧٧ مرة، يقول تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ [البقرة: ٢٠٦] ونجد أن سيدنا عمر عندما كان يمشي في الطريق ويلعب الصبية في المدينة يختبئون خوفًا من عمر إلا واحدًا، ذهب وقال له: اتق الله يا عمر. فأخذ أمير المؤمنين يبكي خشية من الله وكانت عندما تقال لسيدنا عمر (اتق الله) تهزُّه هزًّا فعندما ينصحنا أحد بالتقوى نشكره على ذلك، ونرضخ لذلك، ونصاحب من يتق الله ويأمرنا بالتقوى، ولا تكون كمن أخذته العزة بالإثم، فيصلى جهنم.

وقد قيلت لرسول الله اتق (الله في) الأحزاب لم يغضب ولم يَثُر ولكنه أخذها كتذكرة ونصيحة، يقول تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢]. ومعنى أن يبوء بسخط أي يستوجب غضب الله كما غضب الله على بني إسرائيل وجعلهم قردة وخنازير فهذا من سخط الله على العباد.

القتل المادي والمعنوي...

يقول الله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] هذه الآية للمؤمن، ولكن لا يمكن للمؤمن أن يقتل مؤمنًا متعمدًا، وإذا حدث مثل هذا الأمر فعلى من قتل له شخص أن يذهب إلى ولي الأمر أو إلى من يعيد له الحق ولا يقوم بأخذ ثأره بنفسه والذي يقتل مسلمًا متعمدًا ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

فلماذا هذا الجزاء القاسي؟ لأن من أحيا نفسًا فكأنما أَحْيَا الناس جميعًا، ومن قتل نفسًا فكأنه قتل الناس جميعًا، وهذا لأنه لو يُسِّرَ له لَقَتَل الناس جميعًا؛ فقد قتل الإنسانية في ذلك الإنسان الذي قتله، وهذا فيه تجرؤ على الله.

وهناك أنواع للقتل، منها (القتل المعنوي) بمعنى التدمير وذلك بأن أشيع على أحد الناس الشائعات وأشوّه صورة هذا الشخص، وكذلك إذا عاش الإنسان مع زوجة تسومه سوء العذاب، أو زوجة يؤذيها زوجها ويسومها سوء العذاب، فهذا قتل معنوي لا يوجد فيه حد إلا أن يصبر هذا الشخص على هذا العذاب أو هذا السوء.

ونجد أن جزاء الصبر عظيم، فإذا صبرت امرأة على سوء عذاب زوجها يبني الله لها قصرًا في الجنة مع آسيا امرأة فرعون، فالصبر مسألة صعبة ولكن جزاءه كبير وعظيم، فهذا الصابر الحامد يخرج من قبره إلى الجنة مباشرة فيقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٤٧] وهؤلاء ظلموا أنفسهم بالتقصير في الطاعة وإيذاء المسلمين وعدم تركهم للعمل بشرع الله وما أنزل إليهم، وترك نفسه بعيدة عن الطاعة فعندما تسألهم الملائكة: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض أي كنا تابعين (أي عبد المأمور): افعلوا بفلان كذا، اضربوا، آذوه، ضيقوا عليه،.....فيرد عليهم الملائكة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧] وهنا غفل هذا الإنسان عن ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فمن كذب بآيات الله واستهزأ بها ورفضها فهذا لا تفتح له أبواب الجنة، لا في الدنيا ولا في الآخرة أي أن دعاؤهم غير مستجاب حتى يدخل الجمل الكبير من ثقب الإبرة.

يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وذرأنا بمعنى خلقنا، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] أي عقل يتحدث بالفلسفة الكاذبة وبالجدال والمراء، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] فهو لا يفقه ولا يُصْغي ولا يسمع للحق ولا يراه، ويقول الكافر: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ [الأنفال: ٣٢]، ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

لأن الأنعام من حمار وجاموس موحدون بالله، والجماد والأرض فما من شيء إلا يسبح بحمد الله ولكن لا نفقه تسبيحهم. لماذا لا نفقه تسبيحهم؟ يقول ابن مسعود: لأننا لو سمعنا تسبيحهم لما استفدنا منها.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ [الأنفال: ٣٦] أي يعملون مليارات وينفقونها بدعايات باطلة ضد دين الله ليصدوا بها الناس عن سبيل الله، فسوف تضيع منهم ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون في الدنيا وفي الآخرة جزاء ما اقترفوا وبما أنفقوا أموالهم في غير الخير لإفساد المسلمين وفتيانهم وفتياتهم، وهذا يحشر إلى النار.

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]. أي أن الله لا يظلم أحدًا ولا يهلك أمة فيها مصلحون، ولكن متى يهلكها بالأمراض والأوبئة، كالأيدز والطاعون والفيروسات، عندما يظلمون ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود: ١١٨-١١٩] من عصاه الجن والإنس.

الهداية منحة من الله بعد إرادتك

ونجد أن من عظمة القرآن أن التكرار لا يجعله قديمًا وكلما تقرأه تكتشف فيه شيئًا جديدًا وتضيف معنى جديدًا فمثلاً في قوله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ

عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨] فمن أراد الآخرة وسعي لها وعمل من أجلها وخاف من عدم السعي لها وخاف مقام ربه سبحانه وتعالى أعطاه الله ما أراد، وإلا فكل عمله هباء لا يبتغي به وجه الله فهو في النار يصلاها وهو مذموم ومدحور.

يقال أن سيدنا عمر جمع أصحابه ليتمنى كل واحد أمنية، فقال أحد الصحابة: أمنيتي أن يكون لديَّ جبل من ذهب مثل جبل أحد أنفقه في سبيل الله وآخر قال أتمنى أن يكون لدى وادٍ مليء بالخير ويكون في سبيل الله، قيل: وأنت يا أمير المؤمنين؟ قال: عندي أمنية عزيزة، أتمنى على الله مسجدًا مثل هذا المسجد مليئًا برجال مثل أبي بكر.

يقول الله تعالى ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، أما الضلالة فيقول الله تعالى ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ [الإسراء: ٩٧].

فالهداية هنا بيد الله والضلالة من نفس الإنسان، ولكنها بعلم الله، يقول الله ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] ويقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].

ويقول تعالى:﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠] وهذا العرض ليس للفرجة ولكن لدخولها، وذلك لأنهم كانوا بعيدين عن الله وكافرين بما أنعم عليهم، وقد قال النبي ﷺ مخاطبًا قومه: (يا بنى عبد مناف يا بنى هاشم لا يأتي الناس يوم القيامة بحسناتهم وتأتوني بأوزاركم تحملونها على ظهوركم عند الصراط تقولون يا محمد أدركنا فلا أقول لكم إلا ما قال العبد الصالح) ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:

١١٨]. «فيا عباس يا عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا» [رواه البخاري].

يقول الله ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] وهم من غفلوا فسرقوا ونهبوا وارتشوا ثم يذهبون لأداء الفرائض، فهؤلاء يقول الله فيهم ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩]. فيأخذ الله من كل فرقة الأشد في الضلالة ثم يتبعه الآخرون وهم يلعنونه ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ [هود: ١٨] يكذب الإنسان على الله عندما يعطيه كل النعم وهو لا يشكر هذه النعمة ولا يأتمر بأمره ولا ينتهي بنواهيه.

يقول الله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الزمر: ٧١]. أي يساق الكفار إلى الله جماعات، حتى إذا جاءوا عند النار تفتح الأبواب ويقول خزنتها- من باب التوبيخ- ألم يأتكم رسول يعلمكم آيات ربكم وينذركم بيوم القيامة؟! فيعترفون بأَنْ جاءهم الأنبياء وجاءتهم الآيات إلا أنهم أعرضوا وكذبوا فيلقون في جهنم.

ويقول الله لها ﴿هَلِ امْتَلأْتِ﴾ [ق: ٣٠] فترد وتقول ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] حتى يضع الله فيها قدمه فتقول: بعزتك قد امتلأت. والمقصود بقدمه هنا الجماعات التي تدخل النار فيرميها الله في النار ولا يبقى أحد ليدخل النار.

حضور جهنم...!!!

يقول الله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فالمستكبر على الله يدخل النار ذليلاً مطأطئ الرأس وهذا المستكبر هو الذي لا يقيم شرائع الله، وهنا يقول الله فيهم ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦] أي الذين يظنون أنه ليس هناك يوم قيامة.

وهؤلاء جميعهم يلقى بهم في النار فهي مصيرهم وجزاؤهم ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤]. وهذا الأمر للملائكة بأن يلقوه في النار وهناك في سورة البروج ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] وهنا لمن آذوا المسلمين وفتنوهم وعذبوهم ونسبوا إليهم أشياء لم يفعلوها، فلهم عذاب النار، ويزيد عليهم عذاب الحريق بما اقترفوا من آثام، إلا إذا تابوا ورجعوا إلى الله وندموا على ما فعلوا واقترفوا.

في سورة الفجر ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] أي أن النار تكون في مكان ما ثم يُؤْتى بها إلى أرض المحشر لها ٧٠ألف زمام يجر كل زمام ٧٠ ألف ملك ولها أعناق.

لها أعناق مثل أعناق البخت (الجمال) تلتقط أهلها وأصحابها كما تلتقط الطيور الحب، وفي سورة البينة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] وهذا كان الكلام عن الدرجة الأولى وهي جهنم.

٢- السعير

لشياطين الجن والإنس وأتباعهما

الدركة الثانية هي السعير، وقد وردت ١٦ مرة في ١٣ سورة، ومعناها: التي

تستعر من شدة النار، وتصير كالكلب المسعور، وهذا من الشراسة. يقول تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾** [النساء: ١٠].

وهنا يجب أن نُنوِّه إلى أن المتوفى إذا مات وأراد أصحاب العزاء أن يضعوا له صوانًا أو يأتون له بمقرئ أو يقدموا العزاء بإعلان في الجرائد، فيجب أن يكون من مال العم أو الخال أو....ولا يكون من مال المتوفى نفسه، لأنه أصبح ليتامى الميت، ونجد أن سيدنا عمر كان يَرْقي رجلاً فمات الرجل، فأطفأ سيدنا عمر السراج الذي كان متأججا فلما سئل قال: أصبح للورثة حق في هذا الزيت.

وقد قال النبي ﷺ: **«خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيمٌ يُساء إليه»** [سنن ابن ماجه] ويقول النبي ﷺ: **«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»** [رواه مسلم].

ويقال أنه ليس كل يتيم من مات أبواه، ولكن هناك يتيم وأبواه على قيد الحياة ولكنهما تخليا عنه وكانا دائمًا مشغولين عنه، يقول تعالى: **﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾** [الإسراء: ٩٧]. ذكرت السعير وكذلك فيمن طلع ووجد أشياء موروثة فهو يتعامل بها، ويترك ما أنزل الله **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾** [لقمان: ٢١] وفي سورة سبأ **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾** [سبأ: ١٢].

وهو خاص بالجن والجن كما هو معروف مخلوق من النار ويعذب في السعير.

في سورة فاطر ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. وفي النهاية يتبرأ الشيطان من أتباعه.

وهنا يقال إن هناك أسبابًا تجعل الدعاء غير مستجاب:

١- أن تحب الله ولا تعمل بما في كتابه.

٢- وتحب الرسول ولا تعمل بهديه وسنته.

٣- وتقرأ القرآن ولا تعمل بما فيه من نهي عن اتباع الشيطان.

٤- تترك عيوبك وراء ظهرك وتتناول عيوب الناس.

وفي الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وفي سورة الملك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك:٥]. ويبدو أن سكان السعير من الجن والشياطين هم سكان المنطقة الموبوءة، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

ومن هذه الفئة فئة الكفر والضلال في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

٣- الحطمة

لكل قلب جحود حقود

والدركة الثالثة هي الحطمة، وهي التي تحطم كل ما يدخل إليها فتحرقه، فقد وردت في سورة الهمزة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۞ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۞ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللهِ

﴿الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ١ - ٩]. والهمز هو الغيبة في الوجه، واللمز هو الغيبة من وراء الظهر.

والذي يجمع المال ويُحْصيه ولا يؤدي زكاته، هذا المال يدخله النار والنار تحرق منه الجلد ثم تدخل لبقية الجسم، حتى تدخل إلى القلب، وإذا وصلت للقلب يعاد الجسد مرة أخرى، ويعاد العذاب مرة أخرى.

ويُحْرق اللسان الذي شهد الزور، والعين التي نظر بها للحرام، والأذن التي سمع بها ما لم يجب أن يسمع، واليد التي امتدت إلى الحرام، ثم تدخل على بقية الجسد فتأكله وتحرق الأمعاء.

٤- اللظى

لكل مُعْرض عن الحق

ثم الدركة الرابعة ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤] أي يتطاير منها الشرر، ولظى هي نزاعة للشوي، والشوى هو جلد فروة الرأس، ثم تنزع اليدين ثم الرجلين، ومن ثم ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۞ وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: ١٧، ١٨] والذي أدبر، هو الذي أدبر عن الحق وتركه وكان كل همه الدنيا.

٥- سقر

لتاركي الصلاة ومانعي الخير

ثم الدركة الخامسة (سقر) وقد ورد ذكرها أربع مرات في سورة القمر والمدثر، ففي القمر ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨].

والذين يسحبون في النار على وجوههم هم الكفار ويقول الله في سورة المدثر ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] وهنا (ذوقوا) تعطي انطباعًا أنه قليل الزمن،

فربما هذه الدرجة لطائفة معينة، ثم مرجعهم إلى الجحيم أي إلى النار.

ويقول الله تعالى ﴿ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ۞ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۞ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ ۞ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢١، ٢٩].

وهنا يأتي الكلام عن الوليد بن المغيرة الذي نزلت فيه هذه الآيات، عندما بعثه أبو جهل إلى النبي كسفير لقريش تعرض على النبي: إن كنت تريد مالاً أعطيناك أو ملكًا ملكناك علينا فقال له النبي: أفرغت يا أبا الوليد؟ ثم أسمعه القرآن فلما رجع الوليد إلى أبى جهل فقال له عن الرسول: إن لكلامه لحلاوة، أتقولون إنه شعر وما هو بشعر، وما هو بكاهن فأنتم أعلم بسجع الكهان، والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمغدق فإنه يعْلو ولا يُعلى عليه وما هو بقول بشر فقال أبو جهل: والله قد سحرك محمد. قال: نعم سحرني محمد.

ومعنى سقر أي تحرق كل ما أمامها من وجه وجلد. ثم نأتي للآية ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٥].

فهذا جزاؤهم لأنهم لا يصلون ولم يطعموا المسكين وكانوا يتحدثون مع المتحدثين المستهترين في أي حديث.

٦- الجحيم

فتنة لكل ظالم

ونتحدث عن الدركة السادسة وهي الجحيم، وقد ذكرت الجحيم في القرآن ٢٦ مرة..

معنى الجحيم أي المكان الذي فيه أقصى العذاب وأشده على العباد، وقيل

إن جمراته كالجبال، وكان الصحابة يشعرون بقشعريرة عندما يُذْكر الجحيم أمامهم.

ونجد أنه عندما يدخل أهل الجنة الجنة ويستقرون ويتحدثون ويتسامرون في الجنة فيقول بعضهم لبعض: إني كان لي قرين فأين هذا القرين؟ فيرد عليه الملك ويقول: نعم، كان لك قرين ولكنه سلك طريق الشيطان فكان مكانه في النار وبين أهل الجنة وأهل النار سور إذا اطلع منه أهل الجنة على أهل النار لرأوهم، يقول الله حكاية عنهم: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۞ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَنْتُم مُّطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥١، ٥٥] وهذا السور ظاهره فيه الرحمة وباطنه فيه العذاب، فاطلع الذي في الجنة إلى الذي في النار، فلما رآه وسمع صوته في النار قال له ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦] أي إنك كنت ستهلكني إذا سمعت كلامك.

لأن الشيطان نوعان: شيطان الإنس، وشيطان الجن. ولكن شياطين الإنس أقوى من شياطين الجن، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [الحديد: ٢٤] فهو بخيل ويأمر الناس بأن يكونوا مثله في البخل، فمثلا يكسلهم عن الصلاة يقول: نفعل كذا ثم نصلي، ونكمل كذا ثم نصلي، وهكذا حتى تضيع الصلاة.

يقول تعالى: ﴿وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٧] فالمؤمنون في الجنة يرجعون الفضل لله سبحانه وتعالى وإلا لكانوا مع هذا القرين في النار، في درجة الجحيم ويقول تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات: ٥٨، ٥٩] ففي الجنة نحن لا نموت مرة أخرى ولا نعذب وهذا هو الفضل العظيم، وهذا من رحمة الله لأن الله كتب على نفسه الرحمة.

ويحدثهم الله تعالى ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ [الصافات: ٦٢، ٦٣] وهذه الشجرة (الزقوم) تنبت في أصل الجحيم، فمنبع هذه الشجرة، هذه الدركة، هي شجرة شوك، فإذا أمسك بها يقع لحم يده من شدة الحرارة، وإذا أكلها فهي لا تغني من جوع. وهذا كله لأنه ترك أوامر الله ونواهيه وكلام الله وكلام رسول الله ﷺ وكلام العلماء.

واليوم يقال له ذق من هذه الشجرة التي أصلها ينبت في أصل الجحيم ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥] وطلعها أي ثمراتها وعندما ضرب الله مثلاً للنورانية قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] وهذا هو التشبيه الذي يوحي للنفس بالهدوء والراحة والإيمان واليقين، ولكن من عاش في الوهم فالله تعالى يجعله يعيش في الوهم أكثر وأكثر.

فقال عن شجرة الزقوم ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥] ولم يكن أحد يعرف شكل الشياطين ولذلك جعله تخيل شكل هذه الشياطين، وكان المتعارف أنها قبيحة الشكل، فتخيل أنت شجرة تنبت في أصل الجحيم وطلعها كأنه رؤوس الشياطين، وتسقى بالصديد والغسلين وبالغسَّاق والنار، كيف يكون طعمها أو حتى شكلها؟!! فثمراتها ملتهبة متأججة، لذلك قال الله ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢] الكلام هنا عن الجنة مقارنا بالنار، فماذا يريد العبد؟ وهو قد أقام الصورتين فاختر لنفسك ما تشاء.

فيقول الله ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الصافات: ٦٦] فهو حكم عليه أن يأكل منها، ولكنه ليس عنده أمل أن يشبع، يقول الله في سورة الصافات: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧] أي مخلوط بهذا الصديد المغلي فهو يشرب فوق الشوك المتأجج، ثم نهاية مرجعهم إلى الجحيم.

وهذا يعني أنهم عند الطعام يذهبون فيأكلون في مكان آخر فعندما يذهب

فهو يتسلق ويذهب ليطلع على جبل، وربما يذهب لدركة أخرى في النار، فهو يأكل ثم يعود إلى الجحيم مرة أخرى، وكل هذا العناد والعصيان لماذا؟ أو ما المبرر؟ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩، ٧٠] فهم يحذون حذو آبائهم في الكفر والضلال، وهذا عكس المسلمين الذين قهروا عاداتهم لطاعة الله وعبادته، ولكن هؤلاء الكفار بعنادهم وكفرهم ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ۞ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنْذِرِينَ ۞ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ٦٩، ٧٣].

وهذا يختلف من أصحاب الجحيم للإنسان المسلم، فالله تعالى يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ٧] ولكن الكافر يقول رسول الله عنه: (لا يدخل الجنة من أبي! قالوا: ومن يأبى؟! قال: من أبى أن يقول لا إله إلا الله) ويقول الرسول أيضًا: «**إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذي يتمرد على الله وأبى ان يقول لا إله إلا الله**» [سنن ابن ماجه] أما من قالها فالله تعالى يرحمه، لأنه لا يستحق كل هذا العذاب بهذا الوصف الفظيع؛ لأن الله قال للملائكة (**لو خلقتموهم لرحمتموهم**).

حِلْم بعد عِلْم .. وعفو بعد قدرة

وهنا بعد كل آيات النار وحتى لا يظلم الإنسان أخاه الإنسان أبدًا لأن نهايته مؤلمة، يقول الله في سورة غافر: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [٧] وهذا الكلام عن الملائكة وهم ثمانية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] أربعة يذكرون الله بذكر، والأربعة الآخرون يذكرون الله بذكر آخر، ولكنه ذكر جميل دائم مستمر منذ أن خلقهم الله إلى وقتنا هذا وليس على لسانهم إلا الذكر.

الأربعة الأولون يقولون: سبحانك سبحانك على حلمك بعد علمك.

ويرد الأربعة الآخرون: سبحانك سبحانك على عفوك بعد قدرتك.

وهنا مربط الفرس العفو بعد القدرة، فهو أرخى الزمام لك سنوات، تركك تمرح وتلعب وتصنع ما طاب لك، ولكن من قتل الناس وظلمهم وتجبَّر عليهم، من قتل بلادًا بأسرها وقرى بأكملها من باب الجبروت لأن عنده سلاح عقابهم عند الله شديد.

نحن مأمورون بالرحمة حتى مع الحيوان، فقد دخلت امرأة النار في هرة حبستها فما بالك بمن يحبس كلمات وأنفاس الناس ويذلُّهم؟!! إلا الذي يخطئ فيتوب، والله يحب من يخطئ ثم يتوب، وإلا بَدَّلنا قوم آخرين يخطئون ويتوبون.

فهناك فرق بين من يخطئ ثم يبكي ويندم ويتوب إلى الله، ومن يخطئ ويضحك في نفس الوقت، وهذا من قال الله فيهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦] فهذا جزاء الظالم لنفسه الذي يتخطى حدود الله وشرائعه.

وهذا من الرحمة...

فكيف تُفَسَّر مع هذا العذاب قول الله تبارك وتعالى في القدسيات: (إن رحمتي سبقت غضبي) [رواه البخاري] فرحمة الله في الحياة الدنيا هي في الكتاب وفي السنة وفي العلماء وفي الناس، تأخذ بيد الناس، وهناك مساجد وخير ورزق يرزقه للأولاد وزوجة ووظيفة طائرات والسفن. أليس كل ذلك وغيره من الرحمة؟

أن أرسل محمدًا ﷺ فوضح لنا الدين وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، لا بد من عقاب لهذا الجرم، وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون؛ فمن غض بصره هل يستوى مع من لم يغض؟ ومن

عاش على الحرام فهل يستوى مع من عاش على الكفاف؟

فهذا سيدنا على بن أبى طالب ينزع لليهودية الماء من البئر بالدلو، وكل دلو بتمرة، وحَصَّل ١٦ تمرة، ويعْطِي النبي ﷺ ويقول له الرسول: أحسن ما يأكل الإنسان أَنْ يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده.

وظيفة للملائكة من أجلك...!!

نجد أن هناك نوعين من الشرك: شرك أصغر، وشرك أكبر. من ذلك الذي خاف من المخلوق وليس من الخالق.

يقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧] فالله تعالى عندما خلق الملائكة كانوا يعبدون الله عز وجل ويقدسونه، ولما خلق آدم، وضع لهم مهمة أخرى، وهي الاستغفار للمؤمنين، ولذلك هناك الملائكة السياحون في الأرض أو السيارون يلتمسون مجالس الذكر، فتحف الملائكة هذه المجالس، ثم تذهب إلى الله فيقول لهم: علام تركتم عبادي؟ فترد الملائكة: يذكرونك ويسبحونك، فيسألهم الله: وماذا يريدون؟ فترد الملائكة: يريدون الجنة. فيقول الله: وهل رأوا جنتي؟ فترد الملائكة: لا يا رب، فيسألهم: فكيف لو رأوها؟ فترد الملائكة يسوف يكثرون الذكر ويدعون الله أكثر وأكثر، ويستعيذون من النار، فيقول الله: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول الله: فكيف لو رأوها؟ وترد الملائكة: لاستغفروا أكثر. وهنا يقول الله: «أشهدكم أني قد غفرت لهم».

فهل هناك أكثر من ذلك رحمة، فأنت إذا أردت رحمة فمجلس علم واحد يكّفر سبعين من مجالس السوء.

ولكن بذلك لا ندعو لأن يشاهد الإنسان القنوات السيئة وفي اليوم التالي

يشاهد قنوات الذكر والدعاء والقرآن، وهذا الرجاء في الرحمة نبعثه لكل الناس الذين لم يفيقوا ولم يستيقظوا من غفلاتهم بعد.

يقول الحسن البصري عند ما رأى ولدًا يضحك قال له: هل ورد إليك أنك وارد على النار؟ قال: بلى. قال له: وهل ورد لك أنك وارد على الجنة؟ قال: نعم. قال: فعلام الضحك إذا ولما ؟!

ولا يعني ذلك أن يعيش الإنسان في نكد ولكن يشغل وقته وحياته، فيحمل هم الإسلام ومن حمل هم الإسلام يجب أن يكون على اتصال دائم بالله، وهذا الإسلام يصلح لكل زمان ومكان ولكل عصر وأوان.

وقد حذر النبي من الجلوس على الطرقات ونهى عن ذلك بشدة فقال: (إياكم والجلوس على الطرقات! فقالوا: يا رسول الله مالنا من ذلك بُدّ... قال: فأعطوا الطريق حقه، وحق الطريق: غض البصر، رد السلام، كف الأذى، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] فالرحمة أولاً هي رحمة علم بحال المخلوقين والمخلوقات، وقد جاءت الرحمة أولاً لأنه سبحانه قال في القدسيات (ورحمتي سبقت غضبي) وتكمل الملائكة: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

طعام أهل النار وعذابهم

وهذا لمن تاب فقط واتبع سبيل الله، فهذا لا يذهب إلى الجحيم، فمن تاب ورجع إلى الله وندم على ما قام به، فهذا يتوب الله عليه ولا يعذبه في الجحيم، ويقول الله أيضًا: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣١] أي أحرقوه في الجحيم وفي سورة المزمل:﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا﴾ [المزمل: ١٢] فالتنكيل هو

عذاب قاسٍ لشدة العـذاب ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًـا﴾ [المزمل: ١٣] فـانظر لنفسك عندما تظلم أحدًا أو تغضب يتيمًا أو تؤذي ضعيفًا أو تضـطهد موظفًـا ليكره العمل أو تعقّ والديك، كل هذه الأمـور تحـرق القلـب، ودمعـة المسـكين تفطر القلب.

ولنبدأ رحلة الإصلاح في الابن أو الـنفس، لابـد أن تبـدأ أولاً بـأن تحسـن المعاملة مع الله رب العباد، ثم مع الخلق أنفسهم وفي الآية ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُـمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًـا فَاسْـلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣٢] سبعون ذراعًا هي حجم جسم الإنسان يوم القيامة، وشفته المعذبة في النار تتدلى حتى تبلغ سرته، وشفته العليا تعلو حتى تغطـى شـعر رأسـه، وضـرس الكـافر كجبل أحد، وجلده مسيرة ٣ أيام، والقلب كما هو والروح كما هي.

وفي النازعـات ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَـن يَـرَى﴾ [النازعـات: ٣٦] لأن الملائكـة جاءت بها، لأنه كـان يجـاهر الله بالمعاصـي، فبّـرزت لـه الجحـيم، وهنـاك مـن يُحْشرون وعلى وجوههم صما وبكمًا وعميا.

والعذاب على قدر الظلم في الدنيا حتى رؤية الجحيم في حد ذاته عذاب، فمـثلا عندما يوضع شخص داخل السـجن، وضـعه في الزنزانـة عـذاب، شـعوره بالوحـدة عذاب، عدم الحرية عذاب، عندما يكون أمره بيد غيره فهو في عـذاب، ثـم يقـول الله ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٨، ٣٩] أي أن الجحـيم هـي المأوى الذي يأوى إليه؛ لأنه قدَّم عمل الدنيا على عمل الآخرة.

قال سيدنا موسى: يا رب من أحب العبـاد إليـك؟ قـال: الـذي يسـرع إلى مرضاتي إسراع النسر إلى فريسته، يقول تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] فمن أين يأتي الرضا من العجل لإرضاء الله.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُـعِّرَتْ﴾ [التكـوير: ١٢] أي تشـتعل بالنـار، وفي

سورة التكوير ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤] الفاجر هو المعتدي، من الفجور، وهو عدم الائتمار بالأمر والانتهاء عند النهي، وهذه من صور الفجور، فالفجور هو التكبر على الله والتمرد عليه.

فلو أن عندك موظفًا وطلبت منه أن يذهب للمشوار الفلاني ولم يطعك، ماذا تفعل؟ تفصله. سيدنا جبريل جاء لفرعون ليلة أُغرق فدخل عليه، وهذا روى في التفاسير، فقال: يا رجل لو أنك اشتريت رجلا من حُرّ مالك وأنفقت عليه ثم أمرته أمرًا فعصى، ماذا تصنع؟ قال: أغرقه. فكرر عليه السؤال فكَرر الإجابة ثم اختفى، فكانت نهاية فرعون الغرق؛ لأنه هو الذي حكم على نفسه.

ويقول تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦] فهنا يؤكد الخطاب للجميع، فمن يمش على الصراط ير جميع الدركات، وفي سورة الدخان ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [٤٩] وهذا تعذيب معنوي بجوار العذاب المادي بالنار.

٧- الهاوية

لكل منافق وطاغية

- وهناك دركة الهاوية، ويقال إنها الدركة السابعة، وهي الدرك الأسفل، وهي آخر دركات النار.

ومن أهلها فرعون وقومه الذين عاشوا معه في ذلك الحين، وأصحاب المائدة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وأشد العذاب هو الدرك الأسفل، وأصحاب المائدة في عهد سيدنا عيسى قالوا له: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢] وهنا سوء أدب؛ فبدلا من أن يقولوا له: يا عيسى ادع ربك أو تعال ندع الله.

ثم رد عليهم الله تعالى ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

وطلب منهم سيدنا عيسى مطلبًا واحدًا (قال: كلوا ولا تدخروا) قالوا: لماذا؟ قال لأن الله سوف ينزل عليكم كل يوم مائدة فيها جميع أنواع الطعام الموجودة في الدنيا. فقال بنو إسرائيل: ومن يضمن لنا أن تنزل علينا مائدة أخرى، فكانوا يأكلون ويدخرون ثم كفروا بعدها بما أساءوا إلى الله ورسوله.

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ﴾ [النساء: ١٤٥] وفي أيام النبي كان عبد الله بن أُبيّ رئيس المنافقين، كان يصلي الصلوات الخمس ويزكي ويصوم رمضان ولكنه كان يظهر مالا يبطن.

والمنافق له صفات أربع أساسية، وهي:

١- إذا حدث كذب.

٢- إذا عاهد غدر.

٣- إذا اؤتمن خان.

٤- إذا خاصم فجر.

وفي الحديث: «**وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابا**» [رواه مسلم].

الكذب يهدي إلى النار..

وهنا لا فرق بين كذبة بيضاء أو غيرها، فهذا حرام ولا يجوز، فليس هناك استثناءات في الكذب إلا ما أمر به الله ورسوله: في الحرب والسلم والكذب على الزوجة أي كلمات المجاملة والاستحسان لكي يرضيها ويكفكف من غلوان غيرتها ففي هذا إصلاح لها ولحياتهما الزوجية وأَدْوَم للألفة والعشرة بينهما، والكذب للصلح بين اثنين وفي غير ذلك لا يجوز الكذب.

فهذه عائشة أم المؤمنين تقول لأختها: هاك تمرة. قال ﷺ: يا عائشة أفي يدك شيء؟ قالت: نعم يا رسول الله. قال: لو لم يكن بيدك شيء لكتبت عليك

كذبة عند الله. وإن الكُذَيْبَة تكتب كذبية.

وإذا كذب العبد ابتعد مَلَك الحسنات عنه بُعْدَ ميلين يقول: يا لنتن الرائحة التي خرجت منها الكذبة. لأن الذنوب لها رائحة لا يشمها البشر لكن الملائكة تشمها.

مثلاً عند الخِطْبة التي لا تتم ويفترق المخطوبان تجد الناس تكذب وتزيد وتَفْجُر في الكذب فتقول ما ليس بالحقيقة كمبرر لما حدث، يقول النبي: «**شرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البُـرَاء العَنَـتَ**» [رواه أحمد] يبحث لك عن عيب، وهذا في الدرك الأسفل من النار.

وهو يخون الأمانة في العبادة وفي غيرها، أسوأ السرقات عند الله من يسرق مَنْ صلاته، وينقرها مثل الديك.

والمنافق لا يخرج من النار أبدًا فهو خالدا فيها خلودًا أبديا.

وهنا نأتي لأماكن أخرى في النار، ففي سورة المطففين يقول تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۞ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ**﴾ [المطففين: ٧، ٨] وقيل إن المكان المرقوم في النار ما من حجر إلا كُتِبَ عليه اسم صاحبه، فكتاب المؤمنين في عليين، وكتاب الفجار في سجين، وهو كتاب السيئات.

وقيل إن سجين هي آخر أرض مع إبليس، فعند خروج روح الشقيّ ترفضها كل أرض، الأولى والثانية والثالثة حتى السابعة، فتستقر في آخر أرض مع إبليس؛ لأن سكن إبليس في الأرض السابعة.

ويقول تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ**﴾ [المطففين: ١٠] وقيل (ويل) هو وادٍ في جهنم تستعيذ منه النار كل يوم مائة مرة، وهذا لمن أَخّر الصلوات فيصلي الظهر مع العصر، ويؤخّر وضوء الصلوات، قال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٤، ٥] فهذا عن المسلمين الذين يؤخّرون الصلاة فكيف بمن لا يصلي أصلاً، مثلاً الزوج الذي لا يصلي يُفْسخ عقده فلا يصح زواجه

أصلاً، سيدنا عمر كان لا يصلي على من مات وكان معه ولم يحج.

يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المطففين: ١٠-١١] وهنا حدد المكذبين، الذين يكذبون بالقول أو الفعل، فالكافر ليس عنده يوم الدين وهذا يؤيد كلامه وهناك ناس تؤمن بيوم الدين ولكنها لا تصلي ولا تزكي وتتعامل بالربا وتشرب الخمر وتلعب الميسر وتفتري على الناس وتضرب هذا أو تشتم ذاك فهذا تكذيب بيوم الدين فعليا وادّعاء باللسان.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ [التوبة: ١٠٥] هنا ركن من أركان الإيمان أن نؤمن بالله واليوم الآخر، فمن آمن ولم يعمل له جزاء المعتدي والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين: ١١- ١٢] أي معتد على حدود الله وعلى أوامره، ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٣].

ومن يرى الحق باطلاً والباطل حقًا فهؤلاء محجوبون عن ربهم ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥، ١٦] الدرك الأسفل ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٧]. يقول النبي في الحديث: «ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ» [رواه البخاري] والعتل هو المتعدي على حقوق الآخرين، والجواظ هو غليظ القلب، قاسي القلب، شديد القلب مستكبر، فلا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعذري، والجعذري هو بذئ اللسان الفظ.

وكانت رحمة الله بالمؤمنين رسولاً رحيمًا قال له: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وفي الحديث «إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد» [سنن ابن ماجه] أي المغرق الذي يتمادى في عناده وتمرده على الله أن يقول (لا إله إلا الله) فاستكبر عن كلمة التوحيد في الدنيا.

* * *

ويلاحظ أن عدد الآيات التي تتحدث عن الآخرة (٢٣٧٩) آية من جملة عدد آيات القرآن البالغة (٦٢٣٦) آية، ونصيب آيات الرحمة هو نفس عدد آيات العذاب (٢١٣) آية.

فالله تعالى غفور رحيم شديد العقاب، غفور لعباده المؤمنين وشديد العقاب، لمن أعرض عن ذكره وعبادته.

يتحدث الله عن أهل النعيم في الجنة في سورة الصافات: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۞ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۞ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۞ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۞ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۞ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [٤١- ٥٣].

فأهل الجنة يجلسون للسمر والمؤانسة وتجاذب أطراف الحديث، على سرر متقابلين فيتذكر أحدهم عهد الدنيا فتمثل أمام ناظريه، تتجدد أمامه فيراها رأي العين، فالناس نيام كما ذكرنا وإذا ماتوا انتبهوا وعقلوا كل شيء وخبروا حقائق الأمور وبواطنها.

أخذوا يستاءلون في حديث صريح، قال قائل: قد كان لي قرين في الدنيا، هل يقصد قرين الإنس، أم الجن؟ من سلك طريق الخير فقرينه ملك أما من سلك طريق الشر فقرينه شيطان، وهناك شياطين الإنس وشياطين الجن.

أنت عندما تخرج من منزلك يكون على بابك ملك وشيطان، وأنت صاحب الاختيار، ملك ممسك براية وشيطان ممسك براية، فإن سلكت طريق الخير أنار لك الملك فأنت في معيته، لا يحثك ولا يحرضك إلا على خير ولا

يزال عليك من الله حافظ. تأكَّدْ أنك أنت صاحب القرار ومعك المفتاح.

أبواب الجنة

وللجنة أربعة أبواب:

١- باب يدخل منه الحور العين أزواج المؤمن .

٢- وباب يدخل منه الأخلاء أي الأصدقاء من أهل الخير في الدنيا، الأحباب المدافعون عن الخير.

٣- وباب للسوق.

٤- وباب يدخل منه الغلمان المخلدون وهم خدم أهل الجنة.

﴿**إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا**﴾ [الإنسان: ١٩]. فمن أي الأبواب تدخل الملائكة إذن؟ الملائكة يدخلون عليهم من كل باب، وذلك للتهنئة والبشارة فهم يُدْخلون السرور في نفوس المؤمنين.

وحوارهم في سورة الصافات ﴿**أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾ [الصافات: ٥٣، ٥٧].

يقول الملك للمؤمن ﴿**إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ**﴾ [الصافات: ٥٢]، وعندما يستمع المؤمن إلى صوت محدثه في الدنيا ينكر البعث والعذاب يقول: إن كدت لترديني، أي تهلكني، ثم يتذكر نعمة الله التي أنقذته من هذا الضلال فاطلع على صاحبه هذا فشاهده في الجحيم يعذب.

هناك كوة ينظر منها أهل الجنة إلى أهل النار وهي تمنع النعيم عن أهل الجحيم وتمنع الجحيم عن أهل النعيم، ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ [الحديد: ١٣].

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۞ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۞ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ۞ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الصافات: ٥٨، ٦٦].

هذا المؤمن يخشى أن يرد إلى الدنيا ثانية وأن يحرم من النعيم فتطمئنه الملائكة بالخلود في الجنة، إن هذا لهو الفوز العظيم.

وأما عن أهل النار وشجرة الزقوم التي تطلع في أصل الجحيم فقد جعلها الله فتنة لمن؟ فتنة لأمثال عمرو بن هشام (أبى جهل) وأبى لهب حيث قال أبو جهل عن شجرة الزقوم: هذه عجوة يثرب نتذوقها فهي سهلة البلع. فهم يسخرون من شجرة الزقوم، وفتنة أي ابتلاء، يعرضون عليها ويذوقون حرارتها، وكلما أكلوا منها تأخذهم غُصَّة في حلوقهم لأنها شوك، وعندما يمد يده ليصيب منها ليدفع عن نفسه الشعور بالجوع يتساقط لحم يده من شدة حرها، وهو يُمَنّي نفسه بالشبع، وكلما أكل منها بلهفة ازداد إحساسه بالجوع، فيظل حياته هكذا يجري خلف وهم أو سراب لا يُدْرَك.

وهو عذاب مقيم لا يغادرهم ولا يغادرونه وثمرات هذه الشجرة تشبه رءوس الشياطين. فهل رأى أحدكم الشيطان؟

لا... فلماذا صور الله تعالى ما لم يره الإنسان في الآخرة من عذاب بما لم نره كذلك في الدنيا (رءوس الشياطين)؟ إن الشيطان كلنا نتخيله كأشد ما تكون الصورة قبحًا وفزعًا وسوءًا، وكل إنسان يتخيله في صورة مختلفة عن الآخر.

ونحن إذا ما عقدنا مسابقة للرسامين عن إبليس فلا بد أن يرسمه كل منهم في صورة مختلفة من القبح، وهذا الأمر من التصوير والتشبيه موجود في لغة

العرب. فقد تحدث امرؤ القيس عن الغول وهو حيوان خرافي لا وجود له في الحقيقة، لكن له وجود في مخيلة الناس وأذهانهم وخيالاتهم وهذا هو المطلوب فقال:

أيقتلني والمشرفي مُضَاجعي
. وأسنانه زُرْق كأنياب أغوال

وتحضرنا طرفة في مثل هذا المقام عن الجاحظ الكاتب المشهور، كان جالسًا ذات مرة فمرّتْ به امرأة جميلة وطلبت إليه أن يصحبها فانصاع لها ولم يسأل، فمضت به إلى السوق وإلى محل صائغ ثم قالت للرجل صاحب الحانوت: مثل هذا، ثم انصرفت! فازداد الجاحظ اندهاشًا وحيرة من هذا الموقت الغامض ولم يفهم شيئًا، فلما مضت المرأة سأل الرجل: ماذا تقصد؟ فقال: قد جاءتني هذه المرأة مذ قليل وقالت انقش لي على هذا الخاتم صورة شيطان، فقلت لها: أنا يا سيدتي ما شاهدت شيطانًا قط فأرسمه، فمضت حتى أحضرتك وقالت اصنع مثل هذا!. وذلك لأن الجاحظ كان دميم الخلقة منفرًا، جاحظ العينين من كثرة القراءة.

وشجرة الزقوم هذه تُسقى بالصديد والغسلين والغساق، فماذا تطرح سوى ثمرة تشبه رءوس الشياطين.

سبب الضلال واستحقاق العذاب

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ۞ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ۞ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٦٨، ٧١].

لقد سار الكفار على آثار آبائهم واتبعوهم في معتقداتهم وكفرهم ولم يفكروا بعقولهم فهم قوم لا يعقلون، وجدوا آباءهم على سنة أو عادات وتقاليد راسخة فلم يغيروها بل اتبعوها اتباع الأعمى فاقد الرشد والتبصر فكان

جزاؤهم النار خالدين فيها.

لقد وبخ القرآن هؤلاء الكفار المعاندين الذين وهبهم الله الأبصار والأفهام فأبوا إلا الضلال والعمى واتباع الآباء وقال إذا كان الآباء لا يبصرون شيئًا ولا يهتدون أما كان يجب عليكم أن تخالفوهم وتتبعوا الهدى الذي جاءكم من الله!

إن للعادات والتقاليد سطوة على النفوس، ولكن يجب علينا أن نقاومها، أن نناقشها، ونتمسك بالصحيح منها ونهجر الفاسد وننبذه وراء ظهورنا، إن هذه العادات المتغلبة على العبادات موجودة بيننا نحن المسلمين اليوم، وانظروا إلى غلبة سلطان القبيلة على نفس الشاعر العربي القديم الذي يقول إنه يتبع قبيلته (غُزَيَّة) في كل ما تصنع ولا يخالفها في شيء، سواء أكان صالحًا أو فاسدًا.

وما أنا إلا من غُزَيَّة إن غَوَتْ
غويت، وإن ترشد غُزَيَّةُ أَرْشُدَ

فيجب على الإنسان أن يفارق سلطان التقاليد والعادات ووراثة الأجداد إلى سلطان العقل وهداية رب العباد، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «كلكم يدخل الجنة إلا من أبى، قالوا وهل يأبى أحد دخول الجنة يا رسول الله. قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» [رواه البخاري].

فرحمة الله واسعة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقد جعلها الله للذين آمنوا في الحياة الدنيا.

صفات أهل الجنة

هذا ورحمة الله تعالى سبقت غضبه، ويقول تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] وهذه الملائكة ليس على ألسنتها إلا ذكر الله تعالى، يقولون سبحانك سبحانك على حلمك بعد علمك سبحانك سبحانك، على عفوك بعد قدرتك.

ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بخلق جديد يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم، ولكن هناك فرقًا بين من يقع في الذنب بغفلة ودون قصد منه، ومن يتعمد فعل الذنوب، وهناك فرق كذلك بين من يفعل الذنب ثم يبكي ويندم ويتوب فيتوب الله عليه ويغفر له خطيئته يوم الدين، وبين من يجاهر بالمعصية أو يبارز الله بالمعاصي والإثم.

هذه الملائكة تستغفر للذين آمنوا مع عبادتهم وتقديسهم لله، وهناك ملائكة سياحون على الأرض يسيرون يلتمسون مجالس الذكر والعلم وهؤلاء يسألهم رب العزة وهو عليم بكل شيء: يا ملائكتي علام تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يا ربنا وأنت أعلم بهم يذكرونك ويسبحونك ويقدسونك. فيقول الله تعالى: ماذا يريدون؟ فيقولون: الجنة فيقول الله: وهل رأوها؟ **فيقولون: لا،** فيقول الله: كيف لو رأوا جنتي؟ فيقولون: كانوا أشد لها طلبًا وأكثر عليها حرصًا، فيقول الله: ومم يستعيذ عبادي؟ فيقولون: يستعيذون بك من النار. فيقول الله: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول الله: كيف لو رأوها فيقولون: كانوا أكثر منها هربا. فيقولون لرب العزة: فيهم فلان، وهو ليس منهم، إنما جلس معهم لحاجة! فيقول الله تعالى: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

وورد أن مجلس علم يكفر الله به سيئات سبعين من مجالس السوء ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. نعم تطيب القلوب وتعمر بالإيمان وتصفو النفوس، وتشرق بنور الإيمان، ويسعد الإنسان بمغفرة الرحمن.

وقد طالب الرسول الكريم أمته أن تكون مجالسهم كلها للطاعات والعبادات فكيف؟ يكون ذلك بأن نعطي الطريق حقه، وكيف تعطي الطريق حقها رسول الله؟ قال: غض البصر، ورد السلام، وكف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣٢].

هذه سلسلة طويلة جدًا، وطول الإنسان في الآخرة يختلف عنه في الدنيا، فإن شفة المعذب في النار تتدلى حتى تبلغ سرته وشفته العليا تعلو حتى تغطى شعر رأسه وإن ضرسه كجبل أحد.. كل هذا يذوق العذاب.

وفي سورة النازعات ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ [النازعات: ٣٦] بُرّزت فَعْلٌ مُشَدَّد؛ لأن المشركين كانوا يبارزون الله تعالى بالمعاصي، وبّرزتْ لأن بعض المعذبين يحشرون يوم القيامة صما بكما عميا، ويجأر بالشكوى ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٥، ١٢٦] عميت قلوبكم عن نور الإيمان فكان جزاؤك أن تُبعث أعمى، وصُمَّتْ أُذناك عن صوت الحق، فكذلك بعثك الله أصم. هذا العذاب جزاء وفاق لما صنعوا.

يقول تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦] وترون فِعْلٌ مؤكد، والخطاب للجميع، فالإنسان يمر على الصراط ويرى كل دركات النار، وهي مظلمة، لكن الله يريه إياها، فينظر إلى أبى جهل يُعَذّب ويذوق العذاب ألوانا: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] يوبخ ويهان لأنه كان زعيم القوم في الدنيا وكان يُحرّض على المؤمنين ولم تنفعه مكانته عند قومه شيئًا عند الله، بل كانت وبالا عليه لأنه اتخذها سببًا لحرب الله ورسوله والحض على الشرك بالله.

والدرك الأسفل من النار منزلة فرعون وهامان وقومهما، وكذلك أصحاب المائدة من بنى إسرائيل الذين سألوا نبي الله عيسى أن ينزل الله مائدة من السماء، فدعا الله فأنزل مائدة من السماء، ثم كفروا بعد ذلك بربهم وقد

توعدهم الله سبحانه، ﴿قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

والدرك الأسفل منزلة المنافقين وزعيمهم عبد الله بن أبى بن سلول الذي كان يبطن الكفر والحقد على الرسول والمسلمين ثم يصلي خلف رسول الله ويظهر الإسلام، فضحهم الله جميعًا أمام نبيه الكريم.

* لقد حثنا الإسلام على الصدق وبَغّضَ إلينا الكذب قال ﷺ «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق** (أي يتحرى الصدق في أقواله ويحرص عليه) **حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**» [رواه البخاري].

* ومن صفات المنافق إذا عاهد غدر، فهو لا يفي بعهد الله ولن يفي الله له بعهده، وعهد الله هو الجنة، أي يحرمه الله الجنة جزاء غدره بالعهد.

* ومن صفات المنافق إذا خاصم فجر، فهو لا يتقي الله فيمن كان يصادقه أو يعاشره، وعندما تدب أو تلوح في الأفق بوادر الشقاق فإنه لا يتقي الله ربه ولا يصون عهد الوداد ولا يراعي حقوق الصديق ويرتكب من المعاصي والآثام ما يندى له الجبين ويستوجب الطرد من رحمة الله والحرمان من جنته، ويستوجب عذابه وناره.

* ومن صفات المنافق إذا اؤتمن خان، وكل شيء في الحياة أمانة، أمانة القول والفعل، أمانة اللسان، ألا أكذب به ولا أتناول به أعراض الناس، وأمانة اليد ألا أبطش بها ولا أظلم الناس، وأمانة القدم ألاَّ أسعى بها إلى شر، أو حرام وأمانة العين ألا أنظر بها إلى حرام، وأمانة الأذن ألا أستمع بها إلى فحش القول وإلى نميمة وألا أتتبع عورات الناس، ولنعلم أن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة (المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبُرءاء العيب).

فكل عضو أو جارحة هو أمانة يستخدمها صاحبها كما يريد الخالق، فقد سخر لنا الله هذه الجوارح لنستعملها في طاعته وعبادته ومرضاته، فإذا لم نفعل ذلك واستخدمناها في المعاصي والفواحش والذنوب نكون قد خُنَّا الأمانة.

وإن أَخْوَنَ الخيانة أن يخون الإنسان أمانة الله في عبادته، وأسوأ السرقة من يسرق في صلاته فهو يؤديها كنقر الديك لا خشوع ولا تمهل ولا تدبر، ولذلك فهي تُلَفُّ في ثوب خرق ويُرْمي بها في وجهه وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني.

هناك فرق بين خالدين فيها وخالدين فيها أبدا، فخالدين فيها هو خلود جهنم محدد لعصاة الموحدين، أما خالدين فيها أبدا، فهي للكافرين.

من هم مستحقو العذاب

قال تعالى في سورة المطففين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١، ٣].

(ويل) اسم واد في جهنم. قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۞ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين: ٧، ١٢] ويبدو أن لفظه سجين ما ترددت في أذهان العرب، فقال الله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۞كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٨، ٩] فهو نوع من العذاب أو حجر أو أغلال أو سلسلة مكتوب عليها اسم الشخص الذي يُعَذَّب بها، تمامًا كالحجارة التي أنزلها الله على قوم مسومة وعلى كل حجر اسم الشخص الذي تقتله.

فكما كان الكافر يعد خطط الكفر والعناد والصد عن سبيل الله ويحكم المؤامرات ويحيك الدسائس ليوقع بين المسلمين وينفق أمواله ليطفئ نور الله وكذلك هو في الآخرة يعد ويجهز له العذاب إعدادًا خاصًا.

والمؤمن يتناول كتابه بيمناه في عليين أي من تحت العرش، أما المشرك

فكتابه في سجين أي في الأرض السابعة في أعماق الأراضين.

يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥] المقصود بالمصلين أي الذين كتب الله عليهم الصلاة ثم لا يؤدونها ويتغافلون عنها، أما من يمتنع عن الصلاة فليس بمسلم، يقول الإمام أحمد بن حنبل: الزوج الذي لا يصلي ويصر على ترك الصلاة يحكم بفسخ عقد زواجه، وقال عمر كلامًا شبيهًا بهذا في الركن الخامس من الإسلام؛ قال: إذا مات إنسان وكان مستطيعًا للحج ومات ولم يحج وأُتِيَ إليَّ به لم أصلِّ عليه والتكذيب بيوم الدين يكون بالقول وبالفعل، فهناك من ينكر الآخرة قولا، وهو المشرك، وهناك فئة من المسلمين يعترف بيوم القيامة وعذاب الآخرة، ومع ذلك فهو لا يصلي ولا يصوم ولا يزكي ويتعامل بالربا ويشرب الخمر ويلعب الميسر.... أليس كل هذا تكذيبًا بيوم الدين! يقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ٤].

روشتة نصائح تبعدنا عن حر النار

الالتزام بما أمرني الله به واجتناب نواهيه.

قال سهل بن عبد الله أربع جعلتني أقيم حياتي على منهج الإسلام:

١- أعمل لله بقدر حاجاتي له. ٢- أعمل للدنيا بقدر مقامي فيها.

٣- أعمل للنار بقدر صبري عليها ٤- أعمل للآخرة بقدر بقائي فيها.

وأخير أهيب بالجميع لا تظلم.... لا تظلم، لا تظلم نفسك بالتمرد على الله وبأن تتعدى وتظلم الناس ولو يعلم الظالم ما للمظلوم عنده لضن عليه بظلمه، فلما لا نتعامل مع الناس بقضية الفضل وليس العدل (حقي وحقك) فالله يعاملنا بفضله فلما لا نتعامل بالفضل بيننا، وعلى المظلوم أن يصبر ويحتسب.

* * *

مفاتيح الجنة

الجنة للقلوب الرحيمة المسلمة

الحديث عن الجنة بطبيعته يشرح الصدر وتشرئب إليه الأنفس المتطلعة دوما والمتشوقة أبدًا إلى الرحمة والاقتراب من مدارها، ومن أكبر رحمات الله علينا أن يُذَكِّر بعضنا بعضا بما يؤول إليه أمر المؤمنين.

هذه مبشرات كبرى، فأهل الجنة في الدنيا كانوا مشفقين، فأورثهم الله الجنة.

عندما ندخل بستانا فيه أشجار وأوراق وثمار ينعه، شكلها يشرح الصدر ويسعد القلب ويسر الناظرين، وتجد فاكهة مختلفة الطعوم، فإن هذه الفاكهة تمثل منظومة لهذا البستان.

والدين نزل لهداية الإنسان وسعادته في الدارين، ونحن لا نظن الإنسان الذي لا يملك شيئا فقيرا، كلا فقلبه عامر بالإيمان بالله، إنه أغنى الأغنياء إذ ليس الغني بكثرة العَرَض والمال، وإنما الغني غني النفس.

وقد حدث أن لملم أحد الأغنياء عباءته عندما مر بأحد الفقراء، على مشهد من رسول الله ﷺ، فقال له النبي: أَخِفْتَ أن يعديك فقره أم خِفْتَ أن يصل إليه غناك؟ فاستشعر الرجل الندم: وقال: يا رسول الله لقد تنازلت له عن نصف مالي، نصف ما أملك كفارة لهذا المؤمن. فنظر إليه النبي: أتقبل هذا من أخيك؟ قال الرجل: لا يا رسول الله، أخشى أن يدخلني من الغرور ما دخله. يريد ألا يسلك هذا المسلك.

الراحمون يرحمهم الرحمن، أن نتراحم جميعا فيؤدي بنا ذلك إلى أن يرحمنا

الرحمن ويبعد وجوهنا عن النار وينعم علينا بدخول الجنة.

لن أصل إلى الجنة إلا إذا قبل الله توبتي وغسل حوبتى (آثامي ومعاصيّ).

وقيل: أوبتي (عودته إليه تائبا)، والمسافة بين السموات والأرض دعوة مستجابة.

فإن كنت طائعا وقلت يا رب: قال رب العزة: لبيك عبدي، وإن كنت عاصيا وقلت: يا رب قال رب العزة: لبيك لبيك. إنها المغفرة فطوبى للمستغفرين وحسن مآب.

ولو لم تذنبوا ثم تستغفروا لذهب الله بكم وأتى بقوم غيركم يذنبون فيستغفرون ثم يغفر الله لهم. هكذا ترتبط الجنة بالمغفرة.

الجنة والرضوان

يقول تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] فما هو الرضوان.. أهو الرضا؟.

الرضوان أن يرض عنك رب العباد عز وجل في الدنيا، يجعل لك البرزخ روضة من رياض الجنة، فإذا آمنت بيوم البعث في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله فهذا رضوان من الله، وإذا شربت من حوض الكوثر، سقاك النبي الكريم بيده الشريفة شربة منه فهذا رضوان من الله، وإذا دخلت الجنة إن شاء الله فهذا رضوان من الله.

وفي الجنة ينادي رب العزة سبحانه: يا عبادي هل رضيتم. فيقولون. نعم رضينا يا رب، فيقول رب العزة: هل لكم فيما هو خير من هذا؟ فيقولون: يا ربنا، قد أحللتنا دار المقامة من فضلك فهل بعد هذا خير؟ فيقول رب العزة: أجل أن يحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا.

جاء جبريل النبي وقال: يا رسول الله، إن رب العزة يقول: أقرئ أبا بكر مني السلام وقل له يا أبا بكر إن ربك راضٍ عنك فهل أنت راضٍ عنه؟

فيبكي أبو بكر ويقول: أنا راضٍ عن ربي.. كيف وأنا الذي أدعوه ليل نهار أن يكون عني راضيا....!!!

كيف يرضى العبد عن ربه...؟!

أرضى عن ربي تعالى، بأن أرضى بما قسم لي رب العباد لعلمي بأنه يعرف مصلحتي ومستقبلي وما يُصْلحني وما ينفعني ولذلك فإن أعلى درجات اليقين الرضا بمواقع القدر، أن ترضى بقضاء الله كله: خيره وشره.

ففي الصحة والعافية يكون مني الرضا، وفي المرض يكون الرضا والتسليم، ولذلك قال سيدنا زكريا ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦] أي دعا ربه بخصيصة معينة هي الرضا والرضا، يوصلك إلى التفويض ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] والتفويض يوصلك إلى التسليم، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] أي أسلمت فسلمت فغنمت.

وعندما أرضى بما قسمه الله لي يتنزل الرضا بردا وسلاما على قلبي فأستشعر رحمة الله، وعندما تنزل بالعبد مصيبة يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. فيقول الله تعالى: أسلم عبدي واستسلم ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣] هذا هو التسليم التام.

سيدنا عمر بن الخطاب حينما ذهب إلى الشام، وكان الطاعون قد انتشر في قرية عمواس فتوقف ولم يدخلها، قالوا: أتفر من قضاء الله؟!

وقد تذكر أحد الصحابة الحاضرين حديثا لرسول الله ﷺ: «إذا وقع

الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها، وإذا كان بأرض ولستم بها فلا تقربوها» [رواه أحمد] فانصرف عنها عمر بن الخطاب امتثالا لأمر النبي قائلا: نفر من قضاء الله إلى قضاء الله.

إن قضاء الله حتم وسوف يدركنا في أي موضع وفي أي حال، نحن مؤمنون بهذا ومسلّمون به، لكن لابد من الاحتراس والاحتياط والتوقي والأخذ بالأسباب. مؤمن آل فرعون قال ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞ فَوقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٤- ٤٥].

فعندما يكون العبد في محنة أو ورطة ويفوض أمره إلى الله فالله يغيثه.

وعندما تصيب الإنسان مصيبة ويصبر يكون له أجر الصبر والرضا، يرضى الله عنه، أما من يجزع ويسخط فيكون عليه الوزر وقد حُرِمَ الأجر، لقد حُكم القضاء ونفذ أمر الله ولا راد لقضائه، لقد باء بالوزر وحرم الثواب ولم يدرك ما فاته. ولذلك قالوا: لا تجن على نفسك بمصيبتين: مصيبة البلوى ومصيبة الجزع عليها، فاغتنم منها الرضا.

قالوا للحسن البصري الرجل الرباني: ادع على من ظلمك، قال: أدعو عليه، أفما في قلبك من رحمة، تريد أن تجمع ظلمي ودعائي عليه!.

انظروا إلى هذه الرقة والرأفة في قلبه. فلماذا إذن تبخر الرضا الآن؟

لأن شجرة اليقين قد اهتزت، ولو ثَبَّت الإنسان شجرة اليقين داخل قلبه وأفاض عليه من برد التوكل على رب العباد عز وجل، لَنَمَتْ وأزهرت وأثمرت وازدهرت.

ولا يجب أن تقطع المعاصي الرجاء في الله.

يقول أبو حازم رضي الله تعالى عنه وهو من تابعي التابعين: يا رب يكاد

رجائي فيك مع الذنوب يغلب رجائي فيك مع العمل، (بمعنى وأنا مذنب، عندي رجاء وأمل في رحمتك يا رب أكثر من رجائي وأنا أعمل وأجتهد وأصلي وأصوم) لأن رجائي فيك مع الذنوب أعتمد فيها على غفرانك وأنت يا رب بالعفو موصوف وبالمغفرة جدير، أما عندما أعتمد على عملي فأنا موصوف بالتقصير.

مفاتيح الجنة

الصلاة في المسجد

يقول ﷺ: «من صلى البردين (الصبح والعشاء) دخل الجنة» [رواه البخاري] ويقول: «بَشِّرْ المشائين في الظُّلم إلى المساجد، بالنور التام يوم القيامة» [رواه الترمذي].

ويقول: «ليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة» [رواه أحمد]، وهناك باب في الجنة اسمه باب الريان يدخل منه الصائمون، وكذلك الصلاة لوقتها ما أفضل الأعمال يا رسول الله،قال: الصلاة لوقتها فمن أدى الصلاة لوقتها كان من أهل الجنة.

أما النوافل، فإن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة أي عمل بمقتضاهن، علم وعمل وليس مجرد الترديد.

كان رجل يسير في طريق به غصن شجرة فيه شوك يصيب المارة فقام بقطعه وأماط الأذى عن طريق الناس، قال الله تعالى: يا عبدي قطعت الشر من طريق المسلمين وأنا أقطع بينك وبين النار وأفتح لك طريقا إلى الجنة. قال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» وقال أيضًا: «يا نساء المسلمات لا تَحْقِرَنَّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة» [رواه البخاري]، وقال ﷺ: «تهادوا وتحابوا» [رواه أبو داود في سننه].

وكذلك إفشاء السلام، يشيع الحب والمودة والإخاء بالمجتمع المسلم، قال ﷺ يرسم طريق الجنة: **«لن تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا» «أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم.. أفشوا السلام بينكم»** [رواه مسلم].

أما عن التهادي بين المسلمين فقد دخلت جارية على ابن عباس بكوب من اللبن فوهب لها قطيعا من الغنم!. قالوا يا ابن عباس: إنها فقيرة، يكفيها شاه، يرضيها منك القليل، فلم كل هذا؟. قال: قد أعطتنا على قدرها ونحن نعطيها على قدرنا.

قصة أخرى، دخلت جارية على الإمام الحسن بن علي، عترة النبي محمد ﷺ، ورضي الله عنه وعن أبيه، بعود أخضر، فقال لها: أنت حرة لوجه الله، أعتقها جزاء معروفها.

وقال ﷺ: **«من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاةٍ أو أصغر بنى الله له به بيتاً في الجنة»** [سنن ابن ماجه].

وقال ﷺ: **«من غدا إلى المسجد و راح أعد الله له نُزُلَهُ من الجنة كلما غدا أو راح»** [رواه البخاري] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] إنه يحقق الإيمان الحقيقي.

عطاء رباني بغير حساب

إن رب العزة تبارك وتعالى يفاخر الملائكة بهؤلاء العباد: انظروا يا ملائكتي إلى المتحابين فيّ، إلى المتزاورين فيّ وإلى المتجالسين فيّ، أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم. وتقول الملائكة يا رب: إن فيهم فلانا ليس منهم. فيقول الله: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم... فلو عُذّبَ أهل الأرض ما نجا إلا أهل المساجد.

وما من عبد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يأتي بيتًا لله إلا كانت خطواته إحداها ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة، وتتلقاهم الملائكة بالبشر، وإذا دخل المسجد فهو في صلاة ما دام ينتظر الصلاة، فإلى أن تقام الصلاة تظل الملائكة تكتب كل لحظة مائة حسنة، مائة حسنة ما أعظم هذا الكرم!.

وحينما شاهد النبي أحد الصحابة يجلس مهموما في المسجد، قد أثقلته الهموم فقال له رسول الله ﷺ: هل أدلك على شيء إذا قلته أذهب الله عنك الهم وقضى دينك؟ قال نعم يا رسول الله. قال: قل: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل ومن الجبن والبخل ومن غلبة الدين وقهر الرجال**» [سنن أبو داود]. يا لبركة الصلاة!

كان النبي إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقال «**يا بلال أرحنا بالصلاة**» [رواه أحمد] وقال: «**جُعِلَتْ قرة عيني في الصلاة**» [رواه أحمد] ففي الصلاة أنت في معية الله، وما دمت في معية فلا تحزن ﴿**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠].

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ومن مفاتيح الجنة الإكثار من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهي كنز تحت العرش ترفع سبعين نوعا من أنواع البلاء أقلها الغم والهم، شرط أن يقولها بيقين.

حدث في عهد الصحابة أن رجلا قد أسر الأعداء ابنه الذي يحتطب ويبيع الحطب ويعول والده فقال الصحابي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وفجأة ببركة هذا الدعاء دخل عليه ابنه وأخذ يروي ما حدث، قال يا أبت بينما أنا في جنح الليل والقوم نائمون، أخذت القيود تتسع تتسع إلى أن سقطت فأخذت هذا القطيع من الغنم وسُقْتُه إلى هنا غنيمة من الأعداء. فالله الله في هذا الدعاء.

الشُكْرُ قَيْدُ النِّعَم...

قال تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] تُقَيَّد النعمة بالشكر وبمزيد الشكر، فكلما تشكر يزيدك رب العباد، الجزاء من جنس العمل، فكلما شكرتم زادكم الله من فضله العميم، وما تفنى خزائن ربك، وإن شكر نعمة المال التصدق، وشكر نعمة العلم تعليم الناس.

وحدث أن رأى النبي ﷺ كسرة خبز وأماط عنها الأذى وسمىّ الله ثم أكلها وقال: يا عائشة، أحسني جوار نعم الله عندك. أجل إن نعم الله لدينا تتطلب حسن الجوار وشكرها وحسن تناولها.

ولنتذكر جميعا قصة القرية التي عصت أمر ربها فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بعد أن كانت قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا بإذن ربها فكفرت بأنعم الله، ما أحسنت جوار نعم الله، بل جحدت عطاء ربها.

عندما فتح المسلمون قبرص بكى الصحابي الجليل أبو ذر فقيل له: أتبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام. قال: كان هؤلاء يرتعون فلما خالفوا أوامر الله سلمنا الله أعناقهم وبلادهم وأرضهم وأموالهم، فإذا غفلنا عن شكر النعمة، وشكر المنعم، صنع معنا ما صنعناه فيهم.

مفتاح محبة الله

يقول رب العزة سبحانه: **«من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا»** هل هناك كرم أكثر من هذا؟ الله هو الغني عن العالمين ولكنه سبحانه يفرح بإقبال عبده عليه واستغفاره، إنها المحبة تعمر القلوب فتطرد الشيطان وتقربك من الله فتصبح حبيب الرحمن، فمن أصبح وأمسى ولسانه رطب بذكر الله، أصبح وأمسى وليس عليه خطيئة.

وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) مفتاح الجنة يقول النبي: «**خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله**».

مفتاح الدعاء

يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠] فالله يحب من عباده الذين يدعونه بالغدو والآصال يريدون وجهه، الذين يدعونه تضرعا وخيفة ولا يستكبرون عن عبادته، فالله يفرح إن سألته وابن آدم إن سألته يغضب ويُشيح عنك بوجهه، ينأى ويُعْرض بجانبه، أما رب العزة سبحانه فيغضب إن تركت سؤاله.

ومن آداب السؤال أن يتملق العبد ربه، أي قبل أن يدخل في الدعاء يقدم له بالتسبيح والصلاة على النبي المصطفي، ثم تدعو وتخلص في الدعاء ما دمت لم تدع بإثم ولا قطيعة رحم.

لابد أن تمتلئ بالرجاء والأمل في القبول والاستجابة، وسوف يستجيب الله دعاءك في الوقت الذي يشاء وبالكيفية التي يشاء ﴿**وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً**﴾ [الإسراء: ١١].

ولا يَدَعُ الإنسان الدعاء أبدًا ولا ييأس من القبول فإنه لا ييأس من رحمة الله إلا الظالمون، لا يقل أحدكم دعوت فلم يستجب لي، دعوت ولم يستجب لي.

هذا مفتاح الشيطان فليغلق الإنسان الباب في وجهه وينصرف عنه إلى ربه ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: ٣] فإنه سميع بصير وعلى الإجابة قدير، خزائنه عامرة بالخير ويده سخاءة بالعطاء وكلتا يديه يمين؟.

وقد يحدث أن يدخر الله لك الدعوة لمشيئة يعلمها الله، فلا تعترض بل ارض بما قسمه الله لك واعلم أن الله أجَّلَ إجابة دعوتك وادَّخرها لك في الآخرة.

جلس النبي الكريم ذات مرة مع صحابته الأطهار ثم قال: اقترب يا أبا بكر. وقال: كل من قدم لنا يدا (أي معروفًا في سبيل الدعوة) كافأناه عليها إلا أنت إن لك يدًا لا يكافئها إلا رب العالمين.

اقترب أبا حفص: وقال: قد كنت شديدا علينا أبا حفص في الجاهلية فمنَّ الله عليك بالهداية. ثم وضع النبي يده على أبي بكر وعمر وقال: هكذا يدخل ثلاثتنا الجنة ثم نظر إلى عثمان وقال: لو كانت لنا ثالثة (أي ابنة ثالثة بعد أم كلثوم ورقية) ما زوجناها إلا لك....

هكذا يكون دخولهم الجنة، وفي أحد الأيام دخل النبي الكريم بستانًا ووقف أبو موسى الأشعري على بابه، ووضع النبي رجليه في ماء بئر، ثم جاء أبو موسى وقال: يا رسول الله: إن أبا بكر يستأذن؟ قال: أدخله وبشّرْه بالجنة ثم استأذن عمر فقال النبي لأبي موسى: أدخله وبشّره بالجنة... وقال: يا رسول الله: إن عثمان يستأذن. قال: أدخله وبشره بالجنة على بلية (مصيبة) تصيبه (وهي مقتله شهيدا صائما قائما يقرأ القرآن في عامه الثمانين).

ثم استأذن علي فقال النبي: قرب يا أبا الحسن، أمرني جبريل أن أزوجك فاطمة. كان هؤلاء القوم ربانيين يحبون في الله ويبغضون في الله.

يقول سيدنا عمر بن الخطاب في عجيبة من العجائب: والله لإسلام العباس أحبُّ إليّ من إسلام أبى الخطاب لو أسلم، كيف ذاك يا أبا حفص؟!. قال: إن إسلام العباس يُدْخل السرور على قلب رسول الله، أما إسلام الخطاب فإنه يدخل السرور في قلبي، وإدخال السرور على قلب رسول الله أولى عندي من إدخال السرور على قلبي.

ما أروع هذا الحب في الله!. إنه أسمى درجات التفاني، والحب في الله

أعلى درجات الوصول لله عز وجل.

مفتاح الاستقامة

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وقال يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولا لا أسأل فيه أحدًا بعدك. قال له النبي: يا أخا العالية، «**قل آمنت بالله ثم استقم**» أي الإيمان والعمل وفق منهج الإيمان ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠].

المؤمن عندما يتلو آيات الذكر الحكيم في خشوع وصفاء نفس يشعر بسكينة وهدوء نفس، إنها ملائكة الرحمة تتنزل من عند رب العالمين.

سيدنا أسيد بن الحضير رأي السكينة نازلة وهو يقرأ سورة الكهف فحمحم الفرس حتى كاد يقطع الحبل، نظر فإذا بقناديل مضاءة في السماء. الله أكبر ارتبك سيدنا أسيد فتوقف عن القراءة فبدأت القناديل تصعد في السماء حتى اختفت، وفي صلاة الصبح أخبر رسول الله ﷺ يا رسول الله حصلت البارحة كذا وكذا ورأيت فرسي تحمحم وولدي عندي يحبو فخفت عليه فتوقفت عن القراءة، فيقول الرسول: اقرأ أسيد رتل أسيد، يا أسيد هذه سكينة الله تنزلت في قراءتك ولو ظللت تقرأ لرآها أهل المدينة.

مفتاح الرحمة

الراحمون يرحمهم الرحمن ويخبرنا النبي عن رجل في الأمم السابقة: «**كان يمشي بطريق واشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له**» [رواه البخاري].

لقد أخذته الشفقه والرحمة على أحد مخلوقات الله فأدركته رحمة الله ومغفرته.

مفتاح الاستغفار:

ومفتاح الاستغفار يقول الله تعالى فيه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠- ١٢] ومن أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب، وسيد الاستغفار: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» [رواه البخاري]، وأفضل ما تقول ما خرج من قلبك.

* * *

أبواب الجنـــة

ركائز وراء الأبواب...!!!

لابد من إعطاء عدة ركائز مهمة قبل الوقوف على أبواب الجنة.

الركيزة الأولى

إن الجنة هي سلعة الله، نعم سلعة الله، قال ﷺ: «**ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الجنة**» [سنن الترمذي].

الركيزة الثانية

وأعظم نعيم يرتكز عليه المؤمن في الجنة ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] أي لا خوف عليهم من المستقبل ولا خوف على الماضي، وهذه لأصحاب الجنة أجمعين.

الركيزة الثالثة

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، العملة المتداولة في الجنة سبحانك اللهم، بها يأتي لك ما تريد، إنها كلمة السر، دعواهم فيها سبحانك اللهم.

الركيزة الرابعة

هي التطلع إلى وجه الله الكريم، وهذا أعلى مقام في الجنة ينظرون إلى وجه ربهم بكرة وعشيا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣] وجوه نضرة بطاعة الله في الدنيا ورضا الله في الآخرة.

وقبل الدخول إلى الجنة، مرُّوا بحوض الكوثر وشربوا منه وبعـدها اجتـازوا الصراط، يشرب المؤمن فتظهر في وجهه نضرة النعيم ويسلب منه الغـل والحقـد ليدخل الجنة صافي النفس ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًـا عَلَـى سُـرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] يتخلص من شقاء الدنيا وهمومها ومظالمها، بحيث لـو رأى من ظَلَمَه، لا يشعر نحوه بالحقـد أو الأسـى أو الألم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّـا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

يكفي أنك لا تسمع في الجنة إلا الكلام الطيب، فكما كان يجالس أهل الخير في الدنيا يستمع إلى الكلام الطيب فهو الآن في الجنة لا يسـمع ﴿إِلَّا قِيلًا سَـلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦].

الركيزة الخامسة:

تخشى المرأة المؤمنة أن تتزوج في الجنة بالرجل الذي سامها سوء العـذاب في الدنيا، لا فلتطمئن فلن تتزوج بفضل الله في الجنة إلا ممـن ترضـى عنـه. سـألت السيدة أم سلمة رسول الله ﷺ: المرأة منا تتزوج الرجل والـرجلين- أي يمـوت عنها أو تطلق- أيها تتزوج في الآخرة؟ قال: تتزوج أحسنهما خلقا. نعم، ذهـب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة.

نساء الجنة

والنساء في الجنة نوعان: نوع خلقه الله رب العباد سـبحانه ﴿كُنْ فَيَكُـونُ﴾ [البقرة: ١١٧] وهؤلاء يغنين بصوت روحاني رخيم لأهل الجنـة: نحـن الناعمـات فلا نبأس أبدًا، نحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، نحن المقيمات فـلا نظعـن أبـدًا، نحن الشابات فلا نهرم أبدًا، فطوبى لمن كان لنا، وطوبى لمن كنا له.

وسوف يحرم من سماع غناء حور العين في الآخرة من يستمع إلى الغناء في الدنيا.

ومن صفات الحور العين: أن يرى المرء بياض وجهه في صفحة خديها ولو تقلب في بحر أجاج لحولته عذبا فراتا، ولو أخرجت أناملها في الليل البهيم لحولته نهارا مشرقًا.

والنوع الثاني هو نساء أهل الدنيا، فهناك الكثير من الأزواج في الدنيا يتمنى إن يرافق زوجته في الجنة لرضاه عنها وحبه لها. فلتكن رفيقته في الجنة، أما إذا أراد أن يتزوج غيرها فالنساء كثير في الجنة.

أما المرأة التي سامها زوجها العذاب فهي تكره عشرته فلن تكون زوجَته في الجنة لأن في الجنة ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

أول من يفتح الجنة ويدخلها ...

يخبرنا النبي ﷺ أن الفارس يسير بفرسه أربعين سنة ما بين أول باب الجنة وآخره، والنبي الكريم هو أول الداخلين إلى الجنة، تكون مغلقة فيأتي النبي ويدعو الله ويستفتحها فتفتح له ولا تفتح لأحد قبله، ويقعقع حلقه الجنة أي يطرقها فتصدر صوتا.

ولنتذكر: ما في آخرتكم من دنياكم إلا أسماء، وتظل أبواب الجنة الثمانية مفتحة.

يقول النبي ﷺ: «أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي» فقال أبو بكر يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى انظر إليه فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» [سنن أبي داود].

وهذه الجنة درجات كما أن النار- أعاذنا الله وإياكم منها- دركات، ما بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض.

وحينما سألت المرأة التي استشهد وحيدها النبي: هل ابني في الجنة فأصبر؟

أم في النار فأبكي عليه العمر كله؟ قال المصطفى: ابنك في الفردوس الأعلى، أي أعلى درجات الجنة مع النبي ﷺ، إنه مقام سيدنا محمد لأن سقف الفردوس عرش الرحمن تبارك وتعالى، ولذلك ورد عن النبي ﷺ: **«إذا سألت الله فاسأله الفردوس الأعلى»**.

صفات نعيم الجنة

قال تعالى ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٢٥].

ثمرات الجنة متعددة الأشكال والألوان والطعوم، وليس للإنسان فضلات، بل رشح كريح المسك وليس فيها عَرَق ولا حيض ولا نفاس ولا بُصَاق ولا مخاط ولا قيء ولا منية، ولا أي شيء من صنوف الأذى التي نجدها في الدنيا، انتفت كل الآلام والمنغّصات، فليس إلا نعيم خالص ولذة تدوم أبدًا.

طريق الشهادة

قال تعالى ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران:١٦٩] الشهيد في جنة، عرضها السموات والأرض، من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، هذا الشهيد يسكن الفردوس الأعلى، لأن الشهادة درجات: من يموت في الغرق أو الحريق أو الَهرم أو المبطون والذي وكزته دابة، شهداء الأمة كثيرون والحمد لله، ولكننا نخص شهيد السيف، المقاتل فهو لا يُغَسّل ويُكَفَّن في ملابسه.

رؤيا صالحة

في معركة القادسية، لم ينم سيدنا سعيد بن زيد زوج فاطمة بنت الخطاب، صهر الفاروق عمر، أحد العشرة المبشرين بالجنة، لم ينم لعدة أيام فأقسم عليه

أخوه أن يدخل الخيمة ليصيب قسطا من الراحة، وجلس على باب الخيمة يحرسه.

فسمع سعيدا يتكلم فخاف أن يكون أحد الأعداء قد خلص إليه في خيمته، فدخل الصحابي فسمع سعيدا يقول: والله لا أريد أن أعود يا عيناء يا مرضية فأيقظه فاستيقظ سعيد فقال له: جزاك الله عني خيرًا لم أيقظتني؟ لقد رأيت رؤيا. قال قُصَّها عليّ قال: أستحلفك بالله ألا تقصَّها إلا بعد أن أموت ثم أخذ يقص رؤياه المباركة.

يقول رأيت كأن القيامة قد قامت وإذ بمنادٍ من تحت العرش ينادي: قد رضي الله عن سعيد بن زيد، وإذا أنا بثلاثة من الخيول المطهمة، اثنان يمتطيها ملكان والثالث بينهما وقالا: اركب يا سعيد لنوصلك إلى ما أعده الله لك، قال فسرنا ففتح لنا باب الجنة فدخلت فرأيت نسوة كالأقمار في ليلة التمام، قلت: هل أنتن الحور العين اللاتي حدثنا عنهن رب العباد في القرآن؟ قلن: لا، نحن من خدمهن فيمشي فيصادف نساء أجمل: هل أنتن الحور العين؟ لا، نحن خدمهن.

ثم قابلت ثلاثة، اثنتان منهما كالقمر ليلة التمام أو كالبدر والأخرى كالشمس تشع بنورها على من حولها.. السلام عليكن ورحمة الله ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠] من أنت؟. قالت: أنا العيناء المرضية، أنا زوجتك في الجنة، فمددت يدي لأصافحها، قالت: إليك عني يا سعيد أنت ما زلت في الدنيا ولكنك ستكون عندنا فقلت: والله أنا لا أريد أن أعود، لا أريد أن أعود، مرحبا بك يا عيناء يا مرضية، فإذا بك توقظني، جزاك الله عني خيرًا.

ويمر يومان أو ثلاثة بعد هذه الرؤيا، كان في يوم الخميس(الذي تصعد فيه أعمال العباد إلى الله) وسعيد صائم، يمرق سهم فيصيب سعيدًا فيقبض روحه

الطاهرة إلى الله وهو صائم، يراه أخوه في تلك الحال ويحسده: أين الإفطار يا سعيد؟. فيقول سعيد: في مقعد صدق عند مليك مقتدر، مرحبا بك يا عيناء يا مرضية، لقد جاءت تستقبله فيا بشراه ويا حسن مآبه.

المغفرة رحاب التوبة

ومما يذكر أن زوجات المؤمن من الحور العين إذا آذته زوجته في الدنيا، قالت الحور: اتقي الله، فسوف يرحل عنك ويأتي إلينا.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

وما دمنا في رحاب المغفرة فلابد لنا من الوقوف عند التوبة

التوبة أحد معالم حياة المؤمن، جاء رجل للنبي ﷺ وقال: يا رسول الله، الجنة عرض السموات والأرض فأين النار؟ قال النبي ﷺ: إذا جاء الليل فأين النهار؟! فذهب الرجل إلى الصديق أبي بكر فسأله نفس السؤال، فسمع منه نفس الإجابة، وذهب إلى الفاروق عمر وحدث معه ذات الأمر السابق.

إنها النفس الملهمة، تَعَجَّب الرجل وقال: سألت نفس السؤال وصادفت نفس الإجابة، قالوا: لو سألت فلانا وفلانا لأجابك نفس الإجابة.

من صفات المتقين

ما هي صفات المتقين؟ يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٥]

المقصود أن ننفق في وقت الرخاء وفي وقت الشدة وفي كل وقت، وذلك كما فعل أبو بكر الصديق عندما تصدَّق على مسطح بن أثاثة الذي خاض في عِرْض السيدة عائشة رضي الله عنها، بل زاده في العطاء وقال بلي يا ربنا نحب أن يُغْفر لنا، وذلك بعد أن نزلت سورة النور ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وكظم الغيظ يكون برباط الشرع فعندما تمتلئ النفس بالغيظ يقول المؤمن اللهم أجرني من حَرِّ غضبي ثم يتوضأ ليطفئ نيران الغضب بماء الوضوء الطهور فالغضب من الشيطان، وهو مخلوق من مارج من نار، ثم يغير وضعه إن كان جالسا فليقم ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

وكان النبي الكريم لا يغضب لنفسه أبدًا، بل يغضب لله! يغضب إذا انْتُهكت إحدى حرمات الله، فَيُعْرف الغضب في وجهه الشريف.

العفو والصفح

المقصود بالعفو هو عفو القوي القادر على الانتقام وليس عفو الضعيف الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الشر، العفو عند المقدرة وأبرز مثال له، موقف النبي من أهل مكة عند فتحها عندما قال لهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: (يستعطفونه ولم يملكوا غيره) أخ كريم وابن أخ كريم. قال النبي الكريم: أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] اذهبوا فأنتم الطلقاء، فقال الحضور والحشد الضخم من الناس في صوت واحد. نشهد أن لا إله إلا الله وأنك يا محمد رسول الله.

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله، صدق من سماك رءوفًا رحيمًا، لقد أسلم ما يزيد عن الألفين بهذا العفو.

ولا يقولن أحد إن العفو يتعارض مع الكرامة والرجولة فتلك وساوس شيطانية، مسالك للشيطان داخل النفس ليستولي عليها ويطرحها في النار.

الرشيد وخادمه

ذات مرة سقط الإبريق من يد الخادم دون قصد منه على هارون الرشيد أمير المؤمنين وهو يتوضأ فامتلأ غيظا، فقال له الخادم: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] يا أمير المؤمنين، يريد أن يذكره بالآية الشريفة، بأدب القرآن لكي يمتثل به فينجو من العقوبة، قال: قد كظمت غيظي.

فخشي الخادم أن يحتجزها في نفسه فيحاسبه عليها فيما بعد فقال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. قال: قد عفوت عنك، قال ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] قال: أنت حر لوجه الله، فلننظر كيف سما الإسلام بالنفس البشرية من حال الغضب إلى حال العفو والصفح!.

حتى لا تذهب المروءة

وهناك قصة تروى عن العفو لأبي هريرة ﷺ، فقد تقابل رجل أفسدت ناقته بستانًا فقتله صاحب البستان فأمسك به أولياء القتيل يريدون القصاص، فبحث الرجل عن ضامن يضمنه حتى يعود إلى قومه ويفي ببعض التزاماته وعهوده، فضمنه أبو هريرة إلى الغد وهو لا يعرفه ولا يعرف من الرجل؟ ومن أي قبيلة؟

فلما حان الموعد، أخذوا يسألوا أبا هريرة: لِمَ ضَمِنْتَ الرجل وأنت لا تعرفه؟ قال: حتى لا يقول الناس ذهبت المروءة. ولم يتم كلامه حتى رأوا رجلاً مقبلا وإذا هو الرجل، وسألوه: ما أتى بك ولا يعرفك أحد؟ أما فكرت أن تنجو من العقوبة ولن يصل إليك أحد؟ قال: حتى لا يقول الناس ذهبت

المروءة. فإذا بأهل القتيل يعفون عن القاتل، حتى لا يقال قد ذهبت المروءة.

مغفرته أوسع من ذنوبنا...

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ١٣٥]

والتوبة لابد أن يصحبها الندم الشديد والنية الصادقة على عدم معاودة الذنب مرة أخرى، ثم تغلبه شقوته وتقهره نزواته والبيئة المحيطة ورفقاء السوء فيعاود الذنب ويستغفر.

يقول رب العزة: قد علم عبدي أني غفار الذنوب قد غفرت له، ثم يعود العبد للذنب ويستغفر، فيقول الله: قد علم عبدي أن له ربا يغفر الذنوب ولا غافر للذنوب إلا أنا أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له وتبت عليه، وذلك بأن يوصد أي يغلق في وجهه باب المعصية، وإن ذهب إليها يناديه: يا عبدي إلى أين تذهب؟ أوجدت ربا غيري أم وجدت رحيما سواي! فيا لرحمة الله بنا.

غرف في الجنة لهؤلاء

يقول ﷺ: «**إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها قالوا: لمن يا رسول الله، قال: لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام، قالوا: من يستطيع؟ قال: أمتي**».[رواه أحمد]

فمن لقي أخاه بوجه طلق مبتسم فقد ألقى السلام، أطعم الطعام لمن أطعم زوجته وأولاده طعاما حلالا فأشبعهم، ألان الكلام أي يتكلم مع إخوانه كلاما طيبا ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وإفشاء السلام أن يسلم المسلم على أخيه المسلم، عَرَفه أم لم يعرفه، ومن صام من كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام فالحسنة بعشر أمثالها والثلاثة الأيام بثلاثين يوما بفضل الله،

فيكون قد صام الدهر.

هذه البشاشة والابتسام لا تتعارض مع الجدية فقد كان الرسول الكريم طلق المحيا، بساما، بشوشا، يضحك حتى تبدو نواجزه ومع كل هذا كان أتقى الناس طرًّا لله تعالى، ونحن لا نعلم أن صحابيا واحدًا كان مقطب الجبين، عابسا.... هذا لم يحدث قط.

الجهاد والنية....

قال تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، أن تهجر المعاصي إلى الطاعات، أن تهجر الكسل إلى العمل... هذه الهجرة هي الباقية أبدًا.

أما الإيذاء في سبيل الله فقد لاقى المسلمون الأوائل في فجر الإسلام صنوفا وذاقوا من العذاب ألوانا. أم سلمة رضي الله عنها، عندما هاجرت انتزعوا ابنها من بين ذراعيها، يريدون أن يجبروها على الإقامة وترك الهجرة، ولكنها أبت. إلى أن قام رجل من قريش، لم يكن قد أسلم بعد وقال: يا قوم استحيوا مما تصنعون..!! ما هذه بأخلاق العرب! ولذلك عفا عنه رسول الله ﷺ وأطلقه من الأسر حين وقع بأيدي المسلمين مكافأة له.

وفي موقف آخر، أكرم رسول الله ﷺ ابنة حاتم الطائي وأطلق سراحها حين وقعت مع قومها بني طيء في الأسر كرامة لأبيها فإنه يحب مكارم الأخلاق، وقال: لو كان أبوك مسلما لترحَّمنا عليه.

لقد كان خلق النبي القرآن، كان قرآنا يمشي على الأرض.

يقول الله تعالى في سورة المائدة ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] فيقول الحسن البصري ﷺ، يسأل الله الصادقين عن صدقهم فما بالنا نحن؟!. يسألهم عن درجة صدقهم فماذا نصنع نحن؟

ولنستمع إلى كلام الحسن البصري العالم الرباني في هذا الشأن. سئل ما لك مستبشرا هكذا؟! فأجاب: علمت أن رزقي لن يأخذه أحد غيري فاطمئن قلبي، وعلمت أن عملي لن يقوم به غيري فاجتهدت فيه، وعلمت أن الله مطلع على في كل لحظة فخشيت أن يراني على معصية، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت نفسي للقاء الله.

وتلك كلمات تشع نورا للإمام علي كرم الله وجهه: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، والنفس طماعة عودها القناعة، الدنيا إذا حلت أوحلت وإذا كست أوكست وإذا أينعت نعت، وإذا جلت أوجلت، وكم من مَلِكٍ رُفِعَتْ له علامات فلما علا مات.

ويقول رب العزة سبحانه: يا عبادي ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم. وأدنى منازل الجنة يسير فيه الراكب ألف سنة في ظل ممدود ولذلك ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

يقول تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

كل هذا أعده الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، والحسنى هي أقصى درجات الإحسان، وقيل الحسنى هي الجنة للذين أحسنوا في الدنيا، وزيادة أي رؤية الله سبحانه.

* * *

أهل الجنـــة

البلاء طبيعة الدنيا...

أولاً أريد أن أقول إن المسلم والمؤمن الحقيقـي يجـب أن يـدرك أمـرًا هامـا، وهو أن الله سبحانه وتعـالى يـنغّص عليـه معيشـته في الـدنيا رحمـةً مـن الله بـه، ينغصها عليه بالابتلاءات والمرض، بتضييق الرزق وبإساءة الناس إليـه وبخـوض الناس في حقه.

هذا التنغيص صورة من صور رحمة الله، يريد رب العباد عز وجل ألا تركن إلى شيء وألا تركن إلى الدنيا بل يريد أن يزعجك منها، يريد ألا تركن إلى شيء حتى لا يشغلك عنه شيء، ففي كل ورطة تقول: يا رب، في كل أزمة تقول: يـا رب.

إن أكثر الناس بلاءً وأشدهم ابتلاءً هم الأنبياء، فهم أكثر الناس صلة بـالله، وكلما رأت الناس الدنيا رأتها دارًا منغصة، فالابتلاء ليس مرهونـا بالبعـد عـن الله سبحانه وتعالى، لا هذا بلاء يقمع الكافر قمعا.

بين البلاء والابتلاء

الابتلاء: هو اختبار المؤمن بالخير والشر، فهو من باب تقـويم حيـاة المـؤمن بحيث ينزعج عن كل شيء في الدنيا فيفر إلى الله ولا يـركن إلى أحـد سـواه. إن كثرة الشكايا، أنك تشكو الذي يرحم إلى الذي لا يرحم.

﴿أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾ [يوسـف: ٨٦]، هكـذا قـال نـبي الله يعقـوب عليـه السلام، فإذا ما شكا العبد إلى الله يكون قد ألقى شكايته عند من لا يغفل ولا ينام.

ليس العلم كثرة الرواية، إنما العلم خشية الله تعالى، أن نتقي الله، بل إذا رأيته ذكرتك بالله رؤيته، ودلَّك على الله حاله، وزادك في علمك منطقه، هذا هو العلم الذي تراه سلوكا يتحرك.

إنما نريد أن نضع قاعدة: إن الدنيا مبنية على هذه الابتلاءات.. فلماذا؟ ذلك؟ لأن هناك أناسًا من محبة الله موصولون بالله، وبتعبير العصر: هناك خط ساخن ما بين قلب العبد وأبواب السماء، هذا الخط لا يكون إلا بكثرة الابتلاء، لأن العبد لو خُلِّيَ بينه وبين الدنيا ورفاهيتها وسعتها ومنظرها وخيلائها فسوف ينسى العبد.. ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[العلق: ٦،٧].

ولذلك قال: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

إذا نسيت أنك راحل إلى الله فاذكره، إذا نسيت الخشوع في الصلاة فاذكره، إذا نسيت أنك أذنبت ولم تتب فاذكره، واذكر ربك في كل وقت.

وهذا الابتلاء رحمة...

وهناك أناس من رحمة الله بهم يرزقهم مثلا ببنت مريضة أو نزلت ناقصة عضوا مثلا، فيقول الناس: هذا معاق، لا أنا لا أقول هذا إنسان مبتلى، وهو كرم ورحمة في هذا البيت، وسوف يصبح موصولا بالله عز وجل من خلال الدعاء لهذه الفتاة، أو ربما كانت هي بركة في البيت.

إننا نراها أفضل عند الله من تلك التي تتلوى بجسدها على أنغام الموسيقى، هذه تعصي الله، أما الأخرى فهي موصولة بالله وفي قلبها خير كثير.

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ذهب أبوه وكان أعرج، يفقد إحدى قدميه، ذهب إلى الجهاد في غزوة أحد، وله من الأبناء أربعة، فقالوا له: إلى أين يا أبي؟ قال: إلى الجهاد الله إني أحب أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، فقالوا: نحن

نكفيك يا أبي، فقال: والله لأشكونكم لرسول الله، وفعل ثـم شـارك في الجهـاد واستشهد، ولما رأى النبي ﷺ جابرًا واقفا على رأس أبيه يبكـي، قـال الـنبي: يـا جابر، والذي بعثني بالحق نبيا ما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب إلا أبـاك يـا جابر، لما استشهد كلمه الله بدون حجاب وقال له: عبـدي تمـنَّ علـيَّ. قـال: يـا رب، أتمني أن تعيدني إلى الدنيا فأُقْتل فيها مـرة أخـرى، قـال رب العـزة: فـإني قضيت وقضائي لا يرد ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]. ولكن أبحت لك وجهي تنظر إليه بكرة وعشيا.

هذا رجل أوتي من العلم حظا وافرا ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـاهُ﴾ [يوسف: ٦٨]. إن الله سبحانه وتعالى أراه حقيقة الأمور.

صفات أهل الجنة

إن أهل الجنة لهم صفات محددة

أولها: الصبر فهو نصف الإيمان، لنتجول مع كتاب الله عز وجل ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] الأبـرار جمـع بـار أو جمـع بـرّ، والبَرّ هو الذي صدق في معاملته مع الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]. الذي أبر قسمنا والذي أعطانا من بره وفضـله، الـذي وعدنا فما أخلف وعده، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿وَمَـنْ أَوْفَـى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ [التوبة: ١١١]. فالإنسان البار أو الأبرار قيل هم السـابقون يوفـون بالعهود، وأولها العهد مع الله سبحانه وتعالى بطاعته.

وعهد الله عز وجل أنْ نبّر عياله نبّر خلقه.

يجب أن نكون رحماء بالناس قال ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» [سنن الترمذي] ، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِـن كَـأْسٍ كَـانَ

مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥].

والكأس في اللغة يطلق على الكوب الممتلئ، وإذا قيل كأس عند لغة العرب فهي كأس مليئة بالخمر، وخمر الدنيا يختلف عن خمر الآخرة كتب الله عز وجل عن الجنة: وعزتي وجلالي لن يدخلك مدمن خمر ولا ديوث؟ قال الصحابة: يا رسول الله: عرفنا من هو مدمن الخمر فمن هو الديوث؟. قال الذي يعرف القبح على أهله ويرضى به.

كيف نعلمه الغيرة؟ إذا غُرِسَتْ فيه الرجولة غُرِزَتْ فيه الغيرة الإنسانية ناهيك عن الغيرة في الإسلام.

العرب كان لديهم غيرة قبل الإسلام، ولقد وددت أن تصل غَيْرة بعض الناس الذين تبخرت غيرتهم إلى مستوى أبي جهل وأبي لهب، كيف؟ هل قرأتم في التاريخ أن أبا جهل قال لأم جميل زوج أبي لهب: أتأذني لي بهذه الرقصة؟. لا.. لم يحدث ولو حدث لأطار أبو لهب رقبته! يقول الشاعر الجاهلي القديم:

وأغض طرفي إن بَدَتْ لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

هذا هو منطق العرب، ولذلك فقد بعث فيهم الرسول ﷺ لأنهم قوم عندهم أخلاق لا توجد عند أقوام أخرى، كالشهامة والشجاعة وحفظ الجار والجوار وحفظ العهد قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [رواه البخاري].

إن الأبرار لا يشربون مع الديوث بل يشربون ﴿مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، والكافور لا يُشرب، ولكنه الرائحة الطيبة الذكية، ولذلك قال الله بعدها ﴿عَيْنًا﴾ أي الشرب من عين وليس من الكافور، الكافور ليس سائلا ولكن رائحة طيبة ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾[الإنسان: ٥- ٦].

إذن أول صفة مِنْ صفات مَنْ دخل الجنة أنهم عباد الله، إذن الأبرار ثم عباد الله قال تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ [الإسراء: ٥] وليس عبادًا للدنيا، ولذلك قال ﷺ: تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد القطيفة، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» [رواه البخاري] أي لو دخلت شوكة في رجله لا يرزقه الله بمن يخرجها له فإذا شيك يجعله يتألم لأن همته دنياه، والمؤمن همته عليا، همته سبحان الله العظيم، هامة أمتي في الثريا، ولا تنس نصيبك من الدنيا في تعميرها للآخرة. إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، قال الصحابة للنبي: يا رسول الله، إن العبد منا يريد أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا.. فهل هذا من الكبر؟ قال المصطفى: «الكبر بطر الحق وغمط الناس» [رواه مسلم].

وقالوا: إن العبد يمشي في الجنة ومعه قضيب من الذهب فيه زمرد وزبرجد ويضرب في الأرض، وأرض الجنة مسك أزفر، أي خالص، سبحان الله، وكلما ضرب الأرض انفجرت له عيونا كما يهوى ويشتهي وكما يقع في نيته، فالجنة ليست طبقة واحدة، بل غرف من فوقها غرف، فهي درجات، ما بين أرضها وسقفها مسيرة سبعين سنة!

المؤمن يتجول بفكره في ملكوت الله، ويتجول بقلبه في محبة الله ويتجول بخوفه في محبة الله عز وجل، يقول الله تعالى: (يا عبدي تجول كما كنت تتجول) هذا تشجيع وإكرام،.. وقد انتهى زمان الصبر، والله من كرمه لما خلق الجنة قال لها: انطقي، قالت: قد أفلح المؤمنون، قال الله طوبى لك منزل الملوك.

إن من سكانها المسكين الذي ما كان أحد يعيره اهتماما في الدنيا وقد قال النبي ﷺ: «**كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره**» [سنن الترمذي]. إنه بحق ملك، ملك الجنة، ملَّكه الله الجنة لأنه مَلَّك الله في قلبه في

الدنيا، ملَّك الإسلام في قلوب الناس عملا وقدوة وصبرا وسلوكا.

يقول تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] أي يشرب منها بنفسه لكي يستشعر اللذة.

من عباد الله هؤلاء؟

صفات عباد الرحمن

أول صفة لعباد الرحمن أنهم ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] أي يوم القيامة، فلقد كانوا في حالة خوف من الآخرة ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨] قد يقول قائل: إنه لا يحب الطعام ولا يشتهيه، كلا، هو يحب الطعام، لكنه رغم محبته يعطيه لمن ليس عنده، هذا أفضل ممن لا يحب الطعام، أي يؤثرون على أنفسهم ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، أي يعطي الطعام للمسكين، فمن هو المسكين؟! إنه الإنسان الذي أسكتته الحاجة فلا يسأل.

هناك فرق بين الفقير والمسكين.

المسكين هو الفقير الذي أسكتته الحاجة فلا يسأل، أما الفقير فهو الذي لا يملك ولكن يسأل. والإسلام يعطي فقير الحاجة لا فقير الاحتراف فهذا لا يعترف به الإسلام، المسكين أسكتته الحاجة إما لأنه ضعيف فلا يستطيع السؤال أو أن عزته تمنعه من أن تكون يده السفلى، وهو المراد بقوله ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة ٢٧٣].

عبدٌ في الإحسان وعند الامتحان

كان ابن عباس جالسا في رهط من الناس وقال: بلغني أن فقراء أمتنا يدخلون الجنة قبل أغنيائها بنصف يوم ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا

تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] قالوا ولم يا ابن عباس؟ قال حتى يحاسب الأغنياء عن أموالهم (حتى يسئل عن ماله... من أين أكتسبه؟ وفيم أنفقه) أما الفقير فلا يملك أموالا يسئل عنها. فقال رجل: أنا فقير يا ابن عباس. قال: أأنت إذا أفطرت صار عندك للغداء؟. وإذا تغديت صار عندك للعشاء؟ قال: نعم. قال ابن عباس: لا لست بالفقير.

قال سعيد بن زيد (وكان يغسل ثوبه الوحيد وينتظر حتى يجف) أنا فقير؟ قال ابن عباس: أأنت إذا ذهبت لتقترض من الناس أقرضوك؟ قال: أجل. قال ابن عباس: ما أقرضوك إلا لعلمهم أنك سترد، لست بالفقير. وقام رجل وقال: يا ابن عباس أنا أقترض من الناس فهل أنا فقير، قال: أتستطيع أن تعمل؟ قال: نعم، قال: لست فقيرًا.

وقام رجل توافرت فيه كل الشروط فسأله ابن عباس: أتمسى عن ربك راضيا؟ وتصبح راضيا؟ قال: نعم. قال ابن عباس: أنت من الذين يدخلون الجنة قبل الأغنياء.

هذا وسؤال الغني الشاكر الذي أدى حقوق ماله، سؤال تكريم، هو لن يسأله لأجل التوبيخ أو الإهانة أو العذاب، إنه مثل الابتلاء، والابتلاء ليس مصيبة في كل حال.

والغني الشاكر خير عند الله من الفقير الصابر الذي لا يملك إلا الصبر فالغني أمامه اتجاهات عديدة ينفق فيها أمواله ثم يحاسب عنها يوم الدين ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

واليتيم هو الفقير الذي مات أبوه دون البلوغ، وهناك يتيم خلف له والده ثروة طائلة تجب فيها الزكاة، والرسول ﷺ قال: «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو في الجنة كهاتين** (وأشار بإصبعيه الوسطي والسبابه) [رواه مسلم].

وأنا بهذه المناسبة أهيب بالأخوة المسلمين أن يسألوا في مؤسسات كبرى ترعى الأيتام، ويحضروا صور الأطفال الأيتام ويجعلوا أولادهم يختاروا اليتيم الذي يكفلونه من مصروفهم ويؤاخونه في الله ويستقبلونه في أيام العطلات ويتزاورون في المناسبات... هكذا يكون فعل الخير. ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

الأسير هو الذي وقع في الحرب، ينطبق هذا الكلام على إخواننا في فلسطين وفي العراق وفي كل مكان يضطهد فيه المسلمون، عليَّ واجب أن أُعينه، إما بإطعامه أو بالدعاء له وحل مشكلته، بتقوية ظهره ومساندته.

كلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له...

جاء نفر من الفقراء إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله؛ ليس عندنا ما عند الأغنياء، صلوا فصلينا، لكنهم أنفقوا الأموال ولم نستطع أن ننفق. قال عليه الصلاة والسلام: «أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أمة بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرًا وتحمدون عشرًا وتكبرون عشرًا» [رواه البخاري].

ففرح الفقراء وعادوا مغتبطين، فبلغ الخبر الأغنياء فصنعوا صنيعهم فعاد الفقراء إلى النبي فقالوا: يا رسول الله قد بلغ إخواننا الأغنياء، فضحك رسول الله ﷺ وقال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فلعلنا لا ندري أين يقع الخير. وإنما الأعمال بالنيات، فقد كان قاضٍ ببني إسرائيل يسير في عام مجاعة وقال يا رب: وعزتك وجلالك لو كانت هذه الجبال طعاما لي لوزَّعتُها على الناس. قال الله تعالى يا موسى: بَلِّغْ عبدنا أننا قد قبلنا منه النية.

وأبو بكر الصديق عندما غضب على مسطح الذي خاض في عرضه، لكنه

قال: أريد أن يغفر الله لي، وعاد لينفق على مسطح ويعطيه أكثر لأجل أن يمحو الشيء الذي علق بنفسه تجاهه ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٩، ١٠].

نحن نتجول في الجنة في كتاب الله، لكن لابد من الخوف، أن نخاف من سوء الخاتمة، نخاف من أصحاب المظالم، نخاف ملك الموت يهجم علينا فجأة ولم نتب، كما قالوا: من خاف سَلِم.

كان السهل بن عبد الله ﷺ جالسًا وقارئ يقرأ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] فحرَّك شفتيه كأنه يشرب.. قالوا: ماذا يا سهل. قال: أستشعر الآية عندي وأنا أشرب ... الله أكبر لقد أحس بالآية ورجا الله أن يكون من أهلها.

مفهوم الخوف يوم القيامة

تكرر الخوف يوم القيامة بوصفين مختلفين، فلماذا؟ لأن يوم القيامة يوم عبوس قمطرير، والعبد بين مخافتين، فهل نعبد الله تعالى على خوف منه؟ لا. بل على خوف مِنَّا ألا ترقى أعمالنا لمستوى القبول.

ذات مرة دخل النبي ﷺ على أبي موسى الأشعري وهو قائم يصلي ويتلو القرآن، وعندما فرغ من صلاته أخبره النبي ﷺ: لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود، قال:أسمعتني يا رسول الله؟! قال: نعم. قال: والذي بعثك بالحق نبيا، لو أعلم أنك تسمعني لحضَّرْته لك تحضيرًا. أي حسَّنْته وجوَّدْته تجويدا.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.. إن المؤمن بين مخافتين: أمر مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأمر قادم لا يدري ما الله قاضٍ فيه.

وهكذا لابد أن تُجَوِّد عملك، استكثرْ القليل من الله واستصغرْ الكثير من عملك. الإمام أحمد بن حنبل ﷺ كان يُعَذَّب في مسألة خلق القرآن وهو يبتسم

بينما الموجودون يبكون، فلما سألوه: يا إمام، كنت تُضْرب وتبتسم وكنا لا نُضْرب ونَبْكي؟!. قال: كنتم ترون هذا الجلاد، أما أنا فكنت أرى رب العباد.

سئلت السيدة عائشة ذات مرة: لم تعطرين درهمك؟ قالت: إنها لا تقع في كف الفقير لكنها تقع في كف الله، وهكذا كان حال العلماء والسلف الصالح في هذه الأمة عليهم رضوان الله.

وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

الصبر نصف الإيمان...

هناك نوعان من الصبر: الصبر على المعصية، وأشد منه الصبر على الطاعة، من مرت عليه ثلاثة أيام أو أربعة من غير ابتلاء فليراجع حسناته مع الله، وقضية ابتلاء المؤمن قول فصل لا نقاش فيه، فمن لا يبتلى إما قلبه قد مات أو أن حسن الإيمان لديه ضعيف أو متكبر أو عنده رياء أو غرور.

أنا عند الابتلاء أصبر لأنني في معية الصالحين، ومع الابتلاء ومع الطاعة أصبر، فالطاعة تتطلب صبرًا ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] لم يقل اصبر، لماذا؟! حتى يصير الصبر لك عادة قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۞ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا ۞ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ۞ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ۞ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۞ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۞ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٤- ١٩] ملابسهم في الجنة حرير لأنه كان محرَّمًا عليهم في الدنيا، والأرائك التي يتكئون عليها جمع أريكة وهي المجلس الوثير الذي له جوانب تحفُّه حتى يستريح الجالس، ولا يرون حرارة الشمس ولا الزمهرير وهو شدة البرد، والظلال من البعد الشاهق دانية عليهم، والقطوف دانية، والنمارق في متناول اليد بسهولة.

سئل رجل غمس في نعيم الجنة بعد أن ذاق الويل والعذاب في الدنيا: هل رأيت بؤسا قط؟ قال: بعزتك وجلالك أنا في النعيم منذ خلقتني...!! لقد نسى عذابات الدنيا.

ويسئل الرجل في البرزخ: أتريد أن تعود إلى الدنيا؟ الرجل المؤمن يرفض ويقول: لا لا... قَدّمَاني قَدّمَاني إلى ربي.

يقول تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥] لأنها كانت محرمة في الدنيا، وأكواب مصنوعة من تربه الجنة من المسك وليس من السيليكون، أكواب فيها نقاء الزجاج ولون الفضة، والخادم يصب لك على قدر ما تشرب دون أن تطلب، هو يستشعر رغبتك في الشراب.

والزنجبيل الذي تشربه في الدنيا له طعم شديد في الحلق فضلاعن رائحته، ولذلك قال ابن عباس: ليس في أخراكم من دنياكم إلا أسماء فقط.

نعيم مقيم

ونعيم الجنة هذا لا تمله النفوس ولا يسأمه أحد، والعين التي تشرب منها تسمى سلسبيلا، مشتق من السلاسة أو تسلسل النعم بعضها وراء بعض، ويطوف عليهم ولدان مخلدون أي مستمرون متناوبون في الخدمة، والولدان جمع ولد صغير هل هم من الملائكة أم من البشر أم خلقهم الله بقدرته ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] أم أنهم أبناء المسلمين الذين ماتوا صغارًا؟. نحن نميل إلى أنهم قد خلقهم رب العباد وليسوا من أبناء المسلمين، لأنني عندما أرى ابني الصغير يخدم أحدًا فسوف ينغّص عليّ هذا الأمر ويثير حزني، وليس في الجنة ما يعكر الصفو: يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[الإنسان:٢٠] جعل النعيم نكرة للتضخيم والتكثير، والملك من التملك ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

كل مقعد يزول فهو كاذب، والمُلْك الذي يدوم هو المقعد الحقيقي، هارون الرشيد وهو في النزع الأخير قال: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

يقول تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۞ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢١- ٢٢].

عاليهم يعني أعلاهم ثياب سندس خضر من حرير، والإستبرق ما غلظ منه، فالملابس الداخلية لأهل الجنة حرير.

يقول تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، يسقيهم الله سبحانه وتعالى من يده بِمَنّهِ وفضله بعد شراب الكافور والزنجبيل وعين السلسبيل، وعندما يسيرون في الجنة تمطر عليهم مسكًا وعنبرا وروائح طيبة.

ويقول رب العزة: يا ملائكتي، هل طيبتم أهلي وعبادي وجيراني ووفدي؟ يقولون: نعم يا ربنا، فيسأل: هل أطعمتموهم؟. فتأتي أنواع من الطعام ما أكلوها من قبل في الجنة، ولذلك قال﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] اسقوهم.. فيسقون شرابا ما شربوه من قبل في الجنة.

ويجتمع الجميع كما كانوا يصنعون يوم الجمعة، ولذلك يا بُؤْس عبدٍ ترك صلاة جمعة، يُطْبع على ثُلُثِ قلبه،ومن ترك جمعتين اثنتين طُبِعَ على ثلثي قلبه، ومن ترك ثلاث جمع طُبِعَ على قلبه كله وحجب عن نور الله.

يقول تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الطور: ٢٥] يتزاورون، أنت تحب أبا هريرة مثلا وتريد أن تراه، أنا أريد أن أجلس مع خالد بن الوليد ليحكي لي قصة حرب اليمامة، تنقلك الملائكة فورا، نحب أن نرى المصطفى ﷺ فيحدثنا عن الإسراء والمعراج، ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] ويقول تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] أي طهورا من ظلم الدنيا.

نعيم الجنـــة

آخر أهل النار خروجًا منها إلى الجنة...!!!

وقبل الحديث عن نعيم الجنة لابد أن نسلط الضوء إلى آخر مـن يخـرج مـن النار ويذهب إلى الجنة، من هو وما هي قصته.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قـال: «**آخر من يخرج من النـــار** (يكون من العصاه الموحدين) **شخص أخذ ينظر عن يمينه فلم ير أحدًا وعن شماله فلم يجد أحدًا، قال يا رب أخرجني من النار لا تجعلني أشقى خلقك، فيجيب الله عليـــه، إن أخرجتك لا تطلب شيئًا آخر قال لا يا رب. قال: أخرجوه، فخرج حبوا حبـــوًا فلمـــا وصل إلى حافتها قال لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدًا من العالمين! وبعد ذلك أخذ ينظـــر عن يمينه فلا يرى إلا النار وعن شماله فلا يرى إلا النار، فقال يا رب اصرف نظري عنها،** (فهولا يريد أن يراها من شدة ما لاقى فيها كالإنسان الذي يحدث له حـادث أو لأحد من المقربين إليه في مكان ما فهو لا يريد أن يمر عليـه أو يـراه، فمـا بالـك بالمكان الذي فيه ألوان العذاب، أعاذنا الله وإياكم) **فقال الله عبدي ما أغدرك على الوعد! ألم تعاهدني ألا تطلب مني شيئًا؟ قال يا رب لا تجعلني أشقى خلقك. قال: اصرفوا وجهه عن النار** (كأنه يتذلل لله سبحانه وتعالى، فمن له غير الله) **فإذا به يرى عـــن بُعْد شجرة وارفة الظل تحتها ظل ظليل ونهر جارٍ فقد وجد ما لا صبر له عليه** (فهـو مـا زال متأثر بما رأى في النـار) **فقال يا رب اجعلني في ظلها، أتنسم هواءهـــا وأشـــرب ماءها. فقال الله عبدي ما أغدرك على الوعد! ألم تعاهدني ألا تطلب مني شيئًا آخر، قال يا رب لا تجعلني أشقى خلقك. فقال الله انقلوه فنقلوه** (وأخذ ينتقـل مـن شـجرة إلى شجرة، وفي المرحلة الثالثة من الانتقال وجد نفسـه قريبًـا مـن الجنـة) **فقـــال ربي اجعلني على بابها. فيقول الله يا عبدي ما أغدرك على الوعد ألم تعاهدني ألا تطلب مـــني**

شيئًا آخر. فقال رب لا تجعلني أشقى خلقك. فقال الله انقلوه، فلما وصل إلى بابها وجد أبواب الجنة مفتحة أمامه فهاله ما رأى، ولو لم يكتب عليه الموت مرة أخرى لمات من شدة الفرح، فيقول يا رب أدخلني إياها. فقال الله له يا عبدي ما أغدرك على الوعد! فقال يا رب لا تجعلني أشقى خلقك؟ فقال الله له سوف أعطيك فيها ملكًا كملك الدنيا فقال يا رب أتهزأ بي وأنت رب العالمين (يظن أنها قد ملئت ولا يوجد فيها مكان) فقال الله له ولسوف أعطيك مائة ضعف من حجم الدنيا. فمن شدة اضطراب العبد قال اللهم أنت عبدي وأنا ربك قال ﷺ أخطأ من شدة الفرح وضحك النبي ﷺ ولما سئل عن ذلك قال: من ضحك الرب من عبده، ثم دخل الجنة».

لا يهلك مع الدعاء أحد ولا يشقى

ونستفيد من هذا أن العبد أولاً: لا ييأس من رحمة الله، وثانيًا: لا يمل من دعاء الله، ولا يستكبر أي شيء على قدرة الله الكبير المتعالي.

فهذا سيدنا موسى يقول «يا رب استحي أن أطلب شيئًا صغيرًا، فقال الله يا كليمي لا تستحِ أن تطلب مني ثمن طعام». أي ثمن الملح، فمن غير الله يعطيك الصغير والكبير.

ولكن عندما تسأل العظيم اجعل همتك عالية ولا تيأس أبدًا من الدعاء.

وحتى إذا رأيت أن دعاءك لا يُستجاب فلا تحزن لأن الله يريدك أن تقف على بابه وأنت أخشع الناس والله يحب أن يسمع صوت عبده وهو يدعوه ويقول «أخروا حاجة عبدي فإني أحب أن أسمع صوته».

وربما يعطينا فنبعد عنه، يقول الله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾[يونس: ١٢] فمن رحمة الله أن يجعلك على بابه حتى يعلمك الصبر.

وهذا الرجل الذي كان آخر الخارجين من النار من أوساط عصاة الموحدين

كان يقضي مدة عقوبة معينة وخرج منها، ولا ينطبق عليه قول أهل الكفر والشرك وهم في النار ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] إذا هنالك سعة للمسلم الموحد لله رب العالمين أن يتوب، وما زالت الفرصة قائمة ما دام القلب ينبض.

الجنة عطاء بعد الإيمان

يظن البعض أن عطاء الله سبحانه وتعالى للمسلمين والمؤمنين في الجنة تعويض عن حرمان معين في الحياة، ولكن المسلم غير محروم في الدنيا، هو الذي يتخيل أنه محروم من أشياء يظن أنها ملذات، وهي ليست كذلك، فنحن نعيش في نعم كثيرة ولا نشعر بها ولا نعظمها ونفضّل الفاني عن الباقي ولا نفكر في حكمة الله من العطاء والمنع.

فمثلاً الإنسان إذا شرب الماء واستشعر نعمة الله وقال الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا لاستشعر نعمة الماء.

وخير ما يرزق الإنسان في الدنيا ثوب العافية، والعافية ليست عافية البدن فقط ولكن عافية الدين والدنيا، فعندما ترى شارب خمر تقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به عباده وتدعو له، أو وجدت شخصًا فقد عضوًا من الأعضاء الجسدية فاحمد الله على ما أعطاك وأخذه من غيرك.

وإذا وجدت أولادك يصلون وأولاد الجيران لا يصلون تحمد الله على نعمة هداية الأولاد.

أتريد عافية أكثر من ذلك، قال رسول الله ﷺ **«من أصبح منكم آمنا في سربه معافىً في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»** [رواه الترمذي].

ولكن الله يزعجك بمنع بعض الأشياء عنك حتى لا يشغلك شيء عنه، ولكن هذا كما قلنا ليس بحرمان، ولكن المحروم من حُرم لذة القرآن، فالمؤمن موصول بالله سبحانه وتعالى، وعنده من الرضا والاطمئنان وانشراح الصدر كما لو أن الدنيا أعطيت له.

فبعض الناس تنفق مليارات لتسعد لحظة ولا ينالونها.

ولست أرى السعادة جمع مالاً ولكن التقيَّ هو السعيد

ويظن الناس أن الفقر هو مصدر التعاسة، أبدًا ليست هذه سياسة الحياة، يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۝ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى ۝ وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾ [طه: ١١٧- ١١٩] انظر كيف حدد الله في هذه الآية المقومات الأساسية للحياة، ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى﴾ الجوع والكساء ﴿وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾ العطش وحر الشمس، و تضحى يقصد بها أنه ليس لك بيت يحميك.

إذا هناك أربع أشياء: «الجوع والعطش» و «السكن واللباس» هم أربع أساسيات للفقر فإذا عوفيت منها فقد أُعطيت كل شيء؛ لأن الله وعد آدم هذه الأشياء في الجنة، ولكن الإنسان يريد أن يملك كل شيء في الأرض وهو لا يعلم أنها قد تكون مصدر الشقاء.

والبعض يتحجج بتأمين مستقبل الأولاد... ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، قالوا لعمر بن عبد العزيز تترك بناتك السبع؟! قال لا أخشى عليهم وقد علمتهن سورة الواقعة، فإن كنّ صالحات فإن الله كان للأوابين غفورا، وإن كنَّ غير ذلك فلا أعطيهن ما يتقوين به على معصية الله.

انظر إلى حكمة عمر بن عبد العزيز فقد ترك أمرهم لله وعلمهم أن يلجئوا إليه، وعلم أنه ما سمي المال مالاً إلا أنه مال بالناس عن الحق.

تأمل قول الله تبارك وتعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] ولم يقل أصل الحياة الدنيا، إنما المال زينة خارجية وهي في نفس الوقت فتنة ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] أي اختبار فيجب علينا أن نكون من الشاكرين، فالمؤمن يرضى بمواضع القدر ولو يعلم الله تبارك وتعالى أن العبد لا يقترب من هذه الأشياء إلا على مقدار الزينة ما ابتلاه بها فقد قال ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦] فأنت الذي تبتلي نفسك، فقد يكون الإنسان عنده ما يكفيه ويستدين من البنك مثلاً، والسبب حتى يوسع أعماله أو شركاته لماذا؟ «ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى»

وهذه ليست دعوة للتراخي والتراجع وخذ من الدنيا ما شئت، ولكن اجعل نيتك خالصة لوجه الله، واجعلها وسيلة للتعمير في الأرض، وأن ترفع راية لا إله إلا الله، ولا تجعلها في قلبك بل اجعلها في يدك وحتى تصير هكذا يجب أن تستشعر أن الذي رزقك هو الله وقد جعلها أمانة في يدك فينظر كيف تقوم عليها.

وخلاصة القول أن السعادة في القرب من الله فكلما اقتربت من الله كلما ارتفعت عن الدنايه وبعدت عنك الدنيا والسعادة فيما قدّر الله للعبد أن يستقيم على الطريق.

لا تنظر للآخرة بعين الدنيا

واعلم أنك لن تموت حتى تبلغ رزقك. فملك الموت يقف على الباب يقول أتبكون مني فأنا مأمور! أم تبكون عليه فهو مقهور، والله ما نقصت له درهمًا من رزقه ولا لحظة من عمره، وإن لي بكم عودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم

أحدًا أبدًا. يقول ﷺ: فلو سمعوا كلام ملك الموت لبكوا على أنفسهم وزهدوا عن الميل.

وإذًا لماذا أعطيت الدنيا لغير المسلمين؟ وهم يصولون ويجولون فيها كما أرادوا وكما شاءوا، ذلك لأنهم أخلصوا في دنياهم فأُعْطيت لهم، ونحن قصَّرْنا في ديننا وما أخلصنا في دنيانا فُسلبت منا.

ومما يؤلم أنك تجد أكثر ما يشغل المسلمين من أمور الآخرة: كم سيكون لنا من الحور العين وكم لنا من كذا وكذا!! حتى في أمور الآخرة صارت النظرة دنياوية لا نهتم كيف نصل إليها؟ وكيف ندخلها؟ وما الأعمال التي توصلنا إليها؟.

اطمئن وانظر ماذا عندك...!!!

ولكن هل لنا أن نطمئن ونرجو أم نقلق ونخاف؟ يجب علينا أن نطمئن، ولكن نحن الذين نبتدع مشكلات تجلب علينا الذنوب، فما عثرت قدم أو شيكت بشوكه إلا بذنب والله يعفو عنك، فيقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ [نوح: ٢٥] أي بسبب الذنوب وأعمال السوء أغرقهم الله، ونحن مغرقون في ملذات الدنيا، ويظنها الناس أنها نعمة، وهي ليست كذلك، فنحن لا نستخدمها كوسيلة بل صارت غاية، قال رسول الله ﷺ **«تعس عبد الدنيا وتعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة»** [رواه البخاري].

فالقضية ليست أن تقلق أو تخاف بل هل أعمالنا ابتغاء مرضات الله صلاتنا، صيامنا.. هل عندنا من «الرياء والعجب والشرك» أم عندنا من «الصدق والإخلاص واليقين» هل عندنا حسن توكل على الله، ولكننا حتى في توكلنا على الله نتواكل.

فالعبد يذنب ويقول إن الله غفور رحيم، أما إذا خسر مـالاً أو تجارة رأيتـه يجدُّ في استعادته وتنميتـه، ونسـي أن الله يقبـل اسـتغفاره وتوبتـه لكـن مقرونـة بالعمل الصالح.

فلابد أن نفهم ديننا فهمًا حقيقيًا، ونكون بداية لصحوة كبيرة، فالغد إن شاء الله لأمتنا وسوف تظل هذه الأمة باقية؛ لأن ديننا كلمـة رب العبـاد عـز وجـل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وفي العودة إلى الدين نصرة على الأعداء لأننا ننتصر بطاعتنـا ومعصـية عـدونا أمـا إذا اسـتوينا في المعصـية كـان لعدونا الغلبة علينا بالعدة والعدد.

ولكن نحن نريد أن ننتصر على أنفسنا أولاً وأن ننتصر علـى هوانـا والشـيطان، فالشيطان لا يغلب إلا ضعيف الإيمان﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] فنحن نريد أن نكون أمة فاعلة، نريد إنسانًا مؤمنًا قـوي الإيمان، والمؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف.

العزة لصاحب اليد العليا

فنحن أصبحنا أمة ضعيفة أمة تتكفف احتياجاتها، وهذا لـيس مـن أخـلاق الإسلام، فهذا رسول الله ﷺ لما جاءه أحد الناس يتكفف الحاجة قال له: أما في بيتك شيء قال ما فيه إلا قُعْب نشرب فيه الماء، وحلس نفترش بعضها ونلتحف ببعضها. قال النبي ﷺ أئتني بها. فرفعهما النبي ﷺ وقـال: مـن يشـتري هـذين؟ قال رجل: بدرهم. فقال النبي: من يزيد؟ قـال آخـر: بـدرهمين. قـال الـنبي ﷺ هاتهما ثم أعطى الفقير درهمًا وقال اشتر طعاما لأهلـك بهـذا الـدرهم، وهـذا الدرهم اشترِ به رأس فأس وأئتني به.

فاشترى الرجل الفأس من السوق، فأخذه الـنبي ﷺ وقطـع فـرع شـجرة. وقال له اذهب واحتطب ولا أرينك إلا بعد خمسة عشر يوما، هذا خير لك مـن

أن تسأل الناس.

ويأتي أحد الصحابة إلى النبي ﷺ ويده خشنة قال النبي ﷺ: ما هذا؟ قال: هذا من العمل. فقال النبي ﷺ: هذه يد يحبها الله ورسوله.

إن الله يحب العبد المحترف كما قال ﷺ أي صاحب الحرفة، فهذا سيدنا زكريا كان نجارًا، وسيدنا موسى يرعى الغنم عشر سنوات، وسيدنا رسول الله ﷺ يشتغل راعي غنم ثلاث عشرة سنة، فنحن لسنا أشرف منهم.

فيجب أن يكون الاجتهاد عنواننا، حتى لا يتفوق علينا العقل الغربي فنحن أفضل عقول لو استفدنا بنور الله ولصرنا عباقرة الدنيا والآخرة. فنحن مأمورون أن نكون أمة فاعلة، قوية إيجابية تصنع وتريد ولا يُرَاد بها.

إذا لابد من تطبيق فقه الأولويات حتى نقبل على الأعمال بفهم ووعي وهذا لن يكون إلا بعد الرجوع إلى علماء وفقهاء ربانين يدركون ما هو المقدَّم وما هو المؤخَّر وما الذي يقدّم المقدَّم والذي يؤخّر المؤخر، فلا ننشغل بالفروع عن الأصول ولا بالشكل عن الجوهر.

طعام الجنة وشرابها...

ولكي نتعرف على الجنة وما فيها فلنتدبر عروس القرآن سورة الرحمن والتي يتفكه بها أهل الجنة أي تكون منهم كأنها فواكه الجنة، فيجلسون يدندنون بها. ونبدأ من قوله تبارك وتعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] لماذا جنتان لمن خاف الله.

أولاً: جنة لإيمانه الصادق مع الله.

ثانيًا: لأنه دخل الجنة عبر مقامين مقام الخوف ومقام العمل.

لقد بدأ الله ووصف الجنتين بأنهما ذواتا أفنان، أي فيهما أغصان. وقال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] هل عين لكل جنة؟ لا، بل فيهما عينان

تجريان. ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] من أي فاكهة رآها المسلم في الدنيا أم لم يراها كل منها زوجان، زوجان أي نوعين، نوعين كل لا يمل العبد وذلك من رحمة الله.

وقد يسأل سائل: أليس في الجنة غير الفاكهة ألا يوجدطعام آخر؟ بل يوجد لحوم تأتي حيوانات في الجنة كالإبل شكلها جميل وصوتها جميل تقول: يا وليّ الله نحن شربنا من عين التسنيم ورعينا تحت عرش الرحمن فكُلْ منّا فنحن أطيب للطعام، فعندما يفكر في أكلها يجد لحمها في الطبق أمامه، فإذا ما أكل وشبع قامت ترعى تحت عرش الرحمن.

أليس فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...!!!

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن ٥٤] فالوسادة لها بطانة ولها ظهاره، فقد تكون بطانتها محشوة إسفنج أو قطن أو صوف أو ليف، ولكن في الجنة البطانة الداخلية حرير! فما بالك بالخارج. والإستبرق الحرير السميك.

﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] أي إذا وقع النظر على شجرة بينك وبينها مائة عام واشتهيت ثمرها تجده أمامك.

أي يتمني الإنسان فقط؛ لأن الإنسان تعب وهذا هو مردود التعب.

نساء الجنة

يقول تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] يصف القرآن الحور بأن أول صفة أنهم قاصرات الطرف، أي لا تنظر لغير زوجها بل لا ترى عينها غيره، وعندهن حياء، وخلق الإسلام الحياء، هكذا قال الرسول ﷺ، فقد كان النبي أشد حياءً من العذراء في خدرها، وقاصرات الطرف أي تقصره على زوجها فلا تنظر إلا إليه.

يقول تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ﴾ [الرحمن:٥٦] أي لم يقترب منهم أحد من قبل أبدًا.

والآية تشير إلى أن الجن يدخل الجنة، ولكن الجن المؤمن، ويراه الناس بحجمه، لأن الرسول بُعِثَ للإنس والجن.

والجنه فيها كل عجيب، فمن منا رأى الملائكة؟ لا أحد، ولكن في الجنة ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣] وتراهم يجالسوننا إن شاء الله، لأننا كنا نجالسهم في الدنيا في مجالس الذكر، فهم معنا عندما نقرأ القرآن وعندما ندعو يؤمّنون على دعائنا، وهم معنا عندما نذهب إلى المسجد ويضعون أجنحتهم لطالب العلم، ومنهم الحفظة.

نعم الجزاء لنعم العباد....

يقول تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] تنظر إليها فتجدها جوهرة.

ويقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] فعندما تحسن في الدنيا إلى الله وإلى دينك وإلى رسولك وإلى أهل العلم وإلى أهل الخير، لا يضيع هذا أبدًا عند الله، فعندما تقيس إحسانك، فكم سنة أحسنت أنت؟ خمسين، مائة سنة، مائتين، ولكن كم سيكون إحسان الله لك؟ أبد الآبدين، وهذا فضل الله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [التغابن:٩] أي خلود بلا موت. لأن الله اطلع على العبد المؤمن أنه لو خلّده في الدنيا إلى الأبد لأطاع ربه إلى الأبد، لأنه يحب ربه، واطلع على كتاب الكافر فعلم أنه لو عاش إلى الأبد لكفر إلى الأبد، فحاسبهم على مقدار نياتهم.

إذًا ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] ننظر من المحسن؟ إنه الله،

حتى يثبت المؤمن في الدنيا يناديه الله: أقبل تجد الإحسان، فإذا زرعت شجرة الخير فسوف تجني ثمارها، ولو زرعت شجرة خبيثة فلن تجني إلا ثمرتها الخبيثة.

فلابد للعبد أن يزرع لآخرته ليفتح الله له الطريق، ويهديه ويحببه في الإيمان، ويزّينه في قلبه ويُكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وأولئك هم الراشدون.

والراشد هو الذي رَشَّد نفسه لمنهج الله وسنة رسول الله، ولكن كل هذا بعمل العبد، وقد قال عمر: لا ينامنَّ أحدكم على ظهره ويقول: اللهم ارزقني وهو يعلم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.

درجة أخرى... أين عملك بجوار كرمه..؟!

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] إذا هذا مستوى آخر، قيل: أي أقرب إلى العرش من هذه أو من هاتين، والجِنَان من أدنى الدرجات إلى العرش كثيرة وبين الدرجة والأخرى مسيرة مائة عام، أما أن الجنة سبع درجات فهذه أبواب الجنة، والدرجات مثل الفردوس وعدن.... هذه درجات وداخل الدرجات درجات أيضًا.

أما في سورة الرحمن فهناك أربع جنان داخل الدرجة الواحدة ومن مواصفاتها ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] أي كثيفة الخضرة وهي مدهامة أي تعطي لون الظل الظليل، تعطي هذا اللون الغامق من كثرة التفافها وجمال أشجارها.

ويقول تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] فهناك عينان تجريان، وهناك نضاختان، وتجريان أعم من نضاختان، ونضاخه يعني تفور بقوة.

﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٧] وهنا تحديد للفاكهة والثانية فيها من كل الفاكهة زوجان.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] هناك خيرات حسان وهن الحور العين

وهن قاصرات الطرف، وذكر في سور آخر ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] أي محفوظات من أن يراهم أحد، وأما الخيام فقد قال سيدنا عمر بن الخطاب: الخيمة قباب مجوفة من لؤلؤ وزبرجد وفضة حجمها حجم الدنيا.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤] كما قلنا درجة أخرى ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

فهنا نجدهم متكئين على رفرف خضر أي حرير زائد، والرف من الطيران فهي تطيرك مثل رفرفة الطائر بجناحيه، وأما العبقري فمقصود به أن يروا منشأها، إذًا العبقري الشيء الذي لم نره من قبل، كأنك تجلس على شيء لم يخترع من قبل.

وهذا هو التنوع والتغير لأن الجنة ليست مكانًا واحدًا، والعبد يسير في ملكه ألف سنة، ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] هو الذي بجلاله وكرمه أنعم على عباده المؤمنين، فيجب أن نوقِّره وأن نخاف مقامه، وهو صاحب الإكرام الذي يكرمنا على العمل القليل بالخير الكثير، فماذا يساوي عملك أمام كرم الله؟

لا راحة إلا في الجنة...

ونلاحظ من خلال الآيات التركيز على الجلوس ووصفه، وأيضًا وصف الحور العين ووصف المأكل والمشرب وهذه أشياء للناس في الدنيا! ولكن عندما أخذها بحلال في الدنيا أخذها ثوابًا في الدنيا وجزاءً الجنة في الآخرة، ولكن نعيم أكثر ولا وجه للمقارنة، وهذه الأشياء في الدنيا تكون مصحوبة عادة بالمتاعب وعدم الطمأنينة من فواتها، ولكن في الآخرة ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] فهو الآن في ملك الرحمن، النعيم الأساسي.

ولنتجول في سورة الواقعة، فقد قسمت الناس في الدنيا ثلاثة أقسام، وعند خروج الروح ثلاثة أقسام أيضًا، فالواقعة أي يوم القيامة ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٢- ٣] تخفض أهل المعاصي بذنوبهم وترفع أهل التقوى بإيمانهم.

ترفع الذليل بطاعته لله وتخفض العزيز بمعصيته لله.

يقول تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ۞ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٤، ٥] والبس هو الدقيق معجون بالسمن وكأنها كالعهن المنفوش ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦] الهباء هو الشراب.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ فلنلاحظ التقسيم ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۞ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ٨، ١٠] والسابقون هم أتباع الرسل فقط.

* * *

رؤية الله عز وجل في الآخرة

زيادة في نعيم الجنة

رؤية وجه الله في الآخرة محض فضل يتفضل به رب العباد على مخلوقاته وعباده، فهذه درجة لا يصل إليها إلا المؤمن الصادق الذي كدَّ وتعب، واستقام على الطريق.

وقد أجمع أهل العلم أن أكبر عذاب لأهل الجحيم الحجاب عن وجه الله الكريم، وأعظم نعيم في الجنة هو رؤية وجهه الكريم سبحانه وتعالى وهي أكبر درجة، فلو اطلع أهل الجحيم على وجهه الكريم لنسوا ما هم فيه من العذاب، ولو حُجِبَ وجه رب العباد عن أهل النعيم لما راقت لهم الحياة في الجنة لحظة، ورؤية وجه الله درجة بمثابة الدُّرة في التاج، فهذا أقصى ما يتطلع إليه الإنسان من النعيم.

وإن في الجنة درجة ليس فيها لون من ألوان النعيم التي تحدثنا عنها، ولكن فيها شيء واحد فقط في هذه الدرجة ﴿عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٩] وهي أن ينعم الله على عباده بمطالعة وجهه الكريم فقط.

﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨- ٢١]

المقربون هم الذين يكرمهم بأن يرفع الحجب حتى يروا ربهم.

والكلام عن الله كلام يرقق القلب؛ لأنه ما عبد عابدا إلا بحب وسلك سالك إلا بفضل وبين الحب والفضل يُمْزج الخير، فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١] و ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ورؤية الله في الجنة ثابتة في عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي تجوز بنص الآيات والأحاديث.

يقول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣] وهذه النضارة من النعيم ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤] وهذا مقصود منه أن ألوان النعيم تكون ظاهرة واضحة ومما يوحي باستشراق القلب خوفًا من الله في الدنيا.

الرؤية ثابتة جائزة...

وينادي سيدنا موسى ربه قائلاً: ﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] هذا أدب من الكليم، ولو لم تكن رؤية الله عز وجل جائزة ما طلبها موسى. وطلب الرؤيا دليل على أن سيدنا موسى يتدلل على الكريم سبحانه وتعالى، كما أكرمتني بالكلام أكرمني بالرؤية، وليس هناك حرج على فضل الله أبدًا.

فلما طلب الرؤية لم يكن هذا عبثًا بل هذه حقيقة، وهو متحقق إنه يجوز منه أن يطلب من الله أن يُريه وجهه الكريم، فكانت الإجابة عجيبة و مفاجأة، ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولم يقل: لن تراني أبدا.

ويقول علماء اللغة إن (لن) تفيد الاستقبال، والنفي مستقبلاً محال. ولو قال الله: أبدًا لانتهت القضية ولا يوجد رؤية لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] المقارنة بين الجبل وكليم الله موسى مقارنة بين شيء ضخم قوي صلب باق من الأزل، خلقه الله قبل أن يوجد آدم وسوف يظل بعد أن يموت موسى، وهذا الشيء استعظمه رب العباد في خلقه، فهذا الجبل أقوى منك يا موسى وأشد وأصلب وأضخم.

﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] هنا ربط الاستقرار للجبل

بالرؤية ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] إذًا رب العباد يتجلى، وهناك يتجلى معنويًا، فيقال إن نور الله إذا دخل القلب انشرح القلب، هذا هو تجلي الله للعبد، أي نور الله.

ولما سئل الرسول ﷺ عن علامة ذلك القلب قال: التجافى عن دار الغرور في الدنيا والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل الرحيل، ولما سئل ابن حزم: من أعقل الناس؟ قال: أعقل الناس من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وأنار قبره قبل أن يسكنه، وقد قال الله تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا﴾ [القصص:٨٣] وقال في القدسيات: للجنة طوبى. وهي منزل الملوك، أي الذين ملكوا هواهم في الدنيا.

إذًا يتجلى الله بنوره في قلب العبد فيرى الحقائق بعين الدين لا بعين الدنيا، فلا يحزن بل يرضى ويقنع بعطاء الله، فلا يحزن على ضياع مال أو منصب أو موت ابن.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[الأعراف: ١٤٣] أي لم يتحمل الجبل فاستوى بالأرض فلم يصبح هناك جبل، فكانت مفاجأة، فخر سيدنا موسى صاعقًا، فهو لم يتحمل أن يرى الجبل مُسوًّى بالأرض، فلما أفاق قال سبحانك أنا أخطأت.

وهنا يعلمنا ربنا ألا نطلب شيئًا لم يُقَدَّر لنا بعد، كما قال لسيدنا نوح عندما سأل أن يُنْقَذ ابنه ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[هود: ٤٦] وقال له ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فهو لم يدخل في دائرة الجهل، فهذا نبي كريم ولكن الله يعظه ألا يكون منهم.

وهذا العرض أو الأدلة البسيطة النقلية تُثبت لنا أنه يجوز رؤية الله سبحانه وتعالى، وإلا ما طلبها الكليم، والأنبياء لا تطلب عبثًا بالإضافة إلى ما جاء في

الآيات القرآنية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وأيضًا سأل الصحابة رضوان الله عليهم النبي ﷺ في رؤية الله عز وجل، روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيِّضْ وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيُكشف الحجاب..!! فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**».

وعن أبي بكر قال ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] أي النظر إلى وجه الله، فكان جزاء إحسانهم الحسنى أي الجنة وفوق الجنة أن يتطلعوا إلى وجه الله الكريم.

ويقول الله ﴿وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فلما أصبحوا من أهل الكرم في الدنيا، أهل الكرم مع أنفسهم، لأن الإنسان عندما يكرم نفسه لا يهينها بالمعاصي وعدم التوبة واستمرار المعصية، فهذا يوم القيامة لا خلاق له، لكن الكريم يبتعد عن الذنب ويقبل على التوبة ويستقيم على الطريق هؤلاء ﴿لاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ «**أن ناسًا سألوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال ﷺ هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: والله أنكم ترونه كذلك**».

يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيء فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، يمشي وراءها، ومن كان يعبد القمر يتبع القمر، ومن كان يعبد الطواغيت يتبع الطواغيت... وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله سبحانه وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفونه بها (ولكن كيف نعرفه ونحن لم نره؟ المقصود صورته في خيال كل واحد منهم) فيقول أنا ربكم..

فيقولون: نحن ما كان لنا أن يأتينا ربنا، فيأتيهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

هذا هو المراد، تحقق الحقائق، أنه إذا رأى وجه الكريم عرفه؛ لأنه عاش على طاعته في الدنيا فأنار الله له بصيرته فرأى ربه في الآخرة.

فيقول أنا ربكم فيتبعونه ويضرب الصراط على ظهر جهنم فيقول الرسول ﷺ: فأكون أنا وأمتي أول من يجوزه. [رواه البخاري].

ويكون هذا في أرض المحشر، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١] ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلِّمْ سلِّمْ.

رؤية الله لمن رأى الحق في الدنيا

وفي جهنم توابير مثل شوك السعدان، سأل الرسول ﷺ: هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله. غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله.

فهذا الشوك يخطف الناس بأعمالهم، حتى إذا فُرِغ من القضاء بين العباد وأراد الله أن يخرج برحمته من أهل النار العصاه الموحدين، قال الله: أخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا.

إذًا، إن من أهل الإيمان من يرى رب العباد في أرض المحشر حتى يطمئن قلبه، والمنافقون سوف يرونه أيضًا، ولكن هذا لكي يتحسر الكافر أكثر وأكثر ويعلم أنه هو الوحيد الذي لم يحصل على أي شيء.

بالتأمل في مسألة النظر إلى وجه الله الكريم والصحابة والسلف الصالح وفعلهم يرى عجبًا.

يقول الرسول ﷺ «أوريت الليلة عجبًا، رأيت أبا بكر ينزع بدلو على قليب

(بئر) فنزع ذنوبًا أو ذنوبين، ثم جاء عمر فما زال ينزع حتى استحالت غَرْبا (أي امتلأ الماء في المنطقة) فجاءت الإبل فشربت، فلم أرَ عبقريا يَفْرى فَرِيَّه.

ويفسره العلماء أن النبي قال دلوًا أو دلوين، أي أن أبا بكر يعيش بعد النبي سنة أو سنتين، وقد كان. أما عمر فعاش أميرًا عشر سنوات وستة أشهر وقد ملأ الأرض عدلا، وفُتِحَتْ البلاد وكان سبَّاقًا في أمور الدولة وشئونها.

والشاهد أن هؤلاء هم المقربون الذين في علّين، فالصحابة بقوانين الدنيا لم يرو نعيمًا في حياتهم من نعيم الدنيا، وحياتهم بالمدينة كان فيها أكثر من سبعة وعشرين غزوة، وكل معركة يتخذ الله فيها شهداء وهذه المعارك ما كانت إلا لرفع الحواجز من أمام دعوة لا إله إلا الله.

فهذا التعب والكد وهذه الصنائع التي صنعوها، هل تضيع هباء؟ إذًا يجب أن يكرموا في الآخرة، وأن يتمتعوا بالنظر إلى وجهه الكريم ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ولو نظرنا إلى أجدادنا الأقربين، كم تنعموا من نعيم الدنيا؟ ولكن بالنسبة لنا نحن نعيمهم قليل؛ فنحن تنعمنا أكثر، فأنت بالهاتف مثلا تحدث أخاك المقيم في استراليا وأمريكا أو عن طريق الإنترنت أو بالفاكس، فهل شَكَرَ العباد رب العباد؟ حتى يحظوا برؤية وجه الله سبحانه وتعالى؟

هل نسينا أم نحن نذكر النعمة وننسى المنعم؟!!!

الإسلام يسع وجهات النظر

من لم يرَ الحق في الدنيا ويستقم عليه فسوف يُحْجب عن وجه الله يوم القيامة، وكل واحد منا يرى أن الحق ما هو عليه، والحق له مقياس واحد، وأحيانًا نعدد المقاييس وهذه هي الكارثة.

فالحق أحق أن يتبع وهو كتاب الله وسنة رسول الله، وقد يوجد اختلاف في الفروع وليس الأصول، والخلاف في تأويل النص أو تأثيره، ولكن الكل يلتقي عند الثوابت فلا خلاف على الكتاب والسنة.

فلم نر أن عالمًا قال إني أرى أن الظهر ثلاث ركعات... فنحن نتفق على ما يربو على التسعين بالمائة، والمختلف فيه من خمسة إلى عشرة بالمائة.

ومن علامات ضعف العقيدة في القلوب، أن الله ليس هو غايتنا، أو لأن القرآن والسنة ليس هما مقياسنا أو لأن الإنسان يتبع هواه، أو أننا نترك ما هو متفق عليه ونتفرق على ما هو مختلف فيه.

ونعود ونؤكد أن كل من دخل الجنة سوف يرى وجه الله أيًا كانت درجته، ولكن الاختلاف أن هناك عبادًا يرون ربهم بين الفينة والفينة، وهناك عباد يرون ربهم بكرة وعشيا، فالرؤية أيضًا درجات.

فعلى قدر ما ابتعد الإنسان عن الانغماس في الدنيا، على قدر ما أوتي من فضل الله في الآخرة.

التجوُّل في الجنة عمومًا...

ويجوز لأصحاب درجة محدودة في الجنة أن يتجولوا ويذهبوا إلى عليين ويمكثوا هناك، والله عز وجل سوف يكرم العبد بأماني ما خطرت له على بال، فعندما يقول الله للعبد تمنَّ وينتهي من أمانيه، يلهمه الله أماني أخرى أكبر حتى لا يمل ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

وقد يجول في عقولنا سؤال: كيف حجب الله رؤيته عن سيدنا موسى لأنه لا يُطيق ذلك، وفي الجنة ينظر العباد إلى وجه الله؟

ونقول: يبعث الله الناس يوم القيامة على صورة أبيهم آدم ستين ذراعًا في

السماء، ويقال إن الذراع خمسة وسبعون سم، فلك أن تتخيل أن الرجل في ارتفاع طابقين، والخليقة أخذت تتناقص؛ لأن حاجتها إلى أجسامها الضخمة بدأت تقل باختراعات يَسَّرت وسهلت على الإنسان حصوله على ما يحتاج.

فالكل في الجنة طول واحد ولكن ليس شكلاً واحدًا بل على أشكالنا الحالية حتى يعرف الناس بعضهم البعض.

وهذه هي المتعة ألا تتغير هيئتنا ولا خصائصنا ونرى الله سبحانه وتعالى.

ومن فضل الله علينا أن الناس في الجنة يرى بعضهم بعضًا، كما كانوا في الدنيا، فالبعض يظن أن المقصد من قوله تعالى ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣] أنه لا توجد خصوصية، بل توجد خصوصية ولكن هناك لقاءات عامة يلتقي فيها الناس بإخوانهم.

وأيضًا يتزاور أهل الجنان المختلفة فيما بينهم، يذهب صاحب الدرجة الأعلى إلى من هو دونه وهكذا.

وهذا كله محض فضل من الله، بل دخول الجنة فضل من الله ومن رحمته، ولما قال ﷺ: لن يدخل أحدكم الجنة بعمله... وسئل الرسول ﷺ: حتى أنت يا رسول الله؟ قال: حتى أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمه [رواه البخاري]. فلا يدخل الجنة أحد بعمله بل أهمية العمل في اختلاف الدرجة التي يسكن فيها.

درجات الجنة...

والجنة يُختلف في عدد درجاتها، فمنهم من قال إنها مائة درجة ولكن أنا أوافق أن عدد درجات الجنة هو عدد آيات القرآن الكريم، لذلك يؤتي بحافظ القرآن الذي عمل به ويقال له اقرأ وارتق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها.

فإذا كان من الذين يحفظون كتاب الله ويعملون به يجد نفسه بجوار رسول الله ﷺ أي الفردوس الأعلى، هذا فضل القرآن الكريم يصل بالعبد إلى الفردوس.

أما إن كان حافظًا للقرآن ولكنه غير عامل به فهذه مصيبة، فربٌ قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، فهو لا يتجاوز لسانه وأذنه ولايتنقل إلى الترجمة العملية لما يحفظ فيكون القرآن حجة عليه.

وهل فوق الجنان شيء؟ نعم يوجد فوق الجنان عرش الرحمن، وعرش الرحمن ألوان لا يعلم جمالها إلا خالقها، وفوق العرش الله! والعرش سقف الفردوس!!

ولكن لماذا رؤية الله أعظم ما نتمنى؟

إننا نعيش في الدنيا في كنف الله ورحمته ونوره ألا يطوق للعبد أن يرى خالق هذا الخير! مثلاً لو أنك منذ صغرك تأتيك رسالة شهرية مكتوب عليها فاعل خير وتجد فيها ما ينفعك وما تحل به أزماتك، وعندما تذهب لسداد فاتورة الكهرباء يقال لك: جاء شخص ودفع الفاتورة، وهكذا عندما تذهب إلى أي مكان تجد خيره يحيطك، ألا يتوق لك أن تراه.

فما بالنا بالله الذي أكرمنا بالإسلام من غير أن نسأله ونتنعم في خيراته، ألا نتشوق لرؤيته؟!

كلام الله لأهل الجنة

ولا تتوقف رحمات الله بنا عند رؤيته فقط بل يكلمنا ربنا تبارك وتعالى، ولنتأمل كتاب الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾[آل عمران: ٧٧].

أي أن الذين يتاجرون بالدين ويفتون لحب الأهواء والمصالح بما يخالف شرع الله، مثلهم مثل أحبار اليهود والقساوسة والرهبان الذين اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً، هؤلاء لا يكلمهم الله وهذه عقوبة، إذًا الباقي يكلمهم الله.

ويقول الرسول ﷺ ينادي منادٍ من قبل العليّ الأعلى والآن يسلم عليكم ربكم في سورة يس قال ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] والجملة هنا تصف حالة كون السلام قولاً من الله رب العالمين.

والعجيب أننا نستخدم هذه الكلمة عند الفزع ونقول «سلامًا قولاً من رب رحيم» فهذا سلام من الله سبحانه وتعالى كي يسمعوا العباد كلام الله عز وجل في الجنة.

فالعبد المذنب الذي تاب وقبل الله منه يرتقي إلى درجة الكليم، ويكلم الله ويراه في الآخرة يوم القيامة فالله يرفع درجات العباد ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] هذه هي الدرجات العُلَى، كل من في الجنة يسمع صوت الله ولو كان في عتبة الجنة، ولكن أصحاب النار لا يسمعون إلا حسيس النار لأنهم رفضوا سماع الحق في الدنيا فيحرمون سماع الله في الآخرة كما أنهم يحرمون رؤيته.

تذكرة ربانية لطيفة...

ولا يوجد أحد إلا ويحاضره ربه محاضرة! فيقول الله: يا فلان أتذكر يوم أن فعلت كذا وكذا (انظر يكلمه الله، يُذَكِّر الله العبد ببعض ما فعل في الدنيا) فيقول العبد: ألم تغفر لي. فهو أراد أن يذكِّرَك بنعمه عليك.

وابن حزم يقول فما منكم من أحد إلا ويُخْلى بينه وبين ربه، وليس بينه وبين ربه ترجمان ولا حجاب.

ولكن هذا النعيم وهذا الملك يمنعه عنك الذنوب والمعاصي، فلا تستصغر ذنبًا لأن ذلك يصيب بكلل البصيرة، فلا يرى العبد عاقبة المعاصي.

كيف نصل إلى رؤية الله في الجنة

الذنوب أربعة أنواع في قسمين:

القسم الأولى: معاصي جوارح، وقلوب.

القسم الثاني: صغائر، وكبائر.

فأنت تظن أن النظرة مثلاً صغيرة، ولكنها تكبر بأمرين: الاستمراء، والتعود. أي اتباع خطوات الشيطان حتى تقع في الفاحشة.

فمثلاً لقد أعطاني الله العين للتفكر في ملكوت السماء والأرض ولكي أقرأ المصحف ولكي أذهب إلى المسجد وأصل الرحم وأزور المريض.

ولكن من يستخدمها في المحرمات كالنظر إلى المسلمين باحتقار أو النظر إلى ما حرَّم الله وإضاعة الوقت في ما حرَّم الله ومشاهدة ما حرَّم فهذا جحود بنعمة الله، وقد قال رسول الله ﷺ **«لن تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما عَلِم»** [رواه الترمذي].

فيجب على المؤمن أن يملك نفسه وإرادته فهو يتعب في الدنيا لكي يقول في الآخرة﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

ولكن كيف نصل إلى رؤية الله تعالى؟

حتى نرى وجه الله في الآخرة يلزم مجموعة من الأمور أن نطبقها، ألا وهي:

التوبة إلى الله توبة نصوحًا، ثم أبحث عن ما يرضي الله ورسوله من قول وفعل وأقوم به، وأتجنب كل ما يغضب الله ورسوله، وأبحث في نفسي: هل أنا أحمل هم الإسلام؟ وماذا قدمت له؟ هل قرأت كتاب الله؟ هل صليت بالليل والناس نيام؟ هل وصلت الرحم؟ هل عدت المريض؟ هل تواضعت مع الخلق؟ هل مسحت على رأس اليتيم؟ هل تعديت على حق أحد؟

بهذه الأمور يستقيم أمري، واعلم أن للدنيا بنين وللآخرة بنين فكن من أبناء الآخرة، فالدنيا راحلة فانية، فهي معبر للآخرة.

فيجب علينا أن نضع منهج الله أمامنا حتى يأتينا فضل الله وتُفْتح أبواب الجنة.

واعلم أن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ألا وهي الرضا عن الله وبما قسمه الله، هنا فقط تفتح أبواب الجنة وينعم الإنسان بوجه الله الكريم. وما ذلك على الله بعزيز.

* * *

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
خروج يأجوج ومأجوج	٦٠
أدب سيدنا عيسى عليه السلام	٦٤
أمهاتهم شتى ودينهم واحد	٦٥
المصيبة الكبرى	٦٦
أول منازل الآخرة	٦٧
يستوى فيه الصغير والكبير	٦٧
أعراض الموت	٦٧
بضاعتك رُدَّت إليك	٦٨
تجهيز الميت	٧٠
من وصف الملائكة	٧٢
القبر وضمته	٧٥
أسئلة لها ما بعدها	٧٥
مواقف من الغيب	٧٧
عذاب القبر في القرآن والسنة	٧٩
العذاب الأدنى والعذاب الأكبر	٨١
عذاب القبر والمنجيات منه	٨٢
صورة مصغرة من عذاب الآخرة	٨٣
عالم البرزخ	٨٤
موجبات عذاب القبر	٨٥
البدعة والرشوة	٨٥
الخيانة وإيذاء المسلم	٨٧
المساجد في المقابر ...!!!	٨٩

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

ف: 155 ت:29/1/2009

الوعد الحق

د. عمر عبد الكافي



٤ ش اليسر ـ متفرع من شارع مكة ـ الدقى
تليفون: 3366963 - 3379910(202)+
فاكس : 3387836(202)+
صندوق بريد : 463 الدقى – الجيزة
البريد الإلكترونى : info@areej.com.eg
الموقع على الإنترنت : www.areej.com.eg



